

هانس كوخ
جوزيف فان إس

التوحيد والنبوة والقراء
في

حوار المسيحية والإسلام

دراسة تحليلية نقدية

الدكتور
السيد محمد الشاهد

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن طرح قضية الحوار بين الاسلام والمسيحية، بصفتها الديانة الوحيدة التي تطلب ذلك، أصبح يثير عند كثير من المسلمين إحساساً بالخطر الذي يهددهم من وراء محاولات التنصير بأساليبه الخفية التي قد لا يكشفها المسلم إلا بعد فوات الأوان، ويزداد هذا الإحساس بالخطر الذي يدفع أكثرهم الى الابتعاد عن كل ما يدعو اليه النصارى، وإن كان مظهره مقبولاً لا ييلو فيه سوء النية؛ لأن المبشرين لم يتركوا باباً إلا طرقوه طلباً لتنصير المسلمين وخاصة في بلاد افريقيا وآسيا الفقيرة حيث الحاجة الماسة إلى الطعام، والعلاج، والتعليم، فكانت هذه المجالات هي أوسع الأبواب التي دخلوا منها واستطاعوا بالفعل تحقيق كثير مما كانت نصبوا اليه أنفسهم وإن لم يتم لهم كل ما أرادوا وخططوا له.

هذا الماضي الذي يدفع الى الحذر بل والتشاؤم كان سبباً في إساءة الظن بكل ما يدعو اليه النصارى، وخاصة إذا كانت الدعوة موجهة من الكنيسة بشرطها الكاثوليكي أو البروتستنتي، أو غيرها من الكنائس طناً منهم بأن الحوار هو الشوب الجديد الذي يخفي إرادة التنصير ولا يسعى إلى أي شيء آخر مما يظهر قبيحاً يقال في هذا الشأن مثل محاولة التكريب بين الديانات وإفشاء السلام بينها أو توحيد صفوفها تجاه الاتحاد أو ما إلى ذلك من أهداف معلنة من المؤسسات أو الأفراد الذين ينظمون ويدعون الى مثل هذه الندوات، ويقوي هذا الاحتمال ما يصدر عن بعض كبار المنصرين حول فشل الأساليب التقليدية للتنصير وضرورة البحث عن وسيلة أخرى تكون أكثر فعالية وأبعد أثراً من سابقتها.

إني أتساءل بالفعل لماذا تأتي الدعوة إلى الحوار مع المسلمين من جانب الكنائس والمؤسسات الدينية النصرانية التي تعيش في أوروبا ، بينما لا نجد حماساً شديداً في الدعوة إلى مثل هذا الحوار من جانب الكنائس الشرقية التي كان يتظر أن تكون أكثر اهتماماً بالحوار مع المسلمين الذين يحيطون بهم من كل جانب ، ويشكلون الأغلبية الساحقة في المجتمعات التي يعيشون فيها ؟

لعل السبب في هذه الظاهرة أن الكنائس الشرقية أعلم من غيرها بأحوال المسلمين ، ويتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية ، وعدم جدوى هذه الوسيلة لتبشيرهم . وإن كان لهذا التفسير ما يبرره ، إلا أن هناك تفسيراً آخر لعله أقوى وأقرب إلى الصحة ، وهو أن الكنائس التي تعيش بين المسلمين وتكلم تابعوها الحرية التي هي لغتهم الأم ، يقرأون مؤلفات المسلمين ويعرفون حججهم القوية في الدفاع عن دينهم الإسلامي ، الحجج المثبتة لصحة الدين الإسلامي ، وكذلك الحجج المثبتة لتحريف الأناجيل التي بني دينهم عليها ، هذا من شأنه أن يجعل نتيجة الحوار في غير صالحهم ولعلها تؤدي إلى عكس ما يتظرونه ، ولعل وجود النصارى في المجتمع الإسلامي كأقلية ضعيفة الشأن في مقابل أغلبية ساحقة من المسلمين لا يكون مناسباً لو ساعدوا على ظهورهم بمظهر الواصلين من نفسه ومن قوة حجته ، هذا على عكس وضع الكنائس الغربية التي تدعو إلى الحوار على أرضها حيث تكون الأغلبية الساحقة لاتباعهم ، ولا تشكل المجموعة الإسلامية سوى أقلية ضعيفة الشأن . وثمة سبب آخر يمكن أن يكون تفسيراً لعدم حملس الكنائس الشرقية للدعوة إلى الحوار مع المسلمين وهو تخوفهم من احتمال أن يسبب دفاعهم عن عقيدتهم وإبداء حججهم إثارة فتنه طائفية في المجتمع الذي يعيشون فيه تكون نتيجتها في غير صالحهم وغير صالح المجتمع ككل .

تلك احتمالات وإسهادات لعل فيها أو في بعضها يكمن شيء من الحقيقة .

لكنني مع تقديري واحترامي لآراء من يتصحبون بالابتعاد عن مثل هذه الندوات ، أي ندوات الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية ، ومشاطرتي لهم الرأي في ضرورة التريث ، وعدم الاندفاع في تلبية كل دعوة إليه دون النظر في نوع مصدرها ، وفحوى الأسلوب المناسب لها ، واختيار الرجال العارفين بمنهج هذا المصدر وحججه ومداخله ، إلا أنني لا أفضل الابتعاد الكامل عن هذه الندوات ومقاطعة كل نشاطاتها خوفاً مما قد يترتب على الاشتراك فيها ، ولا أسيء

الظن بكل من شارك وشارك في هذا الحوار من علماء المسلمين ، بل أرى أنه يجب علينا النظر إلى هذه الندوات على أنها فرص جيدة لعرض موقف الإسلام من قضايا وشبهات يثيرها بعض رجال الدين المسيحي ، والتحسنين له من المستشرقين . والتي تشوه صورة الإسلام وتصد به عن غير حقيقته . ولا يجد عامة الناس من النصارى الرد المنقح الذي يظهر الحق ويذهب الباطل فتروج بينهم هذه الشبهات بسبب غياب الرد الإسلامي .

إن طائفة كبيرة من الشباب الأوروبي والنصراني بشكل عام وخاصة طلبة الجامعات . كانت قد فترت قناعاتهم بما تلقوه إليهم الكنيسة من تعاليم وعقائد يعجزون عن فهمها لبعدها عن المنطق العقلي السليم وعن واقع الحياة المعاش ومتطلباته ، ولا يجدون فيها حلولاً لمشكلاتهم بكل أنواعها . إن ما يدور من مناقشات في المؤتمرات المفتوحة التي نظمتها الكنيسة الكاثوليكية ، والكنيسة البروتستانتية ، ألمانيا الاتحادية تعكس هذا الموقف اليائس للشباب تجاه دينهم ، وتظهر حاجتهم إلى دين أقوم يقوم على حجج أقوى ، ويقدم حلولاً واقعية لحايتهم المعاشة . وتصوراً أفضل لمستقبلهم وحياتهم الأخرى . أضف إلى ذلك كثيراً مما كتبه بعض العلماء الغربيين المهتمين بمشكلات الشباب وعلاقته بالدين أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : « مجموع المحاضرات التي أقيمت في مؤتمر حول التربية الدينية ، عقد في مدينة هلسنكي بفنلندا في الفترة من 18 - 21 سبتمبر 1980 ، ونشر في كتاب بعنوان « نحو الديانات الجديدة » صدر عن جامعة هلسنكي عام 1980 م . ودراسة شاملة عن تصورات حيائية وأداب يومية وعصارات مستقبلية - نشرت في كتاب ضخم بعنوان : شباب 1981 ، أشرفت على تويله شركة نيل بألمانيا - قسم الشباب ، وصدرت أول طبعة في هامبورغ عام 1981 م ، والطبعة الثانية في ليفركوزين (ألمانيا) عام 1982 م ، وكتاب بعنوان « شباب بدون توجيه » (تصور للحياة) . أصدرته مجموعة من علماء الدين المسيحي (البيولوجيا) نشر في ألمانيا لأول مرة عام 1981 م ، والطبعة الثانية في عام 1983 م ، وكتاب بعنوان : « لماذا ناجون : بحث عن وطن وحدن ونجاة تأليف جوتتر كلونزسكي . ميونيخ 1985 م .

أقول : ليس أمامنا فرصة أفضل من هذه لعرض حل إسلامي يجب على كل تساؤلات الشباب الحائر الباحث عن توجيه . بل إن هذا واجبنا الذي يفرضه علينا الإسلام ، بموجب الآية الكريمة : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴿ سورة النحل آية 125 ، والآية الكريمة : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ سورة يوسف ، 108 ، وكذلك الآية الكريمة : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ سورة العنكبوت آية 46 ، كذلك قوله عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ سورة آل عمران آية 110 .

إن المثابح للجهود التي تبذل في أوروبا في الوقت الحاضر لتوحيد صفوف المسيحيين جميعاً . بل وتوحيد صفوف المسيحيين واليهود ، يدرك مدى ضرورة الحضور الاسلامي في مثل هذه الندوات ، بل ويتعدى ذلك الى ضرورة الدعوة الى مثل هذه الندوات ، والاشراف على تنظيمها ، حتى لا تترك الميدان خالياً تماماً للآخرين يفعلون فيه ما يشاءون حسب خططهم التي يمحكونها كثيراً ضد الاسلام .

على أن يكون الحضور الاسلامي مسبقاً بتحضير وترتيب واختيار من هم أهل للمناقشة العلمية الهادئة المبنية على علم واسع العقيدة الاسلامية ، والصادرة عن ثقة تامة لا يشوبها شك في صحة الحل الاسلامي وحده ، ويفضل من يجيد لغة الغوم ، ويعرف أساليبهم ومنهجهم في الحوار ، وما يرتكبون عليه من حجاج ، وحضور الرد القاطع المقنع على كل دعوى وشبهة متعلية بأداب المناقشة في الاسلام .

أقول : حتى وإن تأكدنا أن ندوة ما تنظم حواراً بين المسلمين والمسيحيين بغرض التشهير بالاسلام ، وإثارة الشبهات حوله ، فإنه يكون من واجبتنا أن نشارك فيها لمعرفة ما يدور فيها من اتهامات وادعاءات علناً يمكن من الرد عليها مباشرة أو في مطبوعات في وقت لاحق .

إن من أهم الأسباب التي أدت الى سيطرة الصهيونية العالمية على الاعلام الغربي هو إحجام المسلمين عن الاشتراك في مثل هذه الندوات ، وغياهم شبه التام في الاعلام العالمي بمختلف وسائله ، لأنه مما يروج له الاعلام الصهيوني أنه لو كان عند المسلمين رد على ما يقال عن الاسلام فلماذا يهربون ، ويرفضون الاشتراك في الندوات العامة التي تقام لهذا الغرض ؟

إن الاكتفاء بالرد عليهم في بلادنا وبلغتنا وبأسلوبنا الذي لا يصل ، لا

يفهم إلا في مجتمعاتنا ولا يفيدنا في الدعوة إلى الاسلام في الغرب مطلقاً . إن أسوأ ما تفعله تجاه ديننا هو أن يكون تحولا من الحوار ميباً في اتهام الاسلام بالقصور وعدم الصلاحية وفتح باب التهجيم عليه وإثارة الشبهات الباطلة حوله .

إنطلاقاً من هذه القاعدة التي نتجت عن معاشرة واقعية للحياة في الغرب والمشاركة بالحضور في بعض الندوات التي كان الاسلام ضمن موضوعاتها . فقد شاركت بالفعل في تنظيم بعض ندوات الحوار التي عقدت في بعض مدن ألمانيا وأسهمت قدر علمي المتواضع في إعطاء الرد الاسلامي على ما أثير في تلك الندوات .

ها أنا ذا أقدم للقارئ المسلم ثمار إحدى ندوات الحوار التي نظمتها جامعة توينجن بألمانيا الغربية في الفترة ما بين عام 1982 م - 1984 م بين عالم كنسي ومشتري وأثمرت كتاباً به آراء تعدد من أخطر ما نشر في الغرب عن الاسلام والمسيحية لما جاء فيه من آراء جريئة وصحيحة مثل إثبات نبوة محمد ﷺ وإلمية مصدر القرآن الكريم وتصويبات جذرية لمفاهيم خاطئة عن الاسلام وإثبات لتحريفات في الانجيل وفي الأصول الحالية لعقيدة النصرانية مثل إنكار التثليث والنبوة وعصمة البابا . وسوف أعرض هنا القسم الأول من هذا الكتاب ، الذي يحمل عنوان « المسيحية وديانات لعالم » والذي بدأ : بالحوار بين الاسلام والمسيحية حيث اشترك في هذا الحوار أحد أشهر مستشرقى ألمانيا المعاصرين مع أحد أشهر وأشجع رجال الكنيسة الكاثوليكية . أعرضه معرباً مختصراً يحتوي على أهم ما ورد في النص الأصلي باللغة الألمانية في الباب الأول من هذا البحث ، ثم أتناول في الباب الثاني أهم ما ورد في النص الأصلي من نقاط مشيرة الى رقم الصفحة بالكتاب الألماني بين قوسين ، خاصة ما يعارض وجهة النظر الإسلامية بالتحليل والنقد ، ثم اختتم هذا البحث بخاتمة قصيرة وملحق هو ترجمة لمحاورة ألقيتها بالألمانية في إحدى ندوات الحوار ونشر ملخصها في مجلة « الإسلام والغرب » التي تصدر في النمسا (عدد يونيو 1984 م) .

وهذا البحث الذي أضعه بين يدي القارئ المسلم قد سبق نشره في خمس حلقات على صفحات مجلة « عالم الكعب » الغراء التي تصدر في مدينة الرياض في الفترة ما بين 1406 هـ - 1410 هـ ، وكان السبب في تأخر نشر بعض الحلقات عاويتي توخي الدقة قدر الامكان وتوثيق كل ما يرد في ردودي بالاضافة الى

المحاولة المستمرة لاعادة قراءة النص الألماني للتأكد من صحة فهمي وعرضي له
ويجب علي هنا أن أقدم الشكر لله - عز وجل - على توفيقه لي في إخراج هذا الجزء
معمراً بأسلوب واضح مختصر دون الإخلال بالمعنى ، وأتني بتقديم شكري الجزيل
للاستاذ الدكتور يحيى محمود الساعاتي رئيس تحرير مجلة « عالم الكتب » الذي لم
يخجل علي بأي مساعدة بالرأي والنصيحة ، وما كان من أثر طيب لنشر هذا
البحث حيث وردت عليه ردود فعل طيبة من بعض المهتمين بهذا الأمر مثل
« معهد دراسات العالم العربي المعاصر » في باريس وبيروت ، وكذلك بعض
التعليقات الإيجابية من بعض الباحثين المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية ،
فضلاً عن المناقشة التي دارت كثيراً حول هذا الموضوع مع المؤلف الرئيس للكتاب
المذكور عالم اللاهوت الكاثوليكي « هانس كونج » ، وما استتبع ذلك من
تصحیحات لبعض المفاهيم التي وردت في الكتاب ، والتي ذكرها المؤلف
مصححة في ندواته التي لحقت على إخراج هذا الكتاب في عامي 1985 -
1986 م ، وقد أشار إلى بعض تلك التصحيحات في بعض محاضراته العامة ،
وكذلك فقد كان يرسل لي بعض أبحاثه عن الإسلام قبل نشرها لأضع له عليها
الملاحظات ، والتصحيحات التي غالباً ما كان يأخذ بها أو يعد النظر فيها على
الأقل .

وبعد فإن أقدم هذا الجهد المتواضع سائلاً الله - عز وجل - أن يجعله خالصاً
لوجهه الكريم .

د / السيد محمد الشاهد

تمهيد

الكتاب ومؤلفاه

المسيحية وديانات العالم / هانس كونج وآخرون - ميونيخ :
دار بير (Piper) ، 1984 م ، 631 ص .

هذه محاولة لتعريف القاريء العربي المسلم بكتاب هو من أحدث وأخطر ما
كتب في الدراسات الدينية عن الدين المسيحي ومقارنته بالديانات الأخرى . وهو
« المسيحية وديانات العالم » تأليف : هانس كونج ، يوسف فان أس وآخرون .

أ - التعريف بالكتاب وموضوعه

نشر هذا الكتاب دار بير (Piper) للنشر بمدينة ميونيخ بألمانيا الاتحادية سنة
1984 م وطبع في فيينا ويقع هذا الكتاب في (631) صفحة بما فيها الفهارس
ودليل المؤلفين وشاغمة الكتاب التي انتهت من كتابتها المؤلف الرئيس لهذا الكتاب
البروفيسور هانس كونج (Hans Küng) في نوبة يوليو سنة 1984 م .

وموضوع هذا الكتاب هو حوار غير مباشر بين بعض ممثلي الدين المسيحي
من كبار رجال الكنيسة وبعض ممثلي الديانات الأخرى كالإسلام والهندية
والبوذية . ويلاحظ أن الذين تحدثوا عن الديانات غير المسيحية هم أنفسهم
مسيحيون متخصصون في تلك الديانات ولهم مكانة علمية كبيرة في مجالات
تخصصهم . وأقصد هنا بعبارة حوار غير مباشر أن هذا الكتاب لا يحتوي أسئلة
موجهة من ممثلي دين لممثلي دين آخر من الديانات المشتركة في هذا الحوار وإجابات
من هذا أو ذاك الدين على تلك الأسئلة الموجهة إليه مباشرة . ولكنه هو عبارة عن
مجموع محاضرات ألغها هؤلاء المتخصصون في ندوة عقدت سنة 1982 م بجامعة
توبنجن نظمها وأشرف عليها هانس كونج ، قدم فيها كل محاضر فكرة مختصرة

1955 م راسب قساً في سنة 1954 م بالكنيسة الكاثوليكية . وفي العام نفسه الذي عاصر فيه روما أي 1955 م التحق بجامعة السوربون بباريس ودرس بالمعهد الكاثوليكي حتى حصل على درجة الدكتوراه في سنة 1957 م وعمل بعد ذلك أياً روحياً بالكنيسة المركزية (الرئيسة) في بلدة لوزان (سويسرا) من 1957 - 1959 م ، وفي عام 1960 م عين استاذاً بجامعة توبنجن لمدة أصول الدين المسيحي (Fundamental Theologie) ، وفي عام 1962 م عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون مستشاراً رسمياً بمجلس الكنيسة لأجل . ومنذ عام 1963 م وهو يعمل استاذ أصول الدين المسيحي ومديراً لمعهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية (Institut Für Ökumenische Forschung) بجامعة توبنجن . ويحمل دكتوراه لطرية من جامعات عالية عديدة .

وحتىير بالذكر أن ثمة خللاً حاداً وقع بين هذا الأستاذ من جهة والبابا برما من جهة أخرى انتهى بسحب اعتراف الكنيسة بعلاجه الأستاذ لتقبل الكنيسة والإشراف على الطلاب لتحريكهم قساراً كاثوليك وكذلك إلقاء كرسى الأستاذية الخاص به والذي كانت تنقل عليه الكنيسة الكاثوليكية وذلك في عام 1980 م . وقد جاء هذا القرار الكتي نتيجة لتصريحات من الأستاذ كونج رفض فيها الاعتراف بما يسمى عصمة البابا من الخطأ ، وقرر أنه لا يتميز عن سائر البشر حتى بعد اختياره من مجلس الكنيسة الأعلى وتعيينه باباً للكنيسة . وقد كان هذا الأستاذ معروفًا بموقفه النقدي تجاه بعض تطبيقات ومعتقدات الكنيسة والتي عبر عنها في مؤلفاته المديدة وفي عاضراته الجامعية والمادة وفي المجلات العلمية المختلفة التي شارك في نشرها .

ومنذ عام 1980 م أي بعد سحب الكنيسة اعترافها بالمؤلف وحرماته من حق الاحتضان والإشراف على طلبة العلوم المسيحية تبنت حكومة ولاية ه بادن فرتنبرج (Baden Württemberg) التي تديرها جامعة توبنجن الإنفاق على كرسى الأستاذية الخاص به وكذلك على المعهد الذي يديره بالجامعة وهو الآن تحت الإشراف المباشر لرئيس ومجلس رئاسة جامعة توبنجن

لما تم مؤلفات هذا المفكر التي سبقت الكتاب الذي نعرضه هنا :

- 1 - الكنيسة صمدت الطبيعة الأولى منه عن دار هيرزشتشتر سنة 1967 م ، وصدرت الطبعت التالية عن دار بيتر 1966 ، 1983 م

عن أهم مبادئ الدين الذي يجتله ووجهة نظره حول مسائل معينة وهذه المسائل أو النقاط الرئيسية كانت عديدة وعرضت من وجهات نظر الديانات المختلفة الممثلة في تلك الندوة . ثم أعقب إلقاء المحاضرات مناقشة مباشرة بين ممثلي تلك الديانات المشترك فيها بجمهور المحاضرين أيضاً .

وجاء الكتاب متضمناً المحاضرات المذكورة بعد إعدادها للنشر مضافاً إليها بعض ما ورد في المناقشة التي تلت المحاضرات دون الإشارة إلى ذلك بالتحديد .

ورتب هذا الكتاب على النظام الذي أقيمت به المحاضرات المختلفة ، فقد بدأ بكلمة موجزة التبع بها البروفيسور هانس كونج الندوة وقدم فيها هدف هذه الندوة الذي ساهمها الحوار . وثلا ذلك عرض أحد أشهر المشتركين الألمان وهو البروفيسور يوسف فان اس (Josef van Ess) لمفهوم النقاط الرئيسية وأركان الإسلام تلا ذلك حديث من هانس كونج عن النقاط نفسها من وجهة نظر المسيحية ثم تابعه فان اس ، الحديث عن نقاط أخرى في الإسلام تلا ذلك أيضاً حديث من وهانس كونج عن النقاط نفسها من وجهة نظر المسيحية ومكملاً حتى عرضت أهم المسائل في كل من الدين الإسلامي والدين المسيحي . وتجاه هذا الحوار بين الإسلام والمسيحية في حوالي (201) صفحة ثم تلا هذا القسم الحوار بين الديانة الهندوسية والمسيحية ثم بين البوذية والمسيحية .

عينا نحن المسلمين القسم الأول من هذا الكتاب المتعلق بالإسلام والرلد المسيحي . وقبل أن أبدا في عرض محتوى هذا القسم أحب أن أعطي القارئ فكرة موجزة عن شخصية المؤلف الرئيس لهذا الكتاب وهو البروفيسور هانس كونج ، وكذلك أمرك القارئ بشخصية المشترك الألمان الذي عرض وجهة نظر الإسلام في هذا الحوار . وهو البروفيسور ه يوسف فان اس ، .

ب - التعريف بمؤلفي الكتاب وجمهورها العلمية

المؤلف الرئيس والشرف على ندوة الحوار ونشر هذا الكتاب هو الأستاذ الدكتور هانس كونج (Hans Küng) مدير معهد أبحاث توحيد الكنائس (المسيحية) التابع لجامعة توبنجن (Tübingen) بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية . ولد في عام 1928 في بلدة سورزليه (Sursee) سويسرا . والتحق بالجامعة البابوية بجمهوريةنا بروسيا ودرس فيها الفلسفة والعلوم اللاهوتية من سنة 1948 -

- 2 - أن تكون مسيحياً (Christsein) صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1947 م وأعيد طبعه أكثر من عشر مرات وكانت الطبعة العاشرة سنة 1980 م عدده 130,000 نسخة (مائة وثلاثون ألف نسخة) نشر في ميونيخ دار بيير للنشر.
 - 3 - هل الله موجود ؟ (Existiert Gott) صدر عن دار بيير للنشر في 1978 م وصدرت منه بعد ذلك عدة طبعات .
 - 4 - 24 مسألة حول وجود الله ، صدر عن دار بيير للنشر سنة 1979 م وصدرت منه عدة طبعات أخرى من نفسها دار النشر .
 - 5 - هل نؤمن بالله ، اليوم أيضاً ؟ ، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها المؤلف بمناسبة عيد اليوبيل الخمسين للجامعة توينجن . وقد نشرت هذه المحاضرة مع محاضرة لرئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية آنذاك « فالتر شيل » (Walter Scheel) نشر في دار بيير للنشر بمونيخ سنة 1977 م .
 - 6 - التيلوجيا في مرحلة الظهور Theologia im Aufbruch دار بيير للنشر 1987 م .
وقد دعي المؤلف الى ندوة مماثلة في شهر يونيو 1985 م . وقد شاء الله أن أحضرها وأتابع ما ألقى فيها من محاضرات وكذلك المشاركة فيها بالمناقشة ثم بحديث خاص بعد الندوة مع المحاضرين وتعرفت من خلال هذا الحديث الخاص على مقصد المؤلف من هذا الحوار واستفست عن نقاط جاءت في محاضراته وفي كتابه الذي أعرضه اليوم لم أكن متأكداً من صحة فهمي لها .
- أما عن المستشرق الألماني الذي تحدث عن الإسلام في الندوة الأولى قبل ثلاث سنوات وطبعت محاضراته في هذا الكتاب والذي شارك أيضاً في الندوة التي تمت في شهر يونيو الماضي فهو الأستاذ الدكتور يوسف فان إس (Josef van Ess) ولد سنة 1934 م في آخن (Aachen) وهو أستاذ كرسي في جامعة توينجن ، وكان مديراً لمعهد العلوم الشرقية بالجامعة طوال سنوات عديدة وله مؤلفات عديدة معظمها في علم الكلام الإسلامي والتصوف والفلسفة وأهم ما كتب :
- 1 - فكر الحارث المحاسبي ، طبع بمطابع جامعة بون سنة 1961 م .
 - 2 - نظرية المعرفة عند عضد الدين الإيجي ، نشره فرانس شتاينر فيسبادن 1966 م .
 - 3 - الثقافة الإسلامية القديمة - فيسبادن - 1970 م .

- 4 - كتابات معتزلية قديمة - مؤلفان من الناحية الأكبر (ت 293 هـ) . نشر في بيروت وضع في فيسبادن - فرانس شتاينر - 1971 م .
 - 5 - كتاب النكت للنظام - شذرات موجودة في كتاب الفتا للمجدحظ - جمع وترجمة للغة الألمانية - دار النشر فان دن هوك - جوتنجن - 1972 م .
 - 6 - بين الحديث وعلم الكلام - نشره فالتر دي جروتر - برلين - 1973 م .
بالإضافة الى مقالات عديدة في مجالات متخصصة .
- وقد التفت بهذا الأستاذ أيضاً وتحديث معه حول الكتاب لأكثر من ثلاث ساعات .

وحديث بالذکر هنا أن موقف فان إس من الإسلام غير واضح تماماً فهو إذا تحدث عن الدين الإسلامي من ناحية العقيدة وأركان الإسلام والقرآن والسنة نراه يأخذ موقفاً ناقداً قاسياً وخاصة إذا كان يتحدث إلى جمهور من المسيحيين شفاة أو كتابة . أما إذا كان يتحدث عن الفكر الإسلامي فهو يميل إلى إنصاف هذا الفكر ودوره في الحضارة الإنسانية . ولا يفتني هنا أن أعترف له بذلك وبعد نظر وإلمام كبير بكثير من فروع العلوم الإسلامية وهذا ما يعترف به أيضاً غالبية المستشرقين المعاصرين . وهو يقف من ناحية أخرى موقفاً ناقداً من الكنيسة الكاثوليكية ، وفي هذا المجال أيضاً يصعب على القارئ أن يجد موقف هذا المستشرق بدقة ، فهو أحياناً يذكر للإسلام مواقف ترفعه على المسيحية ويذكر أحياناً أخرى نقاطاً معارضة لروح الإسلام وخاصة حول القرآن الكريم والحديث الشريف .

ولا يفتني هنا أن أذكر موافقة المؤلفين على ترجمة القسم الأول من الكتاب المعروف هنا والذي يحتوي موقف المستشرق فان إس ، ورد الفكر الديني هانس كونج حول الإسلام والمسيحية وقد حصلت منها على الموافقة الخطية بترجمة مقالتهما إلى اللغة العربية مع تعليق وتحليل لما جاء فيها من مسائل رئيسة .

جد - الهدف من هذه الدراسة

ولعل أهم ما أملته من التعليق على هذا الكتاب وعرضه على القارئ العربي هو إعطاؤه صورة واضحة عما يقال عن الإسلام في غرب أوروبا وخاصة الأسباب التي تحجب عن الأوروبيين الصورة الحقيقية للإسلام ويفسر لنا هذا بعض

1982 م (World Christian Encyclopedia) ويصنف من غير معياريهم عن الديانات الأخرى ما زالت ضحلة جداً إذا استقي من ذلك شخصين في تلك الديانات . وأن وضع الحوار بين المسيحية والديانات الأخرى جزءاً أساسياً من الحوار 50 عاماً إذا قارناه بالحوار بين المذاهب المسيحية المختلفة . ويشهد قسماً من المسيحيون بموت حقيقة الآخرين . ويقول : «إننا نمر به حتى الآن» أربع مراحل هي مرحلة الحرب الساخنة ثم الحرب الباردة ثم الرضوخ ثم التسوية بالحيث الطمحي المتأخر ثم عازلة التمايز مع الآخرين . (روبرت ج. هاردينغ يقول) : إننا الآن بعدد مرحلة جديدة وهي مرحلة يجب علينا فيها أن نجد تعرية آخر لحداثة توجد المذاهب ، فعلى الآن أن نفهم تحت هذا الموضوع تعرية الديانات أي لا تقتصر على عازلة توجد المذاهب المسيحية المختلفة ولكن تشمل هذه المذاهب توجد كل الديانات الكبيرة وهو المعنى الأصلي لمصطلح توجد المذاهب (Okumene) (وهو يقول) : إن القيم الدينية واخترية والجمالية للديارات من البشر غير المسيحية لا يمكن أن تظل موضوع الرفض والتجاهل . (ص 18)

ويُعرف الدين كما يلي : والدين هو علاقة إجتماعية وشخصية متحققة بشيء يعبر العالم ويحيط به ، وهذه العلاقة هي التي تتحقق في سنة جماعة وتمكن في عقيدة وشأن وطقوس دينية في معظم الأحيان ، وهي علاقة بالخطية المطلقة بكل ما عمله هذه الجماعة من ممان ويضيف أن الدين يعطي للحياة معنى شاملاً ويضمن القيم العليا ومعايير مطلقية ويشأأمة ووطناً روحياً . (ص 19)

1 - ثم يقع لنفسه مبادئ يسير عليها في عرضه لوقته وهي :
2 - نقد ذاتي للمسيحية من خلال فهم الديانات الأخرى المسيحية .
3 - نقد الديانات الأخرى من وجهة نظره كمنهجية . (ص 21)

ويبين أنه لن يتجاهل أي مبدأ ذا قيمة علمياً في الديانات الأخرى ولكنه لن يترك أي مبدأ عديم القيمة دون نقده ودراسته مع تحليله حتى يفتح معهم على فهم مشترك (ص 22) .
ويضيف أنه يجب علينا في هذا الحوار أن نتمثل مستوى التبادلة ونعي تماماً أننا لا نملك الحقيقة المطلقة بجماعة في أيدينا ولكن نحن على الطريق الذي يوصلنا إلى حقيقة أكبر فأكثر . (والصفحة نفسها) .

مواقفهم السلبية تجاه الدين الخفيف . وأذكر جيداً ما قاله لي المستشرق الأستاذ فالح إس عندما عرضت عليه رغبتي في ترجمة مقالاته عن الإسلام إلى اللغة العربية . لقد قال لي أن ما يكتب عن الإسلام للقاريء المسيحي في بلد مسيحي ينبغي أن يختلف عما يكتب في الموضوع ذاته للقاريء المسلم في بلد مسلم مراعاة لشعور أبناء الدين الإسلامي . وأنا لا أنكره هذا الرأي لأن ما يكتب عن دين ما سواء كان ذلك الإسلام أو غيره يجب أن يتحرى الحقيقة والوضوعية قدر الإمكان بغض النظر عن توعية القاريء أو المستمع حتى تكون هناك حقيقة واحدة حول الموضوع الواحد يعرضها المسلم وغير المسلم عن الإسلام . ذلك من يحجب حقيقة ما أو يعرضها بطريقة غير واضحة عذراء أو مراعاة لشعور القاريء أو المستمع فإنه لا يضيف له ولا يقيده علماً جديداً وإنما يثبت على ما هو عليه . وغاية العلم كما نعرف جيساً هي عازلة إزالة شعور واضافة معرفة إلى ما هو موجود في ذهن المتعلم .

يفتح هانس كونينج الكتاب بمقدمة عن الحوار وطرقه ويقترح بعض المبادئ . ويتكون الكتاب ككل من ثلاثة أقسام أو أبواب وهي على الترتيب الإسلام والمسيحية ثم الديانة الهندوسية (Hinduism) والمسيحية ثم البوذية (Buddhism) والمسيحية ثم الجماعة من المؤلف هانس كونينج بعنوان «لا سلام عالمي دون سلام ديني» .
والطريقة التي اتبعت في تأليف هذا الكتاب هي أن يعرض أحد المتخصصين في دين معين شعوره عن هذا الدين مقدماً إلى نقاط رئيسة ثم يلي كل نقطة من تلك النقاط رد من المؤلف الرئيس هانس كونينج يعرض فيه وجهة نظره المسيحية حول تلك النقطة ثم يأتي دور المؤلف الأول فيحدث من نقطة أخرى يتبعها هانس كونينج بوجهة نظر المسيحية في تلك النقطة التي عرضت وتكرر هذه الطريقة في كل الكتاب وبالنسبة إلى الديانات الثلاث المروضة في الكتاب في مقابل المسيحية .

يتحدث هانس كونينج في مقدمته لهذا الكتاب عن الحوار من موقفه الشخصي من الديانات الأخرى يعرضه شخصياً عابثاً ، مسيحياً كان أو غير مسيحي زبناً ذلك يذكر عدد سكان الأرض وهو 5.2 مليار نسمة منهم 1.4 مليار (أي الثلث تماماً) يتبعون اسماً للمسيحية في مقابل 723 مليون مسلم ، و583 مليون هندوسي ، و274 مليون بوذي . وقد أسطى هذه البيانات من آخر الأبحاث المنشورة في دائرة مصادر المسالم المسيحي الصادرة في أكسفورد سنة

الباب الأول
النصوص المعربة

الفصل الأول

محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن: نبوة ووحى

يوسف فان إس : وجهت نظر (إسلامية)

ويبدأ هذا الفصل بلوحة زمنية تعرض أهم الأحداث والتطورات في الإسلام منذ مولد الرسول الكريم ﷺ حتى حركة المسلمين في الولايات المتحدة سنة 1945 م .

المبحث الأول : صورة سيئة وأثارها : (ص 31 - 32)

يقول فان إس في بداية مقاله : الاهتمام بالإسلام قديم ولكنه لا يعتمد في معلوماته على مصادر موثوقة بها - ما يسميه ويقرأه الإنسان من وسائل الاعلام عن الإسلام وما يقوله المثقفون عنه بصفة عامة هو شيء غيف وهو غيف لوجهين :

أولاً - بسبب الخطأ والأحكام السبقة (الأحقاد) التي تظهر في هذه الأحكام .

وثانياً - بسبب النغمة (الطريقة) الشيعة (الرهيبية) التي تنتقل بها . فبينما لا نجد إنساناً يخاف من البوذية أو الهندوسية نجد أن الخوف من الإسلام هو الموقف الطبيعي . وليس هذا بسبب أزمة البترول أو الثورة الإسلامية في إيران ، ولكنه كان نفس الموقف في العصور الوسطى وفي بدايات العصر الحديث ، حيث كان يزداد الاهتمام بالإسلام كلما وجد شيء غيف (من الإسلام) ، عندما فشلت الحروب الصليبية ، وبعد ذلك أثناء حملات التركية . في مثل هذه الظروف تنتشر الصورة السيئة المتكررة وبدون تغيير .

الحاجة الى معلومات (عن الإسلام) كانت تسد بسرعة عن طريق

معلومات سطحية عادة يستلزم منها أحكام (تأليف) غير ناصحة (خاطئة) .
(ص 37)

المبحث الثاني . التوقيت كميّار للقيمة (ص 33 - 34)

توالي البيانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام زمنياً له أهمية كبيرة في فهم العلاقة بين تلك الديانات . استئان الأحيوتان (المسيحية والإسلام) تعتبر نفسها إلهة لدين السابق عليهما (اليهودية) . والدين الأول لحي اليهودية يؤمن بأن الله قد تحدث إلى شخص معين (ولم يتكرر هذا الحديث مرة أخرى) وهذا يعني أن الله قد تحدث هدا الشخص (موسى عليه السلام) من بين البشر إلى الأبد . وهو الإسلام أن الله تعالى جعل توالي الأديان حكمه وأصحح فليس بين الأديان من جاء متأخراً أو متقدماً عن التوقيت الذي قدره الله في حطته . فالديانات السابقة (على الإسلام) كانت خطوات تمهيدية للإسلام .

المبحث الثالث : محمد نبي هروي : (34 - 36)

إن حياة محمد ﷺ كانت مختلف عن حياة عيسى (عليه السلام) عيسى (لم يحقق هدفه في الدين بها منح محمد في ذلك) كانت اعطامات المحبة للأمل في مديّة حياة محمد ﷺ ولكن في النهاية كان فتح مكة وتوحيد شبه الجزيرة لعربية تحت حكمه . ولم يكن محمد ﷺ من أسرة فقيرة ، كما كان عيسى . لقد كان أبوه تاجراً ولكنه توفي قبل مولده وحجها كان عمره 25 سنة تزوج من السيدة خديجة وأنجب منها عدة أطفال أربع فتيات وإثنين أو ثلاثة صبيان ، وتوفي جميع أبنائه الضياع في مراحل الاسلام الأولى ويعتبر هذا أمراً ذا أهمية في تطور الإسلام

إن حياة محمد ﷺ م تكن حياة سودي بسيط ولكنها كانت حياة رجل مدنيه وشأن الإسلام في مدنيه ولم يشأ في الصحراء . وهذه لمدية كدس ملقى عديد من فواصل الصحراء التي كانت تقص من بين إلى البحر الأبيض المتوسط وحاء محمد ﷺ سبب خفف عما كان معروف عند العرب انبي كدس لا مؤنس إلا بالحياة لدنيا ، فأنلدهم بيوم القيامة يوم يجلس المراء في الحياة الأخرة على كل ما وقع منه من ظلم . وقد كان هذا هو قول الديانات الأخرى التي كانت تحيط بشبه جزيرة العرب ، فقد كان الدين اليهودي في فلسطين والسرقي ، والمسيحية في سوريا وإثيوبيا وجنوب شبه الجزيرة ، في مجران

المبحث الرابع : صيغة ومحتوى الوحي الجديد (36 - 39)

رغم أن فكرة يوم الحساب (بيعة) كانت موجودة في اليهودية ومسيحية (لا أنه لم توجد ترجمة هربية للكتاب المقدس . وإن كانت فكرة يوم القيمة التي جاء بها محمد ﷺ تعتبر متطورة وبها تصور جديد لا يوجد فيما سبق من الديانات ولقد كانت أصالة رسالة محمد ﷺ تتش في أن الوحي جاء بالعلمة العربية في أسلوب واضح مفهوم للجميع وهو لغز ، فقد كان محمد نبياً عربياً . لقد محمد ﷺ تبار مكة إن كبرهم وحشهم ركنهم أموال دينامي والأرامل وتوعدهم بحساب شديد يوم القيامة يوم يسألون عن كل ما فعلوا في هذه الدنيا .

ولكن علينا ألا نفهم أن رسالة محمد ﷺ كانت فقط إصلاحاً اجتماعياً فلم يكن محمد ﷺ ثائراً ولكن نبياً ، لم يجارب الملكية الخاصة والغنى ولكنه حارب فيهم اعتقادهم بأنهم يستطيعون أن يفعلوا بسلطانهم ما يشاؤون دون حساب من قوة أعلى منهم (الله) . وكان محمد ﷺ يعرف مدى الضماب التي ستواجهه من الكفار ولكنه كان واثقاً من أن الله سوف يكون بجانبه وسيصبره عليهم .

المبحث الخامس : الهجرة إلى المدينة : (39 - 41)

ينيه المؤلف إلى أن ترجمة كلمة هجرة باللغة الألمانية بما يقابل « هروب » هي ترجمة خاطئة . فإن كلمة هجرة تعني إنتقال جماعة من الناس من بلد إلى بلد بعد إيهام ارتباطهم وانتمى عن سبهم إلى الوطن الأصلي وانحدهم مكاناً آخر وطناً جديداً . ويقول فان إس «ولقد أحس محمد ﷺ اختيار المدينة كمكان مناسب للهجرة فقد كان فيه قبيلان كبيرتان معاديتان مستطاع هو أن يكون الحكيم بينهما وأن يعمل السلام في المدينة بدلاً من لعداء الذي ساد المنطقة . وقد كان في مدينة يهود وهم أيضاً مثله موحدون ولكنهم لم يلتصوا حوله ويؤيدوه كما كان يتوقع بل تخافوه وكانوا يسحرون به ويشعرون بأنهم أقوى منه . وهذا كان عليه أن يتنصر عليهم قبل أن يفكر في فتح مكة وقد انتصر في النهاية على كل من اليهود وأهل مكة . وبعد ذلك طردوا من المدينة . وتدل عودة محمد ﷺ وصحبه إلى مكة على عدم استعداده عنها فهو لم يخرج منها إلا ليهود إليها فاعث . ولطهر الكعبة من كل ماله علاقة بالكفر وعملها مركزاً للمصافة في الدين الإسلامي» .

المبحث السادس : مفهوم محمد ﷺ لنبوته : (41 - 43)

اعتقد محمد ﷺ أنه لم يأت بشيء جديد تمام الجدة ، بل إن هذه الرسالة كانت جديدة فقط بالنسبة إلى أبنائه ووطنه . إن ما جاء به لم يكن جديداً بقدر ما كان تصحيحاً للرسالات التي سبقته وتذكيراً بما بعد أن نُسيت ، أي أنه كان مجدداً بالدرجة الأولى لما أوحاه الله على أول الأنبياء . فالحقيقة التي يقربنا ويطلعنا هي الحقيقة القديمة التي تعرضت مع مرور الزمن للتجريف .

والنبي كما يفهم ذلك محمد ﷺ ليس إلا مبلغاً لما يوحى إليه ، لا يأتي بشيء من عبده ولم يكتسب هذا الوحي عن طريق التكبير أو أي شيء آخر . (وهنا يرى المؤلف الفارق الأساسي بين محمد ﷺ وعيسى) . محمد بقي بشراً ولم تتغير طبيعته بسبب الوحي (كلمة الله) فهو لا يستطيع فعل المعجزات وإدراك كل شيء يسير بأمر الله . أما عيسى (عليه السلام) فقد تحول إلى كلمة الله عن طريق الوحي .

والقرآن يتحدث عن معجزات لعيسى (عليه السلام) ولا يتحدث عن معجزات لمحمد ﷺ . ويؤكد القرآن الكريم بشرية محمد وعدم استطاعته الإنجاز بمعجزات وأنه ليس إلا بشير نذير ويكتفي بالقرآن الكريم معجزة تعجز البشر وهي من الله وليست من محمد ﷺ .

المبحث السابع : مفهوم الوحي : (43 - 45)

الكتاب (السابري) هو الأصل في كل الديانات ، في الإسلام والمسيحية واليهودية ويسمي المسلمون اليهود والمسيحيون « أهل الكتاب » يؤمنون بأن كتبهم السالوة (التوراة والإنجيل) تحتوي وحياً من عند الله . وهذا الاعتقاد يُعقد المسيحيين وأتباعهم التاريخي . وأما التوراة فلا يعترف الإسلام منها إلا بالأسفار الخمسة ومزمير داود . ولا يتم الإسلام بحياة عيسى أو موسى ولكن بوحي الله إليهم مني يارب في المكاب لأول . وأهم ما في هذا الوحي هو تأكيد عر وحدانية الله (Monotheism) وكتابة الوحي (أي جمع الوحي في كتاب) معروفة أيضاً قبل الإسلام وقد فعلها اليهود والمسيحيون ، ولكن ما يميز الإسلام هو ما فسفته وتعرضه لكل تفاصيل الوحداية حتى نهايتها ولم يعرف تاريخ حركة جمع الوحي تمت بالسرعة والدقة التي تمت في الإسلام ، ففي خلال جيل واحد بعد موت النبي ﷺ استطاع الخليفة الثالث عثمان (بن عفان) أن ينهي من جمع وحرائج القرآن الكريم بالصورة التي نعرفها الآن .

وبعد الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ انقطع اتصال الله بالبشر عن هذا النحو . لقد كان محمد ﷺ ، كما يعتقد المسلمون ، خاتم الأنبياء . والمسلمون يؤمنون بالوحي الإلهي في صورة أوامر . هذا وحديث إلهي وبذلك لن نجد في الوحي الإلهي كلمة صدرت عن محمد ﷺ نفسه أو عبارة دينية من الديانات التي كانت قبل الإسلام . ولا يفترض هذا إلا عالم غير مسلم من المتخصصين في الدراسات الإسلامية . فالمسلم يتمسك بنص القرآن . أما المسيحي فهو يتمسك بمعنى ما قاله عيسى ، والخطابة (بالساجد) تختلف عن الخطابة في الكنائس : وخاصة الكاثوليكية .

المبحث الثامن : إعجاز القرآن : (45 - 47)

في البداية كان الناس يفكرون في المعنى المقصود بأن القرآن الكريم هو « معجزة الوحيدة في الإسلام » أولاً ، فهم أو فسر ذلك بما يتضمنه القرآن من حبر ، سيحدث مثل ما جاء بالآية « ألم غلبت الروم ، في أفق الأرض وهم من بعد عليهم سيعليون » (الروم : 1 ، 2 ، 3) . ولكن لم يكن هذا كافياً لدليل على الإعجاز . ثم جاءت فكرة الإعجاز اللغوي للقرآن الذي لا يستطيع أي إنسان أن يأتي بمثله . تكلم الله باللغة العربية وهو (تعالى) لا يحطى . وقد ترتب على هذا أن قواعد اللغة العربية والبيان والشعر امتدت إلى القرآن الكريم وأحدثت مثلاً أعز تحديده . واليوم نجد الأجيال الحالية صعبة في فهم القرآن لأنها يتحدثون لمحات عامية بعيدة عن اللغة العربية الفصحى التي أنزل بها القرآن ، فهم يؤمنون بنص القرآن دون أن يفهموا معناه في غالب الأحوال . ولكن مجرد تولد لغة العرب وبسبب المسبب نص القرآن جعل اللغة العربية تبقى كما هي حتى لأن بيها نجد أن اللغة اللاتينية قد تفرعت إلى لغات مختلفة كل واحدة منها تطورت باستقلال عن الأخرى

المبحث التاسع : تكريم النبي ﷺ : (47 - 48)

يقول المؤلف إن صورة النبي ﷺ قد عبرت على مر العصور وإن لم تتغير في طريق مستقيم (لم يكن التغير تطوراً لتصور معين) . فكلما زاد تكريم النبي (القرآن الكريم) جاء هذا التكريم على حساب الإهتمام بتكريم النبي (شخصياً) ولاهتمام المسلمين بنبي أي تدخل من النبي في نص الوحي قالوا : إن النبي كان

أما . وقد جاء هذا الوصف في القرآن (الكريم) (الأعراف 132 - 158) .
والنصير اللغوي لكلمة «أما» يعني (في رأي المؤلف فإن إس) شخصاً ينتمي إلى
أمة لم يزل فيها كتاب سهاوي . ولكن المسلمين فهموا من هذا أن النبي لا يقرأ
ولا يكتب وأردوا بذلك أن يشنوا هدم معرفة النبي بالكتب المقدسة التي أنزلت
من قبله فيكون ذلك دليلاً على نبوته وعلى أن ما جاء في القرآن الكريم مماثلاً لما
جاء في الكتب المقدسة الأخرى هو من عند الله وليس من عند النبي ﷺ .

وبعد ذلك نجد أن نفي النبي لقدرته على أن يأتي بمعجزة لم يأخذ به
للاحقون وسواهم إليه بعض المعجرات وعلى ما يبدو أن ذلك التطور كان سبب
المنافسة والمجادل مع النصارى حيث رأى بعض المسلمين أن المسيحيين استطاعوا
أن يرفعوا ذكر المسيح بصفته مختاراً من الله وأنشؤا ديث بطريقة أفضل من المسلمين
عن طريق المعجزات التي ظهرت عن يديه . فقلدهم في ذلك (بعض) المسلمين
وسواهم بذلك أنهم خالفوا نص القرآن الكريم في هذا الصدد . وقد كان المتصوفة
أكثر من بالغ في تصوير شخصية الرسول وجعله المثل الأعلى الذي يعملون على
مقلد من سائر البشر ، فهو عندهم « الإنسان الكامل » الذي خلقه الله قبل كل
شيء وجعل فيه صورة مصغرة للكون كله . ولكن مهما بلغ العلو في وصف النبي
ﷺ فإنه دائماً يبقى عامداً عبثاً على كل شيء ، ولا يسمح لأي مسلم أن
يمثل النبي بالله (تعالى) أو يجعله نداً به أو حالاً فيه لأن هذا ذنب لا يغفر في
الإسلام ويخرج صاحبه عن الإسلام .

الفصل الثاني

إجابة مسيحية

هانس كونج (Hans King)

بحث الأول : مقدمة

حقاً إنها قصة نجاح رائعة ، تلك القصة التي سمعناها عن محمد ﷺ ، من
رأفته وعقيدته وجهاده وانتصاره والقرآن وأهميته . كان هذا بداية دين عالمي . لا
بد لنا أن نفهم الإسلام من الداخل أي من أبنائه . هذا الإسلام القريب من
« مسيحية » والذي كان يهددها طول الريح قد بقي بالسنة لنا شيئاً مجهولاً طويلاً
2000 عام بعد المسيح و1400 سنة بعد محمد ﷺ ، ذلك رغم التجاور الجغرافي
بيننا وبين الإسلام . وما ينشر عن الإسلام في الوقت الحاضر يشير إلى أن هناك
صحة جديدة للإسلام لها أثرها البالغ في تطور الأحداث في الغرب وتشكل
منعطاً خطيراً في تاريخه . ولكن فلنذكر أولاً أن الإسلام لا يزال بالنسبة إلينا
غريباً وهو أكثر خطورة علينا من الديانات الهندوسية والبودية من الناحيتين
السياسية والاقتصادية . ورغم كل الصعوبات التي تقابلنا عند محاولة فهم
الإسلام الفهم الصحيح إلا أن ذلك هو واجب المسيحيين الذين يعملون في مجال
توحيد الكنائس (الديانات) (Ökumenische Christ. Theologie) وأن يحاولوا
يجاد نقاط للتعايش المشترك داخل تلك المشكلة الصعبة .

البحث الثاني : من التجاهل إلى التكبر ثم إلى التسامح : (50 - 53)

لم يعرف الأوروبيون شيئاً أصيلاً عن محمد ﷺ حتى بعد انقضائه أكثر من
400 عام على نبوته . في عام 1142 م وبعد زيارة بيترس (بطرس) العظيم إلى
مدينتها التي كان يحتلها العرب عرفت أهمية تفصيل تصور أصيل عن الإسلام . ونتبع
عن ذلك أن أصدر أوامره بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية فبدأت أول ترجمة إلى

Carlyle) مونتاني و محمد نبي صادق ، 340 م

وفي لبرون ساميغ غير حرج ، تطور الكثير في الانشراح مع مد به عهده الاسلام ، ظهر بذلك عدد من عجي شمولوم الإسلام و قد حدد ظهور هذا الاتجاه العلمي في عدد من : من عودلات المسيحيين ضد الإسلام ونجدتهم في عبارته بدراسة ، عهده بصيغته وقد حدث تطور واضح في هذا الاتجاه و قد ظهر بعدده ، بدراسة عهده في هذا المجال من

- دراسة : درجته عهده نكره سي محمد كيلة منها دراسات جوستاف فابل (G. ١٠٠١) ، لبري شريجر (A Spranger) ، وليم موبه (W Mu) ، بره قبلي (L. Caetani) ، بور اندره (T Andrae) ، رشارد بليثير (R Blacher) ، مسجيري واط (M Watt) .

- دراسات حول تاريخ تغزّن كسها سودور بولدكه (T Noldeke) دراسة تاريخية للقرآن ، وترجمة جوستاف فابل (G Flugel) ، ريتشارد بل (R Beil) ، ورودي دارت (R Parei)

- أبحاث شاملة عن عهده الإسلاميه ولعادات والتصرف والتربية والأخلاق والأدب والعن ، من : جولد ستهير (J Goldziner) ، سوك هورجورنيه (L. Massignton) ، ولويس ماسينون (Snouck Hurgronje) .

- أبحاث لإظهار صورة المسيح في القرآن الكريم من : ج . ف جيروك (G. F. Gerock) (قبل 150 عام) وقد طفا دراسات عديدة في نفس الموضوع

يرمى المؤلف وعهده انام للمودة في الحدائق المسيحي ضد الإسلام عن طريق لافرمات ولجرحف والتشويه ويقول : عليا أن بدأ الآن فهم الإسلام من الدنخل ومحاول الإجابة على سؤال مثل : لاد يرى المسلم الله والعالم ولعاده وحقوق الإنسان وكذلك السيشيه والنس بصورة مختلف عما سواه حتى ويعلم يختلف عن قلوبا كسجين^٥

الإسلام يرى أنه الطريق الكامل المكامل للخلاص ، فكل هو صلا كذلك^٥

البحث الثالث : الإسلام ، حل هو طريق للخلاص ؟ (33 - 35)

هذا السؤال يشكل نقطة رئيسة في موضوع المطارد بين المسيحيين ولديانات

لغة لاتينية في سنة 1٠٠3 م ولكنه حي بعهده 500 عده في توجد أي دراسة علمية صله عن الإسلام إلى أن جاء ألكسندر روس (Alexander Ross) وكس كانا عالما في تاريخ الأديان أساء ، عدت مختلفة من جميع أنحاء لعالم و سنة 1650 م ترجمه إلى الألمانية سنة 668 ، وكان الرأي السائد في مجرت عن الإسلام أنه عقيدة حرةنة وأنه تحريف مسمد للمسيحية وحيط من لعلم والشهرة ، وقيل عن برسول (محمد كيلة) أنه خلّاع وأنه ليس الحديث وفي مقابل ذلك كان إظهار مسيحية على أي هي ندين لتالي لوحيد الذي يكتوي لعليه لعلمة والسلام وحب والتعفف الخ وقد كان هدفهم من ذلك هو التشويه ليعتمد لصورة الديانات الأخرى حتى يكموا أساء دهم من التأثير بالديانات الأخرى

ورغم أنه في العصور الوسطى المسيحية كان هناك إعجاب كثير لعهده العربية التركية والعلمة والمعلم العليمي والطلب بالاصناء إلى لقوه الاعصانه وللمسيحية الإسلام حتى أن وجود عالم مسيحي مثل توماس الأكريني ما كان عكنا دون لبرن ، إلا أن ذلك لإعجاب قد احتج مع بدايات عصر النهضة ونشطت معادة كل شيء عربي ، وازداد ذلك عندما ظهر خطير الأتراك على قلوبا قانس ساحرائ القرآن بعدد بشره مباشرة في عام 1530 م نسدي بشر في قسبا (السنية)

ولقد أراد لوتر (Luther) مؤسس الكنيسة البروتستنتية تولي 1546 م) أن يترجم القرآن ولكن من الألفهم عنه وعندما جاء عصر التنوير (القرن 18) بدأ الاتجاه إلى مهادة الإسلام وظهر ذلك في القصة نبي كسها ليسج (Gothold Ephraim Lessing) (توفي 1778 م) معون ساس الحكيم و نشرت سنة 1779 م ، ظهر قاموس لعلمه (بالألمانية) من 384 طعة كروبر - شتشرت 1974 م) زجي عرض فيه ثلاث حوارات متبينة ، غش لندسات لثلاثه اليهوديه والمسيحية والإسلام) وقد به يوجد بهج حاشي من ندهم والأيسا لسان عن دونه لال به د عه ناه لاه لي ود صهري هذه القصة صلاح سني الأييلي لحاكم نسيم على به مثل محكمة الحكيم ومن أمثلة المهادة مع الإسلام يذكر كويج ديون جوبه (18٠٥) سني أسية النيوان الموري الشرقي 1819 م وكذلك علقصرة تروماس ك ريله ، 1١٠٠٠

الأخرى الذي نهى كل أمية جنس الكائنات الأعلى ، وتتوقف فائدة الحوار مع الديانات الأخرى على نوعية الإجابة عن هذا السؤال « ما الفائدة من حوار يدور مع من يذهبون إلى النار؟ » . إن موقف الكنيسة التقليدي في العصور الوسطى (وخاصة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية) واضح فهو لا يرى أي طريق للخلاص في غير المسيح (Extra Ecclesiam nulla Salus) وقد حدث تطور في هذا الموقف في القرن 17 م في مرساوطرح السؤال مرة أخرى . وقد رتب على احتمال وجود طريق للخلاص (دين صحيح) أن تعرف الكنيسة بأن هناك آية حقيقيين (في الديانات الأخرى) إلى أن جاء في توصيات المؤتمر الكسبي الثاني (1964 م) أن البشر الذين لم يعرفوا الإنجيل المسيحي بغير ذنب منهم ولكنهم يراعون الله وصميرهم ويحاولون تطبيق ما أمر الله سوف يدخلون الجنة (الخلاص) (فقرة رقم 16) .

وهذه العقدة تنطبق على اليهود والمسيحيين والمسلمين بمعنى كل من يؤمن بالله وبما أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) . وهذا يعني أن الإسلام يمكنه أن يكون طريقاً للخلاص . لكن الكنيسة الكاثوليكية تفرق بين الطريق الظاهري للخلاص والطرق غير النظامية . وهذا يعني بالضرورة الاعتراف بأنبياء بعد المسيح (عليه السلام) ويؤدي ذلك الموقف إلى الاعتراف بأن محمد ﷺ ليس كما صورته الكنيسة في الماضي ولكنه يرجع الاحتمال بأنه كان نبياً حقاً .

المبحث الرابع : محمد ﷺ - هل هو فعلاً نبي حقيقي ؟ (55 - 61) :

لا شك أن محمد ﷺ شخصية تاريخية عظيمة أثرت على مجريات الأمور في العالم تأثيراً جذرياً ، فقد استطاع أن يعطي العرب ديناً غير دينهم القديم ويجعل هذا الدين الجديد متحداً مع الدين اليهودي والمسيحي في أمور كثيرة بدءاً من فكرة الإيمان بالله (التوحيد) وانتهاء ببعض العبادات المشابهة . إن ظهور محمد ﷺ يثبت استمراراً في علم استمرارية ، أي أن هناك ديانات مختلفة متوالية (عدم الاستمرارية) ولكنها تأخذ من نفس المبع (استمرارية) ولا تأتي بشيء جديد خلقته من العدم .

إن شخصية محمد ﷺ لا يمكن دراستها تاريخياً عن طريق سابقه ، إنها شخصية فريدة تحالف المحيط العام الذي عاشت فيه . لقد أوجد نبياً ومقاييس جديدة جاءت في القرآن . فالقرآن يعني خروجاً ورجوعاً عن الماضي وانجهاً إلى مستقر جديد ، وهو حق مدعية توقيت جديد (التاريخ المعاصر) .

وليس صحيحاً ما قاله كارل ياسبرز (Karl Jaspers) بأن محمد ﷺ لم يحظ باهتمام كبير لأن الأصالة كانت تعوزه ، هذا خطأ كبير ، ليس حقاً أن محمد ﷺ كان (ولا يزال) الشخصية الدينية الأصيلة عند جزء كبير من الإنسانية ؟ ليس حقاً أنه ، وخلال قرون عديدة ، والقرآن والصحابة كانوا مرجع البشر كلما أشكل عليهم شيء ؟

من المعروف أن هناك العديد من الديانات التي لا تعرف الأبياء مثل الهندوسية والديانات الصينية والبوذية على خلاف اليهودية والمسيحية والإسلام . وإذا كان هناك نبي يسمى « النبي » (معرفاً بالآلاف واللام) فإنه هو محمد ﷺ كما قال هو ذلك من نفسه . ولكن هل هو كذلك فعلاً ؟ سأعبر عن رأيي باختصار وأذكر أن كل مسيحي أو يهودي حقيقي يتقضى هذا الأمر لا بد أن يعلم بصحة بعض النقاط (أو الأدلة) الآتية :

- مثل أنبياء إسرائيل لم يستمد محمد ﷺ قوته من جماعة أو سلطة حكومية ولكن كان يستمدّها عن طريق علاقة شخصية بالله .

- مثل أنبياء إسرائيل كان محمد ﷺ شخصية ذات إرادة قوية ، رأى في نفسه رسولاً مختاراً مكلفاً برسالة من الله يبلغها للناس .

- مثل أنبياء إسرائيل جاء محمد ﷺ برسالة أثناء عمة (فوضى) دينية واجتماعية وكان يقف وحده بكل قوة وصلاح وإصرار على تبليغ رسالته (دعوته) ضد قوة معارضة مهيمنة لها تقاليد تتمسك بها ولا تريد تركها .

- مثل أنبياء إسرائيل بلغ محمد ﷺ ، وإصراراً لا يبرح ، التوحيد ، الإيمان بالله واحد لا شريك له وهو الخالق الرحمن والمحاسن الرحيم .

- مثل أنبياء إسرائيل أمر محمد ﷺ بطاعة الله المطلقة والعبودية لله (الإسلام) بما يحتويه هذا من شكر لله ورحمة بالعالمين (البشر) .

- مثل أنبياء إسرائيل . يربط محمد ﷺ التوحيد الخالص بالإنسانية (حب الإنسان للإنسان - Humanism) ، ويربط الإيمان بوحداية الله وعدله بالمطالبة بالمعادلة الاجتماعية ، يشر بالعدل والخلاص ، يسر الظالمين بالعدل ويشر المصعبين بالحنه

كل من ينظر في التوراة والكتب المقدس والقرآن ، يجد أنهم جاءوا من

هل نستطيع إذن أن ندعي أن البشر قبل عيسى (عليه السلام) وفي ابوقت
 لا تتوفر العدية الإلهية . هل نستطيع أن ندعي عدم وجود بشر يجديهم
 به معرفة خاصة ويكلمهم الله بواجبات هداية البشر ويميزهم عن غيرهم للاقتداء
 به . نادر لا يصدق ذلك عن محمد ﷺ الذي بعث وسط كثر الحرية
 العربية ، وتسلمنا بصدق نبوة محمد ﷺ بحتم علينا أن نعترف بأن رسالته
 (القرآن) لم تكن من عنده ولكن من عند الله .

وهي سؤال آخر بعد التسميم سورة محمد ﷺ وأن نؤمن موحى من الله ،
 وهو كيف نزل الوحي من السماء وهل يعني ذلك أن القرآن كلمة بكلمة جاءت
 هكذا من الله ؟ هذا السؤال هو أحد أهم نقاط البحث .

المبحث السابع : هل جاء الوحي بكل كلمة مكتوبة ؟ (66 - 68)

يؤكد القرآن أن اليهود والمسيحيين أيضاً أهل كتاب . وهذا شيء هام جداً
 لكونه يشير إلى ما يجمع ويفرق بين تلك الديانات الثلاثة ولكن هل الكتاب
 المقدس بمعديه القديم والحديث قد أوحى كلمة بكلمة وحرف بحرف ؟ لقد كان
 هذا ولا يزال اعتقاد بعض المسيحيين المحافظين (Fundamentalisten) وهى
 المؤلف أن إيمان بعض المسيحيين وجميع المسلمين بأن ما في كتبهم المقدسة هو وحي
 إلهي بالنص ليس إلا وسيلة لرفع كتابهم المقدس فوق ما سواه واتخاذ ذلك عاملاً
 لجميع وتوحيد صفوف أصحابه حول نص الوحي المقدس الذي لا يعتريه التعبير .
 حقاً إن القرآن يختلف عن الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) بمعنى أن الكتاب
 المقدس قد كتبه أناس مختلفون كل الاختلاف ، ونتج عن ذلك أن الأناجيل
 والرسائل (المسيحية) جاء فيها كثير من الخلط والخطأ والنقص حتى أصبح
 مستحيلاً القول بأن ما في الكتاب هو وحي الله بالنص .

ويضيف المؤلف أنه لو كان المسيحيون قد تمسكوا بالنص الذي أوحى إلى
 عيسى لمحبوا كثيراً من المصاعب والخلافات مع العلماء ومزجيين إياه لا محال
 للشك في أن القرآن وحي إلهي ، وإنه على عكس ما يدعي بعض علماء الدين
 المسيحي ، وثيقة لشر لا حصر لعدددهم وتمتد صلاحية هذه الوثيقة حتى قرناً
 العشرين ولم تقتصر على القرن السابع الذي أوحى فيه . ولكن ألا يمكن القول
 بأن المستقبل سوف يأتي بمحاولات لقراءة القرآن دراسة نقدية تاريخية كما حدث
 في المسيحية ؟ ألا يوحد الآن بعض المسلمين الذين يتكبرون بهذه الطريقة وقد

يكون عددهم أكثر مما يعترف به المسلمون أنفسهم ؟

المبحث الثامن : من نقد الكتاب المقدس إلى نقد القرآن (68 - 72)

يعتقد المسلم اعتقاداً لا يتزعزع بأن القرآن هو وحي إلهي بنصه وأن محمداً
 ﷺ كان أمياً ولا يقرأ ولا يكتب فهو يقرأ لكتاب المقدس ولم يسمعه من أحد
 وقد عرفنا أنه ما كانت هناك ترجمة عربية للكتاب المقدس ، ويقول مونتجمري
 واط في دراسته للإسلام (1980) : « محمد ﷺ كان يستطيع أن يقرأ ما
 ما هو من فكره وبين ما يوحى إليه أو على الأقل كان يعتقد ذلك » .
 لدواست الأدبية من العلماء المتخصصين ولقي غيل في معظمها أن التشكيك في
 صحة الوحي بالنص ، ويؤكد المؤلف أن النقاش حول هذا الموضوع سوف يظل
 لفترة طويلة ، ويؤيد وجود تأثير يهودي ومسيحي عن ما جاء في القرآن (لكريم)
 ويدلل على ذلك بما جاء في القرآن من آيات توافق ما جاء في الكتاب المقدس
 وكذلك علاقات حوار بين اليهود والمسيحيين مع العرب . ولكن الحديث حول
 هذه النقطة لا يبرر في البداية ويحتاج فيه إلى مشاركة أكثر من المسلمين وخاصة
 المتخصصين منهم في دراسة الدين المسيحي ونظر عددهم ضئيل جداً . ونقص
 دراسة ترجمة نقدية للقرآن هو الآتي :

- ألا يوحد القرآن على أنه أو مر ويعتبر حادثة لا تتطور ولا تتسب مع الزمن
 المتغير ؟

- ألا يؤخذ على أنه أصل ثابت لتحويلات تتناسب مع الزمن مع بقاء الأصل
 جامداً ؟

- إن يفهم القرآن على أنه رسالة سرية ومتجددة وحية وعلى أنه شهادة (وثيقة)
 أوحاها الله الواحد الأحد القادر الرحيم شهادة ثابتة لكنها تظهر في كل عصر
 ومكان ، وحتى على المستوى الشخصي ، بالمظهر الملائم للعهد نستطيع بذلك
 تجنب صعوبات تثيرها الاكتشافات العلمية الحديثة

ويختتم المؤلف هذا الفصل بقوله : « قدس من عائلة باكستانية » رفعت حسن
 تعمل في جامعة كنتوكي (Kentucky) . تذكر في أهم الأسباب التي تعرف التفاهة
 اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وهي

أولاً - إيمان اليهود بأنهم شعب الله المختار وأن الله وهب لهم أرضاً
 (فلسطين) .

ثالثاً - إيمان المسيحيين بأن هيسى (عليه السلام) ابن الله
ثالثاً - إيمان المسلمين بأن القرآن وحي حقيقي (بالنص) .

كما نرى مما سبق يبين لنا أهمية الحوار حول مسائل الخلاف بين الديانات
للساوية الثلاثة .

النصل الثالث

السنة والشيعة:

الدولة ، الشريعة ، المعاملات ، العبادات

(جوريف فان . إس) وجهات نظر إسلامية

بحث الأول - انتصار تاريخي عالمي وعيويه . (74 - 75)

يستعرض المؤلف جوزيف فان . إس (Josef van Ess) الظروف التاريخية
محيطة بالإسلام إبان نشأته أعني الحرب بين البيزنطيين والفرس وانتشار الإسلام
في دولة البيزنطيين ثم عن الحروب الصليبية ثم عن حماية الخلافة الإسلامية
(1258 م - 656 هـ) عن يد المغول وظهور حركة فكرية وثقافية واسعة في
دولتهم . ويتناول بعد ذلك إلى الدولة العثمانية وقوتها العسكرية ثم يعود بعد ذلك
إلى الحديث عن الخلفاء الراشدين ومسألة الخلاف حول الخلافة بعد موت النبي
ﷺ وانقسام الأمة إلى أهل السنة والشيعة .

لمبحث الثاني صور تاريخية مختصرة (75 - 78)

يتحدث المؤلف في بداية هذا المبحث عن نشأة الشيعة ودور خلافة علي بن
أبي طالب (رضي الله عنه) في ذلك بعد أن ذكر أن الشيعة يمثلون حوالي 7% من
مجموع المسلمين وأهمهم يتركزون بصفة خاصة في إيران والعراق وقد بدأ
مركزهم في هذه النقطة أثناء حكم دولة الصغويين . وأهمهم لا يعترفون بخلافة أبي
بكر وعمر وعثمان . وأن نظام الخلافة عندهم لا يتم عن طريق الاختيار ولكن
حسب سبب الخليفة إلى بيت النبي ﷺ

ويقول : إن الدولة الإسلامية نشأت أولاً في المدينة وقد أثبت المسلمون
قدرتهم على التنظيم والإدارة السياسية وقد كان القرآن هو مصدرهم الوحيد في
ذلك ، فالقرآن على عكس الإنجيل ، لا يهدي الناس إلى حياتهم في الآخرة فقط
ولكن ينظم كل تفاصيل حياتهم في هذه الدنيا ، فالإسلام هو دين تشريع

(Gesetzesreligion) . إن عدم استطاعة الشيعة الاحتفاظ بالخلقة بعد موت علي بن أبي طالب جعلهم يعيشون في إنتظار الخلاص المنتظر ولا ينظرون إلى هذه الحياة بعين الاعتبار وقد ركن ذلك القدوة على تحمل المكاره عندهم إلى أن يأتي المهدي المنتظر (المخلص)

المبحث الثالث : إدارة السياسة والقضاء : (78 - 80)

لقد سارت التطورات في صالح أهل السنة وكانت الخلافة الإسلامية تستمد نظمها من الله (القرآن) . والخليفة الإسلامي يختلف في وظيفته عن البابا الذي هو قاصر في نفس الوقت ، ولكن الخليفة كان حاكماً فطرياً يحكم بما أنزل الله ولا يضع قوانين جديدة أو يأتي بتفسير جديد لأية من آيات الأحكام . وكان ذلك مهمة علماء الدين الذين كانوا يمارسون مهنة أخرى لاكتساب العيش . فليس الإسلام نظاماً كسبياً كما هو في المسيحية ، وتعتبر السنة النبوية مساعداً إلى جانب القرآن لحل المشكلات الشرعية التي كانت تواجه العلماء ولا يوجد لها حل صريح في القرآن ويوجع تسمية أهل السنة إلى التزامهم بالسنة النبوية (المطهرة) . رغم أن الشيعة أيضاً يلتزمون بالسنة .

المبحث الرابع : السنة وطرق معرفة أحكام الشريعة (القضاء) : (80 - 82)

يقول فان إسن : تجاه العدد الهائل من آلاف الأحاديث النبوية كان الطريق الذي يقاس به صدق الحديث ليس هو بناؤه المنطقي أو مطابقة محتواه للتصور الإسلامي ولكن يعتمد كلية على الثقة في راوي الحديث وقد أخذ هذه الطريقة أهل السنة والشيعة أيضاً . وكان هذا سبباً في اختلاف الشيعة عن أهل السنة . لأن الشيعة اعتقدوا منذ البداية في عدم صحة اختيار الخليفة الأول (أبي بكر) وباقي الخلفاء واعتبروا ذلك كبيرة من الكبائر . فاعتمد الشيعة في معرفة الأحكام على الإمام ، أما أهل السنة فقد أخذوا بالحديث النبوي الذي ثبت صحة سنده . وترتب على ذلك عدم أخذ الشيعة بطريقة الإجماع التي أخذ بها عند أهل السنة بل اعتقدوا بأن الحقيقة قد تكون عند عدد قليل من الناس واستندوا في ذلك إلى ظروف اختيار الخلفاء الراشدين حيث إن الإجماع أو رأي الأغلبية لم يكن ، في رأيهم ، على حق . وترتب على هذا أن الإمام عند الشيعة أصبح يمثل السلطة السياسية والدينية في الوقت نفسه ، ولم يكن ذلك موجوداً بهذه الدرجة عند أهل السنة . ووصل فان إسن في عرضه هذا إلى أن الإمام الذي اجتمعت في

بده السلطان الدينية والدينية هو الخميني

المبحث الخامس : شريعة إلمية ، دولة دينية ، ضمير شخصي : (82 - 83)

شريعة في الدولة الإسلامية تقابل (لثيولوجيا) في المسيحية وهذا يجعل وجود حاكم أو حكومة تقوم على تطبيق شريعة الله شيئاً ضرورياً في الإسلام ويكون الإسلام هو دين الدولة في معظم الدول الإسلامية . ثم يعرض فان إسن موقف الغرب من التصورات الاقتصادية في الإسلام مثل محاولة إنشاء بنوك إسلامية أرباح ناسية رؤوس الأموال (رباً) . ويذهب إلى أن تصور الإسلام هذا لا يعارض الكسب ربياً وهو محرم في الإسلام ، ويشير إلى أن تصور الإسلام هذا لا يعارض الكسب الحلال من البيع والشراء والاستثمار بالشروط المشروعة في القرآن الكريم . ثم يعرض لموقف المسلم من حقوق الإنسان فيقول إن حقوق الإنسان مكتولة في القرآن (الكريم) ولا يجد المسلم حاجة للبحث بنفسه في هذه المشكلة فحقوق الإنسان هي نفسها واجبات الإنسان الشرعية التي تحدد علاقة كل شخص بالآخر . وأما التصورات الخلقية فهي تؤخذ في الإسلام من القرآن والسنة ولا تؤخذ من تصورات الفلاسفة كالفارابي وابن سينا وغيرهم ، والرقب الأخلاقي هو الضمير الشخصي لكل فرد . يقول فان إسن : المسيحي يحمل دينه في داخله ، أما المسلم فيريد أن يعيش في وسط دينه أي أن يرى دينه مطبقاً أيضاً عن يعيشون حوله .

المبحث السادس : أركان الإسلام : (83 - 89)

إن عبادة المسلم ليست عبارات يرددها ولكنها أعمال يطبقها مع من يعيش معهم في المجتمع الإسلامي . فأول الأركان الصلاة ، مثلاً يؤديها المسلم بكيفية محددة ليس له أن يغير فيها وفي أماكن تتوافر فيها شروط الطهارة ، ويمكن أن يؤديها في أي مكان متى كان المكان طاهراً ، وأداؤها جماعة يكسب المسلم روح التضامن والتأخي مع الآخرين وتلك الروح يجدها المسلم أيضاً في الركن الثاني وهو الصيام . ويذكر أن المسلم لا يعترف بأن الصيام يرفع على الناحية الاقتصادية التي يعبرها الغرب أهمية كبرى ويعتبر ذلك إمعاناً في ادسية ، وكذلك الحج الذي يبيت الله الحرام والطهارة اللازمة فيه إلى جذب أداء المناسك ويمكن الحج أيضاً صورة رائعة من صور التضامن والتأخي بين المسلمين . والركعة يظهر بها الإنسان نفسه وماله وتعبر عن تضامن بين الغني والفقير . وهي محددة بسنة معينة ولكل

الفصل الرابع

إجابة مسيحية (هانس كونج)

المبحث الأول دين تديم في عصر حديث (91-93)

عرف الإسلام دين ودولة وهو بذلك يمتاز على المسيحية التي تنفصل فيها الناس عن دينهم ويؤكد ذلك وجود مظاهر حضارية شبه نتجت عن خلط السياسة من الدين مثل انتشار الدعارة والشذوذ الجنسي والتعري والحرية الجنسية إلخ وهذا ما يحطه المسلمون الذين يعيشون في أوروبا وأمريكا ويرفضونه ويدفعهم هذا إلى رفض العناية والتمسك بدينهم ونحن نلاحظ في الآونة الأخيرة اتجاه قوياً للعودة إلى الإسلام في بعض الدول الإسلامية وزيادة ربط الدين بالنسبة في تلك الدول، مظهرة الحجاب التي تنتشر مرة أخرى في الدول الإسلامية تدل على ذلك، وكذلك الثورة الإيرانية التي جمعت في يد الحاكم السلطة العليا الدينية والسياسية وإن كان هناك مبالغة في إيران تصل إلى حد اعتبار الحاكم معصوماً من الخطأ ويشبه ذلك إلى حد كبير تصور المسيحيين للبابا. وتحمل العودة إلى الإسلام الأول مظهراً آخر وهو النداء بالعدالة الاجتماعية. وقد أصبح هذا الاتجاه أخطر على النظم الرأسمالية من الماركسية.

المبحث الثاني : تصور ديني من العصور الوسطى : (93-95)

لنؤخذ الدين بريد إيجابته الآن هو : هل يستطيع الإسلام الاحتفاظ بتصوره هذا ، أي وحدة الدين والسياسة ؟ لقد عرفت المسيحية في العصور الوسطى هذه الوحدة واحتفظت بها حتى جاء لوتر (Luther) في القرن 15 / 16 وغير هذا التصور إلى حد ما ، ثم جاء لقرن 17 أي عصر التنوير وتغير هذا لتصور مرة أخرى وانفصلت الكنيسة (الدين) عن الدولة (السياسة) وقد

دور أن يريد على ذلك ما أراد ويؤجر عن ذلك كله . ويسبق تلك الأركان الأربعة التي هي عبارة عن تطبيق عملي للمبادئ الركن الأول وهو القسم النظري من تلك الأركان وهو الشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وبذلك نرى أن للإسلام لا يركز على الأشياء (حقائق) تخرج عن صفق العقل بل يشطب من الإنسان أداء أعمال وعبادات تضمن له الإصلاح ولا يشترط في الإيمان أي قدرة عقلية أو روحانية للشخص حتى يؤمن ولكن المبدأ تأتي من الله .

المبحث السابع . فائدة (معنى) هذه الأركان : (89-90)

أركان الإسلام ليست مجرد أفعال وأقوال يؤديها المسلم دون أن يعرف معناها ، كما هو الحال عند بعض المسلمين ولكنها تنمى على معرفة مسبقة . المسلم يعرف قبل أن يؤدي فريضة من الفرائض السبب الذي يؤديها من أجله ، ورغم ذلك فهو لا يؤدي لعائلتها ولكن امتثالاً لأمر الله . هذه الطاعة لله تظهر حبراً ما تكون في أداء الحج . فالمسلم لا يعتقد أثناء الحج أنه يتبع إبراهيم (عليه السلام) ولا هاجر عندما يقبل الحجر الأسود مثلاً ولكنه يفعل ذلك معتقداً أن في ذلك امتثالاً لأمر الله الذي طيقه إبراهيم والنبي (عليهما الصلاة والسلام) ويعود المؤلف (فان إس) ليؤكد ما سبق أن قال وهو أن الإسلام يعمل روح الإصلاح وخاصة في مبدأ التوحيد الذي أزال عبادة الأصنام بمعنى أنه لا يرى قيمة الأشياء في ذاتها ولكن في أنها امتثال لأمر الله وحده .

ساعدت الثورة لفرنسية والثورة الأمريكية التي جاءت بوشقة حثوف الإنسان على ذلك . وكان المسيحيون حتى القرن الماضي يحاولون العودة الى الوراء ورفض كل تجاه حديث ولكن دون جدوى . الا يدعو هذا التطور في المسيحية إلى التفكير في إمكان حدوث هذا أيضاً في الإسلام ؟

إن هناك إشارات تشير إلى هذه الاتجاهات في بعض الدول الإسلامية .

المبحث الثالث : الإختيار الصعب بين الرقي والاحتفاظ بالشخصية (95 - 97)

إن المملكة العربية السعودية بصفتها قلب العالم الإسلامي ولتي تعيش الآن مرحلة تحول سريع من دولة صحراوية إلى دولة صناعية تواجه هذه المشكلة . هل تستطيع المملكة أن تسير التقدم الصناعي وفي الوقت نفسه أن تحافظ على سميتها الإسلامية الخاصة ؟ إن التطور يصعب كثيراً من البلاد الإسلامية أمام اختيار صعب وهو إما الأخذ بالأول أو بالآخر .

هناك أمثلة عديدة لدول إسلامية سارت في طريق فصل الدين عن الدولة مثل تركيا في عصر أتاتورك وإيران في عصر الشاه ، وتونس وحتى مصر وسوريا وماليزيا ولوجرنياً . وقد كان من الدول الإسلامية المحافظة من المملك العربية السعودية أن غصت النظر عن هذا الاتجاه في البلاد السابق ذكرها .

ويرى كونج أن الأحد بالطريقة الأخرى وهي الحفاظ على الإسلام وربط الدين بالدولة سوف يؤدي إلى تأخر صناعي وفي يزد من القوة بين الدول المتقدمة والدول النامية (بين الشمال وجنوب) إلا أن الأحد بالعقلية سوف تكون له مضار كبيرة أيضاً بالإسلام ، فإن هذا يعني توقف الإسلام وانفصاله عن تاريخه وحضارته العريقة وتارله عن شخصيته المستقلة المميزة

المبحث الرابع : الحل الثالث : الدين في دولة علمانية (97 - 100)

لشال نصيري الذي يطرح نفسه عن الإسلام هو : « هل هناك طريق ثالث بين العودة إلى الإسلام وبين عدم العودة إلى الإسلام (العلمانية) ، فصل الدين عن الدولة ؟ » . ويقول كونج : إنه ولعصور طويلة كان الغرب يعتقد أن فصل الدين عن الدولة يعني انتهاء قوموت الدين ولكن الآن هل حدث ذلك فعلاً في الغرب . إنه من المؤكد أن نيوتن فويرباخ (Feurbach)

وفرويد (Freud) ونيشه (Nietzsche) بانتهاء الدين لم تصدن لا في غرب أوروبا ولا في شرق ولا في أمريكا ولا في الاتحاد السوفيتي . إن فصل الدين عن الدولة لا يعني تحوير دعوة إلى الإلحاد

وهو يعني أن هناك حريداً ثانياً ممكن لتحقيق وهو طريق رسم بين التعسك بالدين بكل وسائله فهي كسب النتائج السلبية بالنسبة في مستقبل الأمة وبين التعرّض لانه في تدبير سبي يؤدي أيضاً إلى ضياع مستقبل البشر

وهذا الطريق الذي أعياه هو دعوة توحيدية جديدة لعلمية محدودة أمام حدود الدين (Ein neues ökumenisches Paradigma der Säkularität vor dem religiösen Horizont) أعني بذلك عدم محاربة التطور العلمي والصناعي ولكن العلم والتطور والصناعة يجب ألا تؤخذ على أنها الخلد الأسمى والقيمة العليا والمعيار المطلق لقياس التقدم حتى لا نسمح بأن يصبح التطور هو الإله بالنسبة لنا الذي نعبد ونقدس ، وفي هذا الحو يجب أن نحافظ على الدين وقيمه ومعاييره . وهذه لأشياء هي جوهر الدين الذي يجب أن نحافظ عليه . وأول ما نحافظ عليه هو الإيمان بالله وكذلك أداء فروضه وأركانه ونطبق عدلته الاجتماعية . ويكون الهدف هو أن تذهب المسيحية مع الإسلام في طريق يطر إلى التقدم العلمي والفني نظرة الناقد الذي يختار منه ما يهيمه ولا يقبل عدا ذلك ، فإن تقديس التقدم العلمي والفني هو معارض للإسلام وبسبحه معا .

المبحث الخامس . بدايات لإصلاحات داخلية في الإسلام (100 - 103)

كان من أهم ودود العمل على موجات الاستعمار الأوروبي للبلاد العربية أن قامت بعض حركات الإصلاح وقد ترعّمها العلماء المحافظون ضد الحكام الظالمين . ومن أمثلة ذلك ما قام به محمد بن عبد الوهاب بشبه الجبرية لعربية وقد أدت هذه الحركة إلى تأسيس المملكة العربية السعودية التي انتهجت سياسة اجتماعية محافظة معادية لكل لبذع الدنية ، وقد قامت حركات أخرى تدعو إلى العودة إلى الإسلام ولكن بشكل جديد لا يتعارض فيه الدين مع العقل والعلم مثلاً نادى به جمال الدين الأماني (1838 - 1897)

وإلى جانب ذلك ظهر هناك اتجاه تجديددي آخر من الشباب المسلم يهدف إلى شق طريق وسط بين المحافظين والمتحررين وهذا الاتجاه ليس إلحادياً بأي شكل ولكنه يهدف إلى الحفاظ على دينه في الوقت الذي يسير فيه ركب لتقدم العلمي

والعكوي والعمي .

المبحث السادس : هل يتمكن المحافظون من البقاء (تجاه تيارات التجديد) ؟
(103 - 107)

يقول المؤلف « هانس كونيغ » إن المحافظين في الإسلام يمثلون إثمهم .
تجاه عبي محافظ مثله المملكة العربية السعودية واتجاه يساري محافظ مثله إيران
تحت حكم الخميني . وكلا الاتجاهين يعزز موقعه عن طريق القرآن والحديث .
وبلاحظ ما يأتي :

1 - إذا تأملنا المؤسسات الحكومية والإعلامية لوجدنا في البلاد الإسلامية آثاراً
عربية علمانية مكسوة بغطاء إسلامي . إن الاتجاه إلى تطبيق النظم الاقتصادية
الإسلامية على البنوك مثلاً لم يلق نجاحاً ملموساً حتى الآن ولو عند المحافظين
في إيران مثلاً .

2 - الجامعات في معظم البلاد الإسلامية ، عدا الجامعات الإسلامية ، أصبحت
علمانية إلى حد كبير .

3 - حتى فيما يكتب عن الإسلام في البلاد الإسلامية نجد فيه تصورات غريبة
معزاة بأيات قرآنية

4 - في الحياة العامة نجد أن السياسة قد تحولت عن كثير من الارتباط بالدين
وأصبح الدين مطبقاً أكثر فأكثر في الحياة الشخصية ويختفي من الحياة السياسية
والإعلامية .

5 - إن أكبر الأخطار التي تهدد الإسلام المحافظ هي ما نجم عن الثروة البترولية
بعد أزمة البترول ، فقد أثر ذلك في ظهور اتجاه مادي يتم بمظاهر الحياة
المادية التي يقل معها الاهتمام بالدين . تلك المظاهر التي كانت تستند لأنها
غريبة .

6 - إن الأقليات المسلمة التي تعيش في الخارج ، في الاتحاد السوفيتي والبلقان وفي
غرب أوروبا وأمريكا وهم حوالي ثلث عدد المسلمين ، يصعب عليهم
المحافظة على دينهم وأداء فرائضهم على الوجه الأكمل .

7 - أيضاً في بعض البلاد الإسلامية مثل مصر وتونس والمغرب والصومال وتركيا
والهند وأندونيسيا توجد صراعات بين المحافظين والمتحررين المسلمين والتي

يسودها سبيل إلى غير صالح المحافظين .

المبحث السابع : مشكلة الدين المقس (الشريعة) : (107 - 109)

هل يمكن للشريعة الإسلامية التي جاءت في القرون الوسطى أن تحل
مشكلات الوقت الحاضر ؟ هذا السؤال يطرحه ، كما يقول المؤلف « هانس
كونيغ » ، كثير من مسلمين ومصلحين من الشرق و حتى الغرب
العشرين . نحن نواجه نفس المشكلة في الثورة والأماجيل التي ملئت
بالتقارير والتي كان يؤخذ بها حريفاً وتمسك بذلك المحافظون .

وكما تناولنا الثورة والإنجيل يعتقد بريد هنا أيضاً أن تعرض لدراسة عميقة
لتغرب ومع الاحترام الشديد لعماد الدين والسياسي الذي أسس ديناً متدياً
وواقعياً مقبلاً لا بد لنا من النظر إلى ذلك نظرة الناقد كما فعلنا مع سابقه من
الأنبياء . لقد قال عيسى (عليه السلام) : « ويل لكم معلمي الشريعة ، تململون
الناس ما لا يطيقون وأما أنتم فلا تحركون لذلك أصبعاً » (لوقا 46/11) . هذه
إشارة إلى أن تقبيل الدين يمكن أن يؤدي إلى غير صالح الناس . وهذه النقطة هي
التي لم نلت بشكل واضح في القرآن الكريم أثناء الحديث عن عيسى (عليه
السلام) رغم كل ما جاء من قول كريم عنه ، وتلك هي النقطة التي جعلها
« بولس » بعد ذلك الأساس الذي بنى عليه تصووه الديني

المبحث الثامن : - شرع الله - من أجل الإرادة الإنسانية (109 - 112)

الأساس الذي يجمع بين اليهود والمسيحيين والمسلمين هو الأمر بالطاعة
المطلقة لله . لقد فهم كثير من اليهود طاعة الله بمعنى طاعة القانون المكتوب الذي
جاء به موسى في المسيحية والإسلام حاول الناس عن طريق لتفسير للآيات
والفصوص لاهية جعل من الله معصياً وأمره وكن عبداً لاسي أنه كنما
أرداد التمسك به . ذلك مشكلات معتد . ويعود عيسى (عليه سلام) « هذا
تميمون من الله وتميمون بحدسكم » (ماتس 15 - 3) . فقد به عيسى
بأن الله لا يصنع نكبة . « هذا الله ويستحق الحرية القانون المكتوب . ويقول
المؤلف كونيغ . « و - من عيسى . من من الأفضل للإسلام أن يتجه إلى
طاعة إرادة الله ويتخلص من طاعة النص المكتوب ؟ ويكون معنى ذلك في التطبيق
في الحياة العملية مثل حب الآخرين ومساعدتهم العملية ومراعاة حقوقهم وكل
المعاني الإنسانية السامية التي هي إرادة الله الحقيقية . إن الشرع الإلهي جاء لخدمة

الإنسان في الأصل . وإذا اتبع المسلمون ذلك استطاعوا أن يحافظوا على دينهم وفي الوقت نفسه أن يقوموا بإصلاحات اجتماعية كبيرة مثل وصح المرأة وحقوق الإنسان وحقوق المعارض ، وكذلك تعديل طريقة تنفيذ الحدود (القصاص) .
النخ . (يرى المؤلف هنا الفرق بين أصالة القرآن وعدم أصالة الإنجيل التي يعترف هوبس في مكان آخر) .

المبحث التاسع : - بدايات الحركة نقابية دائمة للشريعة في الإسلام (113 - 117)

هناك اتجاهات داخل الإسلام تسير في هذا الطريق : فمثلاً يقول فضل الرحمن (عالم باكستاني يعمل في جامعة شيكاغو) في كتاب « الإسلام - 1966 » يجب أن يدرس القرآن دراسة تاريخية لكي تعرف القيمة الحقيقية لمواضعه . لأنه بدون ذلك يقع الإنسان في أخطاء كثيرة في فهمه له . ولا يقتصر هذا على الآيات في شكل منفرد كما هو الحال في دراسة أسباب النزول مثلاً ولكن يجب أن تتناول الدراسة التاريخية القرآن ككل » - (ص 261) .

ثم يعرض « كوتنج » آراء بعض العلماء المسلمين الذين يعيشون في أوروبا وبعض الذين يعيشون في مصر وفي الهند وغيرهما ، والجميع يطالب بإعادة النظر في فهم النص وعدم التمسك بحرفية وما إلى ذلك . ثم يقول إنه من الأفضل للإسلام وللمسيحية أن تنح الصلابة إلى الإصلاح والتطور بدلاً من ريادة التمسك بحرفية الشريعة وأن نحافظ فقط على جوهر الشريعة العقدي والخلقي والقيمي .

الفصل الخامس

الله والتصوف الإسلامي . الإنسان والمجتمع

وجهات نظر إسلامية . (جوزيف فان إس)

المبحث الأول : أولية التوحيد (119 - 120)

يقول (فان إس) إن التوحيد الإسلامي يختلف عن التوحيد المسيحي فإن التوحيد لمسيحي هو مجرد فكرة (أو خيال) ولكن التوحيد الإسلامي هو واقع وحقيقة يعيشها المسلم وهي مؤيدة بالأدلة العقلية . فتصور المسلمين لله يقترب من التصور الفلسفي لله . ولا يعرف الإسلام الله صوراً متعددة يظهر فيها كما هو الحال في التثليث المسيحي . وفي القرآن الكريم ذكرت صفات الله مثل العلم وعبرها . والمسلم يرفض التثني رفضاً تاماً . وعلى الله في الإسلام متعالياً على البشر ولا علاقة مباشرة بينها

المبحث الثاني : - الله : الرب الرحمن (120 - 122)

الله هو ليس واحداً فقط ولكنه الأحد الفرد لصمد وهو الإله الرحيم الذي يرحم خلقه ويحبهم وهذا هو المعنى الذي جاء في القرآن (الكريم) وفي البسملة ، (بسم الله الرحمن الرحيم) . والمسلم يعتبر نفسه عبداً لله والمسيحي يعتبر نفسه إبناً لله . ولكن صفة الرحمن تضمن شيئاً من الأبوة أي رحمة الأب بأطفاله . والمسلم مطالب بطاعة الله طاعة مطلقة وهذه الطاعة تعني الثقة في الله وشكره على نعمه ، حتى أن كنهه « كبر » يفهم منها الخروج عن الإسلام وفي نفس الوقت إنكار الجميل (أي عدم الشكر) . وما يقال في المسيحية من أن الله هو الحب (المحبة) يرد كثيراً في القرآن . ولكن العلماء المسلمين لم يصروا ذلك بأن الله هو المحبة أو أنه يجب كالبشر وذلك لاحتلال معنى الحب معنى التقصص . وثقة المسلم في ربه ليست ثقة في الله كشخص ولكن هي ثقة في إرادة الله

المبحث الثالث تعميق معنى كلمة الحب في التصوف الإسلامي (122 - 124)

يعرض فيها المؤلف (قبان إس) لبعض نظريات الشوق الإلهي لبعض المصوفة ومؤيدي ذلك إلى فناء الإنسان في الله أي المحب والمحبوب . . . إلخ ويذكر بعض شعر رابعة العدوية

ويقول : إن التصوف كان رد فعل عن المبالغة في تقنين الدين وتعقيد مسألته العملية . وكذلك كان رد فعل مقابل اتجاه بعض الحكام إلى الدنيا ونسكهم بالمظاهر الدينية فقط . ولكن مهما قيل في التصوف الإسلامي عن المشوق الإلهي فإنه لم يكن عشقاً بين طرفين متساويين ولكن من طرف واحد ، فالذي يجب ويحب في الآخر هو الإنسان الذي يعنى في الله الذي يمتلكه تماماً

المبحث الرابع : الطبيعة كمرآة لقدرة الله (124 - 126)

وأما علاقة الله بالعالم (الطبيعة) فهي علاقة المالك الذي يسيّر أمور ملكه لحظة بلحظة ولا يترك الأشياء إلى قوانينها الطبيعية فهو القوة الأولى لها ولا واسطة بينها أو ما يسعى في الفلسفة القديمة البعثة الثانوية أو الوسيطة . صحيح أنه خلق للطبيعة قوانين تسيّر عليها ولكنه يقدر في كل لحظة على خرق ذلك القانون بأعجاز المعجزات وذلك يعني أن الأحداث الطبيعية تسيّر حسب مجرى العادة كما عبر عن ذلك الإمام الغزالي وسبق به ديعيد هيدوم (ت 1776 م) .

وقد انتشر الاعتقاد بالمعجزات مع انتشار الطرق الصوفية . والطبيعة حسب التصور الإسلامي ليست شيئاً يوجهه أو يجمع له الإنسان ولكنها مخلوقة لله مسخرة له ولتتمتع الإنسان .

المبحث الخامس : - القدرة الإلهية - وحرية الإنسان . (127 - 129)

السؤال الذي يطرحه المؤلف في بداية هذا المبحث هو كيف تكون مسؤولية الإنسان عن فعله إذا كان كل شيء بيد الله وأمره ؟ هناك اتجاهان في الإسلام وهو اتجاه القدرية (Prædetermination) التي تؤمن بأن كل شيء مقدر مسبقاً وتأتي مشكلة الحساب . ولكن المتابع لهذه المسألة يعرف أن التقدير هنا بمعنى علم الله المسبق بما سيعمله الإنسان في حياته بحريته وقدرته التي خلقها الله فيه ولا اتجاه الآخر هو الذين قالوا بأن الإنسان حر ويتصرف بكامل حريته ولذلك فهو مسئول

عن فعله الذي اختاره هو . ولكن المشكلة لا تنفي عنه هذا الحد بل تنعده ، السؤال عن مدى قدرة الإنسان على الاختيار ، وقدرة الإنسان على الاختيار من هذا قد رتب عن اختيار فعل واحد ، أي أنها ليست قدرة دائمة عنده ولكن بعده عن الفعل عندما يحذر

يسح من هذا الصدم بذكره له لا يوجد تسريح في دمه ويشكر . . . ولكن يوجد فعل واحد تسريح ثم فعل آخر وهكذا ، والتسريح هو حكم بحكم بالاختيار ، فالاختيار هو الذي يدفع بالتسريح . وهناك الاتجاه الآخر في الإسلام الذي يعرف بالتقييد بأنه هو عدم طاعة أمر الله التي هي أيضاً إر . . . (عدم الطاعة) . وترتب عن هذا التصور أن حقيقة آدم عليه السلام ليس له خطاً عارضاً رجع عنه آدم وقاب إلى الله .

المبحث السادس : وحدة الروح واحد في الإنسان (130 - 131)

سبق القول أن الله يفعل في الإنسان القدرة على فعل اختاره الإنسان ، وهذه القدرة خاصة بفعل واحد ثم تختفي ثم تعود بفعل آخر وهكذا . وهذا التصور جعل وجود الإنسان الحقيقي وجوداً مستمراً أمراً غير أساسي وينتج عن هذا أن علم الكلام الإسلامي لم يكن يعرف مصطلح « لشخصية » (الذي يعني وجود الإنسان جسداً وروحاً وجوداً حقيقياً مستمراً) ولم تعرف مشكلة بقاء الروح حية بعد فناء الجسد في علم الكلام الإسلامي إلا في فترة زمنية متأخرة وحتى حينئذ لم تناقش كمسألة رئيسية في علم الكلام ، وكانت الروح عند بعض علماء الكلام الإسلامي هي مجرد جزء من الإنسان مثل جسده أو صورته أو أنها هي بنفسه الذي يتنفسه . ومطالب الروح الجسد مكفوفه في الإسلام بحسب الشرع في الدنيا وفي الآخرة في الجنة . فمتنع الجنة يشبه إلى حد كبير متنع الإنسان في الدنيا فليس لماكل والمشرب والصور وغير ورؤية الله عز وجل

المبحث السابع : - أمة المؤمنين (132 - 133)

يجب على من يتحدث عن الإسلام أن يصرح أن المسلم على أنه . . . مجتمع ولا يمكن أن ينظر إليه كمرد . والمسلم يختار عن غير المسلم ، من . . . مسلمين ، بأنه يدخل الجنة في نهاية مهاتها كانت . . . التي ركبها في . . . دامت لم تخرجه من الإسلام وثابت عب . . . منهم أنه . . . يشرك بربه أحد . . . الإحساس أي إحساس الفرد بنتمائه إلى الأمة الإسلامية ، تعبيراً قول من . . .

التواصل التي تربط المسلمين والتي نراها كثيراً في أدائهم لشاعر العبادة .
لا يعترف الإسلام بفوارق الطبقات التي عرّسها منذ الرومان وفي العصور
الوسطى (المسيحية) فهو لا يفرق إلا بين الحر والعبد ، والعبد له حقوق وعليه
واجبات . إن الإسلام في أصله هو دين المساواة

المبحث الثامن : المساواة الإسلامية وحدودها (123 - 136)

لم يكن الإسلام ثورة اجتماعية على كل الأوضاع السائدة في المجتمع التي
وجدتها ، فقد قس مثلاً نظام الرق ولم يفكر حتى أشد المسلمين تعصباً في مدى
صحة هذا النظام . ولكن الفقهاء كانوا يعتبرون أن الوضع الطبيعي للإنسان هو
أن يكون حراً وأن الرق خارج عن قاعدة الإنسانية . ووضع المرأة أيضاً يعتبر مثلاً
على قبول الإسلام للأوضاع التي وجدتها ، فهي ما زالت تسمى للمساواة مع
الرجل . مع أن القرآن قد جاء بتعديلات محددة في صالحها مثل حقها في
الوراثة ، إلا أن وضعها بصفة عامة لم يتغير ، والتغيير الذي دخل إلى العالم
الإسلامي في القرن العشرين بخصوص المرأة هو بتأثير لودويج . (يتنسى المؤلف
حقوقاً كثيرة أعطتها الإسلام للمرأة مثل الاعتراف بأنها من أصل الرجل وتساوي
معه في الواجبات والحقوق الدينية إلى آخر ذلك) . والعلاقة بين الدين والمجتمع
في الإسلام تختلف إلى حد ما عنها في المسيحية ، فالإسلام يجاري مطلب العصر
عن طريق التغيير وفي الوقت نفسه يؤثر على السياسة في المجتمع .

الفصل السادس

إجابة مسيحية (هانس كونه)

مقدمة

أمام تلك المادة الغريبة معقدة لا يستطيع الإنسان كطرف في الحوار أن
يتناول كل نقطة بالتفصيل وأن يعرضها عرضاً مفصلاً . ولكن هنا سأبدأ بأصعب
النقاط في الإسلام وهي مشكلة المرأة .

المبحث الأول : - مشكلة المرأة في الإسلام (137 - 139)

لا شك أن الإنسان الذي نشأ في مجتمع مسيحي يرى في تطبيق نظام تعدد
الزوجات وحق الطلاق للرجل دون حكم قانوني من المحكمة مشكلة كبرى .
قبل الخوض في تفاصيل الحديث ، أريد أن أفكر عدة معلومات وهي :

1 - أن نظام تعدد الزوجات وبلا حدود كان موجوداً قبل الإسلام في الجزيرة
العربية ويرى بعض المتخصصين في العلوم الإسلامية أنه كان يوجد أيضاً
نظام تعدد الأزواج (الرجال) .

2 - أن أنبياء إسرائيل مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا متزوجين بأكثر من
إمرأة .

3 - أن عمداً عليه السلام أدخل بعض التعديلات في صلح المرأة مثل حقها في الميراث .

4 - أنه يجب أن نطرح رأي الإسلام في امرأة بالقياس إلى الظروف التي كانت
تميشها المرأة آنذاك ولا يحق لنا أن نقارنه بالوضع الحالي

ولكن لسأل أنفس أولاً ، هل للمسيحية الحق في إدعاء أنها حروب
مرأة ؟ لإحانة لا . ولكن هذا مثل بلدات ، وهو وضع امرأة في الإسلام .

بصالح لتعريف المعالجة بدراسة القرآن دراسة تاريخية مقيدة

ولا يحق للمسيحية أن ترفع نفسها عن الإسلام في هذا الموضوع لأنه لا توجد أحداث عديدة تظهر الدور الذي أدته المسيحية في سبيل تشجيع تحرير المرأة . ولكن هذه المشكلات يجب ألا تشعلنا عن المبادئ المشتركة بين الإسلام والمسيحية وأيضاً اليهودية وهي تصور هذه الديانات لله وللإنسان .

المبحث الثاني : - وحدة الإيمان بالله الواحد (التوحيد) : (140 - 142)

الإيمان يعني بالنسبة لليهودي والمسيحي والمسلم الثقة المطلقة ، غير المشروطة ، والمحددة بمكان أو زمان ، وبكل القوى الروحية بالله وبكلماته (وحيه)

ووحدة الإيمان بين الديانات الثلاثة تتجلى فيما يأتي :

1 - الإيمان بوحدة الله الذي يمت لكل شيء حياته ومفعله ، ورغم كل ما يقال عن التثليث (Trinität) في المسيحية فإن المعنى الأساسي لها هو الإيمان بالإله الواحد الأحد (توحيد) ، والمؤلف يخالف هنا المفهوم العام للتثليث) . وتتحد الديانات الثلاثة في رفضها للكفر والشرك .

2 - وتتحد الديانات أيضاً في إيمانها بالله خالقاً للعالم وتختلف في ذلك مع التصورات الفلسفية القديمة التي ترى الله المبدأ الأول أو مبدأ الطبيعة ، والنظرة الدينية هذه هي نظرة تاريخية ، فهو إله إبراهيم ويتكلم مع البشر عن طريق الأنبياء ورغم أن الله ليس شيئاً تاريخياً وهو يتعالى عن ذلك إلا أنه قريب من الإنسان دائماً . وكما يقول القرآن الكريم : ونحن أقرب إليه من حسبي الورود (ق / 16) .

3 - وتجمع الديانات الثلاثة في الرأي بأن الإنسان يمكنه أن يتحدث إلى الله (بمعنى يدعو) ، فيصل إليه حديثه ويحمده ويدعوه ويستغث به ويستعينه في الصعاب .

4 - وتصور أيضاً في أن الله رحيم رحيم يعاده بقلوبهم ولا يطردهم ولا يظلمهم شيئاً .

المبحث الثالث : قدر (فعل) الله وحرية الإنسان (142 - 144)

إن إرادة الله تتحقق بالفعل في أفعال العباد ولكن الإنسان له دور إيجابي في فعله رغم ذلك ، ومسئولية الإنسان عن أفعاله تأتي واضحة في القرآن الكريم .

فالإنسان هو الذي يستحق بفعله الثواب أو العقاب وهذا ينفي القول بأن الإنسان لا دخل له في فعله لأن كل شيء بامر بإرادة وقول الله سبحانه . وهذا يكون كل ما يقال عن التوكل (Fatalism) في الإسلام هو قول خاطيء .

ويتفق القرآن مع حرة في الإنسان مسئول عن أفعاله وحده . إن نجد بعضاً في المسيحية فرجين 'أدومسون' بأن الله هو معلن أفعال البشر لعاد ويتشبهه 'أدومسون' بوماس 'أكوي' (دومبيكان) بينما يؤكد اليسوعيون . . . (رخصة في الوقت الحاضر) حرية الإنسان ، ولكنها يتفقان في نقاط يمكن عدها أيضاً ضد الله - اليهودية والمسيحية والإسلام . وهي :-

1 - العالم لا تحكمه الصدفة العمياء ، أو قدر غامض ولكن يحكمه إله رحيم وحكيم ، خلقه للعالم وحافظه عليه وحاسبه للبشر هي علامات رحمة للمختارة بهم .

2 - إن حرية الله المطلقة ليست خطراً على حرية الإنسان النسبية بل هي مائدة لها .

المبحث الرابع - قدر أبدي وحياة أبدية : (145 - 146)

هناك نقاط أخرى تتفق فيها المسيحية مع الإسلام :

1 - القدر ، فالإنسان يخلق شقياً أو سعيداً ويتفق الإسلام في ذلك مع أوغسطين (430 م) ولونر (1546 م) ، وكالفن (1564 م) وغيرهم .

والمسيحية تعرف أيضاً أن علم الله السابق لا يعمل إجبار الإنسان على فعل ما (Determinismus) ، وكما كانت الكنيسة ترى أن غير المسيحي سوف يدخل النار فإن الإسلام يرى أيضاً أن غير المسلم سوف يدخل النار ، وكلا الرأيين يجب معيرون . ركن أن القرآن يرفض فكرة الدسب الموروث (Die Erbsünde) ترفضه المسيحية الحقيقية أيضاً ، لأن هذه الفكرة قد اخترعها أوغسطين ولا يوجد لها في الكتاب المقدس سند واضح بأن الذنب يورث من الأب للأب .

2 - وكذلك الإيمان ببقاء الروح بعد فناء الجسد ليست عقيدة إسلامية ولا مسيحية ، بل هي ترجع إلى أفلاطون ومدرسته من بعده . إن المسيحية والإسلام يؤمنان بالبعث بعد الموت والبعث يعني بعث الشخص بكامله . ولكن هذا البعث يكون عند المسيحيين بجسد مخلوق بالروحانية . ويختلف تصور الإسلام للجنة عنه عند المسيحية التي ترى أهل الجنة يكافأون فقط

رؤية الله ، بينما في الإسلام يكافأون إلى جانب ذلك بما يشتهون من
صدام وشراب ومساء

المبحث الخامس : - الشهوة والمحبة (147 - 149) :

على العكس من المسلمين ، حاول المسيحيون منذ البداية إيجاد كلمة
للحب خاصة بهم والتي يمكن إصابتها إلى الله (كصفة) ، وقد كان الفارق بين
الحب لشهواتي والمحبة الطاهرة غير واضح في أصل الكلمة اللغوي عند
اليونان ، أي كلمتي لشهوة اجسدية (Eros) والمحبة الطاهرة (Agape)
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل المحبة في المسيحية خالية من كل ما يمكن
نسبته إلى الجسد كما يدعي الإسلام ؟ ما هو المانع في أن يكون الإنسان
الذي يمشي إنساناً آخر (جسدياً) قادراً على أن يكون حبه طاهراً معطياً وليس
أماياً مفسد ؟ ولعكس ، من يجب إنساناً حياً طاهراً ، ماد يجمع أن يتبع هذا الحب
(المعطى) أيضاً حباً جسدياً (أي حب الروح والجسد الذي يأخذ ويعطي في
الوقت نفسه) .

إن تصور الإسلام عن الحب تغلب فيه الواقعية والبساطة ويهدف إلى وظيفة
اجتماعية هامة .

المبحث السادس : - الإفراط في المحبة عند المسيحيين : (149 - 151)

الصفة المميزة لعيسى (عليه السلام) هي استعداده اللامحدود للعمور
بالنسبة لأي إنسان بلا استثناء ، وليس هذا إلا تأكيداً منه على معنى المحبة
للإنسان التي ينبغي ألا تفارقه أبداً ، وكذلك خدمة الآخرين دون انتظار الجزاء أو
الشكر أو الاحتراف ، وكذلك استعداده للتنازل عن حقه يكامل حريته دون
مقابل ، والتنازل عن السلطة وعن مقاومة العنف بالعنف ، وهذا هو إرادة تحقيق
إرادة الله مكاملها بين الناس .

والسؤال الذي أوجهه الآن للمسلم هو : هل يستطيع المسلم أن يتبع ذلك
وأن يصحح إلى الأفضل كل تصرفاته مع الآخرين ؟ أليس كذلك أن المسلم
يستعمل القوة لتحقيق أهدافه الدينية والسياسية ثم يستند في ذلك إلى النبي ؟

هناك شيء هام لا بد من ذكره وهو أنه لا يمكن لمسيحي أن يستند إلى عيسى
(عليه السلام) في أي تصرف تستعمل فيه القوة (وأسأل المؤلف هنا : وماذا عن

الحروب الصليبية ، ومحاكم التفتيش ، وملاحقة العلماء ، وإحراق المتهمين
بممارسة السحر Hexenverbrennung) ؟

المبحث السابع : - معنى من خلال معاناة (كانت تبدو) بلا معنى : (151 -
153)

إن كلاً من عيسى ومحمد قد عانا الكثير وضرباً مثلاً في تحمل المصاعب ،
ولكن عيسى سار في ذلك طريقاً انفرادياً وذلك لأنه عانى (ولم يقاوم) . عانى معاناة
البريء ، معاناة الإنسان ومن تركه الله . فكان بذلك مثلاً في تحمل المعاناة فردياً
من نوعه . وعلى خلاف ذلك كان محمد يعاني ومتيقن من أن الله سوف ينصره ولن
يخزيه أبداً وبالفعل نصره وعاد سيداً حاكماً . وقد نصر الله أيوباً ، كما جاء في
التوراة ، على مرضه وحرره منه . ولكن هنا عبرة بحكمة الهية في مصير (عيسى
عليه السلام)

المبحث الثامن - الله المحبة (153 - 155)

هل يمكن القول بأن المسيحية قد بالغت في المثالية بينا الإسلام واقعي
وأقرب وأسهل للإنسان ؟ تبدو في حياة وأعمال عيسى (عليه السلام) المعاناة
والموت (على حد قول المؤلف) بطريقة واضحة (أي تتكرر في أقواله كثيراً) .
وهذا ما لا نجد بتلك الدرجة في حياة وأعمال محمد ﷺ .

فحياة وموت عيسى (عليه السلام) تؤكد أن الله إله يحب البشر ، ويدعو
إلى الحب بينهم وأنه لا يحل بذلك حتى على المحطى ، ولهذا يمكن أن يسمى أنا
وأما (؟؟) (بهذا المعنى يفهم المؤلف صفة الأب بالنسبة لله ، فهو لا يعتبرها
إشارة إلى أبوة جسدية كما هي بين البشر ولكن معنى الأبوة أي رحمة الله بالبشر
رحمة الأب بانه) . ولهذا قيل في المسيحية إن الله هو المحبة

انقطعت ابني بكما أن سعدني منها في الحوار هي : أن الله هو منبع المحبة .
وتلك هي موضوع محاضرة أخرى أعرض فيها - ندر حول نظرية التثليث

المفصل السابع

الإسلام والديانات الأخرى

عيسى (عليه السلام) في القرآن

وجهات نظر إسلامية : (جوزيف فان إس)

المبحث الأول : - حول استبعاد الإسلام للحوار : (157 - 158)

لم يكن أحد من المسيحيين يشك في أن دينه هو الأفضل ، طالما كان العالم المسيحي أو الأوروبي له السيادة وكان ينظر إلى الإسلام على أنه مجرد تعاليم أتخذت من تعاليم الدين المسيحي ، ولم يكن أحد يعترف بأصالة رسالة محمد ﷺ . وعندما تغير الوضع ، أصبح المسيحي يفكر في تلك المسألة بطريقة أخرى . والمسلم أيضاً لم يعد ينظر إلى أوروبا نظرة التقديس القديمة والدعوة إلى دراسة القرآن دراسة نقدية تاريخية تحمل خطورة صدام بين المسلم والمسيحي لأن المسلم لا يزال يؤمن بأنه ينتمي إلى الدين الأقوم . وعليه أولاً أن نتكشف صورة عيسى (عليه السلام) في القرآن .

المبحث الثاني : - عيسى (عليه السلام) في القرآن (الكريم) : (158 - 160)

يأتي ذكر عيسى (عليه السلام) في القرآن الكريم كثيراً ، وكل الآيات التي ذُكر فيها عيسى تؤكد أنه بشر وأنه بُعث في اليهود يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته . وكذلك تؤكد الآيات (الكریم) أن ما دله عيسى هو الحق لأنه من عند الله وأنه بالإضافة إلى ذلك ' أحريبعة محمد ﷺ . كما أن كل المعجزات التي نسبت إلى عيسى (عليه السلام) قد وردت في القرآن واعترف بها ولكنها لم تظهر على يديه بصفته ابن الله ولكن فقط بإذن من الله . وأنكر القرآن الصلب والقتل بالنسبة إلى عيسى (عليه السلام) . يرى « فان إس » أن القرآن قد صور عيسى كسبي مماثلاً لمحمد ﷺ وموقف القرآن من عيسى الذي يختلف عنه في الأسجيل مماثل ما جاء في

الإنجيل عن يحيى المعمدان ، والقرآن يعترف بيحيى نبياً مثل بقية الأنبياء . لقد اعترف القرآن بعيسى . وإن كان اعترافه هنا لم يتفق مع ما يتصوره المسيحيون من عيسى . وكذلك اعترف القرآن بطهيرة مريم ، واعترف بأن عيسى كلمة الله ولكن المسيحي يسيء فهم المعنى المقصود في القرآن الكريم بـ « كلمة الله » وولادة عيسى عليه السلام بغير أب لا تدل على أبوة الله له كما يرى المسيحيون ولكن تدل على قدرة الله المطلقة . كل هذه الخلافات تجعل الحوار بين المسلمين والمسيحيين عملاً صعباً .

المبحث الثالث : - الروح (القدس) : (ص 161)

يقول « فان إس » إن المسلمين يرون في موضع من إنجيل يوحنا (16 / 14) إخباراً بقدم نبيهم محمد ﷺ وفي الحديث عن قدم الروح القدس (Paraklet) بعد عيسى عليه السلام (عيد المصيرة Pfingsten 50 يوماً بعد عيد الفصح أو القيامة عند المسيحيين) . وقد سبق أن ادعى « ماني » أنه هو الروح القدس الذي اختبر بها عيسى (عليه السلام) . وكلمة الروح أنت في القرآن الكريم بثمان مختلفة فهي مرة سر الحياة كما جاء في الحديث عن مريم (سورة الأنبياء / 91) ، ومرة تكون بمعنى جبريل (عليه السلام) ومرة أخرى بمعنى كلمة الله كما نفهم من سورة الإسراء / 85 . ولكنه لم يفهم في أي مرة أن هناك إشارة إلى ما يأتي في « حجة التثليث من الحلول » .

المبحث الرابع : - اليهود والمسيحيون ، في تصور الإسلام لتاريخ النبوات (161-162)

لم يحظر بمكر أي مسلم أن يسأل عن مدى صحة ما جاء في القرآن الكريم وهذا عكس ما يفعله المسيحي . إن المسيحية ببيت على أساس اليهود (الإنجيل يفي على أساس الشريعة) هذا يعني أن العهد الجديد يشترط أسبقية العهد القديم . ولكن الإسلام يرجع بتاريخ النبوات إلى آدم عليه السلام . وأن أبناء آدم كلهم كانوا مسلمين ، فهم قد أدوا الشهادة قبل خلقهم كما جاء في سورة (الأعراف / 172) ، ثم يذكر « فان إس » الحديث النبوي الشريف : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه - إلى آخر الحديث (البخاري 1 / 456) . ولا يعتبر الإسلام اليهود والمسيحيين كفاراً على هذا الأساس

(لأنهم قد نطقوا بالشهادة قبل خلقهم) « ما حدث من يهودته » - سيحبه من انحراف بعد ذلك فمرجه إلى التحريف الذي أدخله هؤلاء في كتبهم المقدسة

المبحث الخامس : - وضع اليهود والنصرى في القرآن والشريعة (163-166)

يختلف موقف الإسلام من المسيحية عنه من اليهود . فالمسيحية أقرب إلى الإسلام من اليهودية . وبخلاف الإسلام مع مسيحية كاد في غالب الأحيان خلافاً عديداً تحمله بعض المدح لبعض النصارى ، سيما كان اليهود أشد عدوة للإسلام والإسلام أقسى عليهم من على النصارى وبعد انتصار الإسلام في حربه العربية ترك المسيحيون واليهود على ملتهم لأخبارهم من أهل الكتاب . وبنت عكس ما حدث مع الكفار . وحتى في الوقت الحاضر نجد في كثير من بلدان الإسلامية أن لغسائمه يحطون باحرام كثير من المسلمين . ويوجد آيات قرآنية تدعو إلى حرب كل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يسع ما أمر به وينهي عما هو عنه ولا يدخل الإسلام (الدين الحق) . ويشهد (فان إس) في ذلك بالآيات 29 - 31 من سورة التوبة . وكان على أهل الكتاب وكذلك الزرادشتيين أن يدفعوا الجزية ولم يجبروا على ترك الأرض أو دخول الإسلام

والجهاد في سبيل الله لا يعني الحرب المقدسة كما يفهم عادة وهو واجب على كل مسلم ، وله صور عديدة مثل نشر الدين الإسلامي بالطرق السلمية . أما الجهاد بالحرب فهو فقط عندما يتعرض بلد إسلامي لعدوان فواجب كل مسلم أن يدافع بالسلاح عن دينه ووطنه .

المبحث السادس : التطبيق العملي لعامة أهل الكتاب : (166 - 167)

كان أهل الكتاب الذين يعيشون تحت حكم إسلامي يتمتعون بحقوق لا يعترف بها لأهل الكتاب الذين يعيشون خارج الحكم الإسلامي . فقد كان هؤلاء أعداء للإسلام مثل الدولة البيزنطية حتى احتلال المسلمين لقسطنطين في سنة 1453م . وكذلك سكان بلاد الفوقاز الذين دخلوا اليهودية قبل وبعد حكم هرون الرشيد كانوا يتمتعون بحقوقهم كأهل الكتاب ، وبالإضافة إلى ذلك كانوا قد حصلوا على عقود سلام مماثلة لما حصل عليه اليهود والنصرى من الرسول محمد ﷺ

ولم يعنصر الإسلام عن حماية أرواح أهل الكتاب بل زاد على ذلك أن سمح لهم بلاحصاد يسريان قوايهم بينهم فلي يتعلق بالأحوال الشخصية والميراث وما شابه ذلك . وقد كانت فرصتهم في الترقى في المناصب الهامة كبيرة حتى وصلوا إلى الوزارة .

المبحث السابع : - التسامح في الخارج وفي الداخل : (167 - 169)

هناك في الواقع فارق كبير بين معاملة المسلمين للمسيحيين في العصور الوسطى والتي يحق للمسلم أن يفخر بها ، وبين معاملة المسيحيين للمسلمين في الفترة نفسها والتي كان يسودها الظلم الخلفي والقانوني ولكن حرية ممارسة العقيدة يجب ألا تفهم بالمفهوم الحديث لأن تلك الحرية لم توجه إلا لأهل الكتاب . فإذا نظرنا إلى الوقت الحاضر فسنجد أن الإسلام يقف موقف العداء من ديانات تعرضت ونجرت عنه مثل البهائية والأحادية فهؤلاء كلهم زنادقة من وجهة نظر الإسلام . وكذلك لا يمكن فهم الحرية الدينية في الإسلام كما فهمها نحن الآن ، لأن الحرية في الإسلام فقط في الدين الذي يعترف به الإسلام وقد جعلت تلك الحرية من طريق اتفاق يحتفظ فيه المسلم بإحساسه وإيمانه بأن دينه هو الأفضل .

وأما بخصوص المساواة بين الرجل والمرأة وكذلك العبيد فقد نجح الإسلام في إعداد مساوية كثيرة عنهم ، بمعنى أنه قد غير إلى الأفضل الكثير من أحوالهم بتحريم قتلهم ومطاردتهم وظلمهم ولكنه لم يساومهم بغيرهم تماماً .

المبحث الثامن : - الدهوة والتبشير : (170 - 171)

لقد استطاع اليهود البقاء في البلاد التي دخلها الإسلام لحسن معاملة الإسلام لهم على عكس معاملة المسيحيين لهم . والسبب في أنهم قد بقوا حتى أيامنا هذه في المغرب مثلاً بينما ذهب المسيحيون عن تلك البلاد هو أن اليهود كانوا دائماً مصطفيين وقد تحسح حاهم تحت حكم الإسلام . أما المسيحيون فقد ذهبوا أسبأ البلاد حتى دخلها الإسلام فكان ذلك بمثابة عسرة للمسيحيين فقط ورفياً لليهود . ويقول (من إسن) إن المسيحيين لم يجبروا على دخول الإسلام أحد السيف كما يقال ولكنهم مروا بتجارب هرب مئات السنين مع المسلمين وبناء على ذلك وبوازع إنساني دخلوا الإسلام وتظهر لنا التجارب أن محاولات إرغام

لشعوب على دخول الإسلام ، مثلما فعل محمود الفروي (في سنة 1000 م) في الهند ، لم تات بنتائج ملموسة ، ولكن الإسلام قد انتشر في تلك البلاد بعد إحلال السلام

إن الإسلام ينتشر ببساطة ووضوح مبدئه وسهولة لي تصل مباشرة إلى الإنسان أيأ كان . ركزه الاجتماعي أو مستواه الثقافي وفي ث ينتشر الإسلام على المسيحية .

المبحث التاسع : - ملخص : نقاط قوة ونقاط ضعف في الإسلام : (171 - 172)

إذا سئل مسلم عن راي الإسلام فسيظهر على الأقل نقطتين :

أولاً : أنه مؤسس على مبادئ عقلية في العقيدة .

ثانياً : التسامح والمساواة في التطبيق . أي أنه الطريق الأوسط المعتدل .

- الثلاث يعتبره المسلم عبثاً منطقياً . بينما هو عند المسيحية عقيدة مقدسة .

- الرهنة يعتبرها المسلم مبالغة خاطئة . بينما يعتبرها المسيحي تحرراً من قيود الحياة

- هذه نقاط القوة في الإسلام . أما نقاط الضعف هي :

يكن ضعف الإسلام في نقاط قوته . ثقة المسلم بن صحة عقيدته تجعله يعتقد أنه يجب أن يشيد العالم . أي أنه غير قادر على تصور نفسه مغلوباً على أمره . وتختلف الشيعة في ذلك عن أهل السنة ، لأنهم عاشوا فترات طويلة مغلوبين على أمرهم ، والآن يشعر الشيعة بالتموق بعد وصولهم إلى الحكم في إيران . إن نجاح الإسلام أيام النبي ﷺ جعل هذا النجاح هو الوضع الطبيعي ياتسنة للمسلم . وبعد أن قلب المسلمون على أمرهم لجأوا إلى تحي عودة المجتمع الإسلامي لأول ، وهذا هو السبب في قوة لتيار السلفي . ولا أريد لحدث عن نقاط ضعف المسيحية . وأترك هذا لكم أيها المستمعون . وقد يساعدنا الإسلام في ذلك لأنه وبحق يشكل بديلاً أصيلاً .

الفصل الثامن

(هانس كونج) إجابة مسيحية

تقدمة :

بالنسبة إلى التسامح والعلاقة بين المسيحية والديانات الأخرى . قد سبق لي النداء إلى إدخال تعديل جذري على موقف المسيحية تجاه الديانات الأخرى وخاصة بعد صدور قرار المؤتمر الكني الثاني (Vatikanum II) . ومن هذا المطلق ادعو إلى تفهم جديد بالنسبة إلى الإسلام يُعترف فيه بصدق نبوة محمد وأن القرآن كلام الله . وفي نفس الوقت أطلب من المسلمين تسامحاً عاماً وحرية دينية عامة واحترافاً كاملاً بحقوق الإنسان الذي يسوي بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات . وقد سبق لي أن أبرزت أوجه التلاقح بين المسيحية والإسلام متجنباً في ذلك الجدال السقيم .

المبحث الأول : - مدى صحة تصور القرآن لعيسى (عليه السلام) : (174 - 176)

سبق أن ذكرنا أن القرآن يعترف بعيسى ونبوته ومعجزاته ولم يكن السي محمد ﷺ في حاجة إلى إنكار ذلك لأن النبوة كانت تنمى وتعمقه وتجعله يؤمن بصحة وصدق قول عيسى (عليه السلام) . لكن القرآن حذّر بشدة من اعتقاد أن عيسى هو الله أو هو إله ثن إنما هو بشر رسول .

عيسى هو كلمة الله وتكتب ليست الكلمة التي أصبحت لاحقاً كما جاء في إنجيل يوحنا . وعذرية مريم تشير إلى قدرة الله ولا تشير إلى ألوهية أو إلهية عيسى، ويجب على المسيحي ألا يخلط تصوراتهُ هو مع القرآن وبراهينه، بل لا يفهم القرآن إلا بالفرد، ولا يفسر عن طريق الكتاب المقدس، ولا عن طريق علم

لنفس أو أي طريق آخر .

وكما أن يوحنا المعمدان هو المهد لعيسى ، فإن عيسى يعتبر في القرآن المهد لمحمد ﷺ . وميلاد عيسى يأتي في المرتبة الثانية كدليل على قدرة الله بعد خلق آدم

ولكن للاعتقاد أن دور عيسى لم يكن إحياء شريعة (قانون) سابقة كما يفهم من القرآن بل كان معارصاً لكل القوانين ومنادياً بالمحبة بدلاً من القانون وحتى في مواجهة العدو . وبخصوص صلب عيسى (عليه السلام) الذي ينكره القرآن تلك مشكلة ، لأن صلب المسيح (حل حد قول المؤلف) حقيقة واقعة في التاريخ . وأن هناك من العلماء المسلمين من يعترف بذلك . ويشير المؤلف إلى محمود محمد أيوب في مقاله المنشور بمجلة العالم الإسلامي (The Moslem World, 1980, p. 116) . ولكن ليست هذه هي أصعب المشكلات التي تواجه الحوار بين المسلمين والمسيحيين .

المبحث الثاني : - هل التثليث عائق لا يمكن التغلب عليه ؟ : (176 - 178) .

ينكر الإسلام تفلطين رئيسيتين في العقيدة المسيحية وهما :

1 - التثليث (Trinität) .

2 - تحول الله إلى إنسان ، الخلود ، (Inkarnaton) .

يشير المؤلف في هذا الصدد إلى - الآية رقم 171 من سورة النساء - ويواصل المؤلف ، هل وصلنا بذلك إلى نقطة توقف الحوار ؟ إما لا مجد رداً نهائياً من رجال الكنيسة الكاثوليكية الألمانية على ما جاء في القرآن في هذا الصدد هذا توصية بتفهم موقف المسلمين واليهود من تلك القضايا (التثليث والخلود) حتى إذا كان المسيحي لا يرى في تلك المسائل تعريضاً مع مبدأ التوحيد فالحقيقة أنه يصعب فهم هذه المسألة على غير المسيحي . وادعاء بعض علماء المسيحية بأن المسلمين واليهود قد أساءوا فهم التثليث ادعاء خاطئ لأنه لا يوجد أي داع للفرقة بين طيعة وشخص في الذات الالهية كما يفسر المسيحيون التثليث ، بل لا تبقى عقيدة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) بالتوحيد الخالص الذي لا يفرق في الذات الالهية بين أشياء مختلفة ؟ إن تفسير المسيحي للتثليث هو تفسير غير مقنع والمصطلحات التي يستعملونها وهي من أصل سوري ويوناني ولا ينبغي تريد الأمر تعقيداً . ويضيف أن تلك التصورات المسيحية لتثليث جعلت لمسلمين يكفرون النصارى الذين يقولون إن الله ثالث

ثلاثة ويستشهد بها بالآية رقم 73 من سورة المائدة .

المبحث الثالث : - نقد المسلمين لتثليث : (179 - 1980) :

لقد بدأ النقاش حول عقيدة التثليث في القرن العاشر الميلادي . وأشار كويج إلى رسالة كتبها أحمد بن أسلم وشرح فيها سبب دخوله الإسلام ، وهذا الكاتب هو حسن بن أيوب ولم يذكر المؤلف عنه أكثر من ذلك . ويذكر حسن بن أيوب في رسالته أنه دخل الإسلام بعد بحث طويل ثاق في عقيدة التثليث والخلود وترك المسيحية من أجل ذلك . وذكر المصاعب التي واجهته في أسرته بسبب خروجه عن دينه ودخوله الإسلام .

ثم يذكر قول بولس الرهب في هذا الصدد (في القرن الثالث عشر الميلادي) والذي يفسر فيه التثليث بطريقة غير مقبولة . وقد رد على بولس الرهب أحد العلماء المسلمين يدعى القرافي (ت 684 هـ / 1285 م) . ويقول المؤلف : إن رد القرافي أصبح سلاحاً يستعمل ضد هذه العقيدة من بعده وقد أوضح القرافي في رده عدم صحة حجج بولس الرهب في التثليث .

المبحث الرابع : - إيمان محاولة التعريف : (181 - 182)

لسبب في ضعف موقف المسيحيين أمام الحجج الإسلامية ضد التثليث هو أن الحجج التي يأتون بها غير مقنعة بالنسبة لتلك المسائل الرئيسة في العقيدة . ويرجع العالم الكاثوليكي « هرمان شتيجليكر » (Herrmann Stiglecker) في كتابه « عقائد المسلمين 1960 م ، انهزام مسيحية في بلادها التي نشأت فيها إلى الأسباب منها وهي ضعف حجج المسيحيين لعقيدة التثليث ، ولكن بالإضافة إلى ضعف تلك الحجج كان هناك سبب آخر وهو علاقة الكنيسة الرئيسة في روما بالكنائس الأخرى في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والتي كانت تنتم بانتعاش وعدم الاكراهات لهم . هذا إلى جانب انهزام رجال الكنيسة بتعريف المصطلحات بطريقة مبالغ فيها زادت الأمور تعقيداً . وهذه الطريقة التي اضطروا إليها بدفع عن عقيدتهم أحدها عن الرومان واليونان وهذه الطريقة أدت بهم إلى المبالغة في المذهبية والاهتمام باللفظ والبيان . فالبيونانية أثرت في مذهبهم والرومانية أثرت في صياغتهم للحجج التي كانت تعكس روح التحكم والغلبة . بينما لم يهتم الإسلام بالتعسف والتمذهب . واهتم بالتطبيق وخاصة في الشرعة

وقد ساعد على ذلك أن الشريعة والمبادئ الإسلامية عامة قد جاءت في صورة مبسطة تختلف عن مقابلاتها في المسيحية التي كانت تنسم بالتعقيد . ولا علينا من الأقسام الذي حدث في الإسلام بين الشيعة وأهل السنة . دساح لم نعرفه الكنيسة حتى عصر التنوير . احوار الآن يمكن أن يقوم على أسس راجوع إلى القرآن والكتاب المقدس (يقصد المؤلف ما فيها من مبادئ مشتركة) .

المبحث الخامس : - ما معنى : أن الله له ابن ؟ : (183 - 185)

لم يعرف عيسى (عليه السلام) المصطلحات الدينية ولا تعريفاتها ولم يتم بها ولم يسأل أحدا عنها ، فقد كان يتكلم بلغة مبسطة يفهمها جميع الناس . ولم يضع نفسه كشخص في صدارة دعوته ولكنه كان يتحدث فقط عن الله وبذلك واسمه وإرادته التي يدعو الناس لتطبيقها بينهم لخدمتهم ، فقد كان كل اهتمامه بتطبيق ما أوحى إليه والدعوة إلى التطبيق ولم يدعو إلى النظر والتفكير العميق .

ولكن كيف يمكن للمسيحي أن يقنع مسلما بأن هذا النبي (بلطف) هو ابن الله أو هو الله ؟ الجدير بالملاحظة أنه لا توجد في الكتاب المقدس سوى فقرة واحدة يذكر فيها بوضوح أن الله والكلمة (الابن) والروح شيء واحد (أنظر يوحنا 5 / 7 وما بعدها) وحتى هذه الفقرة لا توجد في المخطوطة القديمة للكتاب المقدس وهي تعتبر الآن إضافة (تحريفاً) جاء من إسبانيا في القرن الثالث أو الرابع الميلادي . ولكن ما هي إذن علاقة عيسى بالله ؟ .

قال عيسى ، في رده على من لقبه المعلم الجليل : ماذا دعائك أن تلقي بالمعلم الجليل ، لا جليل إلا الله (مرقس 10 / 17 وما بعدها) . إن عيسى لم يستعمل أبداً بعيره ابن الله ، وهذا الرأي متفق عليه اليوم من جميع الباحثين . إن عيسى كان يُسبح ويتصرف بأمر الله في رفض كل القوابين الموجودة وفي عمره لكل الذنوب (يقصد عفوه واعترافه بحق كل من أذنب في طلب الغفران) ولم يستثن من ذلك أحداً ، ولم يقتصر هذا العفو على زمن معين ولا على الحياة الدنيا فقط بل تعداها إلى الحياة الأخرى .

هذه السطة التي أعطاه الله له جعلته يزيد على مرتبة نبي عبادي مثل موسى (عليه السلام) أو غيره وكان موقفه هذا هو السبب في اضطهاد اليهود وأصحاب القوابين له حتى آل إلى المصير المعروف وصلب ، وهذا نرى ضرورة تعديل تصور القرآن لعيسى حسب ما جاء ذكره (حول المؤلف) .

لقد بدأ حدث عن سوء عيسى الله بعدما انتشر بين الناس من قيام المسيح وسوء معاملة وهو ما حصل به المسيحيون وسمونه عيد القيامة . وسروا هذا بأن عيسى لا بد وأن يكون ابن الله واستندوا في ذلك إلى فقرة جاءت في التوراة بأن من قبل أن يصعد إلى الله عن طريق جلوسه على العرش وكذلك المصوب عن طريق بعه ورمعه (برمير 2 / 7 ، 89 / 27) .

وإذا دع إلى سوء عيسى (عليه السلام) بأن الله هو دافع السلطة تقليداً لما جاء في التوراة . وهي ليست بحال من الأحوال بنوة طبيعية (فيولوجية) كما يؤكد ذلك الإسلام مراراً وما كان يحتاج به دالماً المسيحيون رغم أن المسيحيين لم يحتاجوا التوحيد عند اليهود . تلك البتة يجب أن تفهم على أنها احتيار وتكليف من الله (اصطفاة وتكليف بالتبليغ) لعيسى (عليه السلام) .

المبحث السادس : - ما تختص به المسيحية : (185 - 190)

مع دخول المسيحية إلى مناطق الثقافة ازدادت فكرة بنوة عيسى الله ، وازدادت تعقيداً بمحاولات التعريف والإقناع ، وأصبح إقناع اليهود والمسلمين بذلك مستحيلاً وكانت نتيجة التبشير المسيحي بين اليهود والمسلمين فاشلة بل وأدت إلى دخول كثير منهم في الإسلام .

ولكن كيف يمكن التوفيق بين التثليث (الله ، الابن ، والروح) والتثنية في شخص عيسى (الله والإنسان) ، ثم كيف يمكن فهم عيسى كبشر ورسول لو أمكن إثبات التثليث جديلاً . الأهم والأجدي أن نحاول التعرف على ما قاله عيسى وبلغه ، وعلى تصرفاته وحكمته . لقد بُلغ عيسى الإنسان كلمة الله وإرادته . يجب أن نفهم التثليث بمعنى أن (عيسى) الذي اتحد فيه القول والعمل ، العقيدة والحياة ، الوجود والعمل ، أصبح بذلك المعنى كلمة الله وإرادته وأبنته .

إن رسالة القرآن يمكنها أن ترداد فاعلية إذا درس المسلمون الكتاب المقدس بجديّة ، والعكس إن رسالة الكتاب المقدس يمكن أن ترداد فاعلية إذا أخذ المسيحيون القرآن مأخذ الجد وتحرروا من اللداعات .

التوحيد يعني في الكتاب المقدس الإيمان بالله الواحد الذي هو الأب والذي خلق كل شيء ، وبني إليه يعود كل شيء . ولكن كيف نوضح أو نمصر التثليث بيهود ومسلمين (يقصد المؤلف كيف يعني أن يفهم هذا التثليث عن الوجه الحقيقي ويعمل ذلك في النقاط التالية)

- الإيمان بالله ، الأب ، معناه في الكتاب المقدس الإيمان بالله الواحد ، ويشترك في ذلك اليهود والمسلمون
- الإيمان بإس الله ، معناه الإيمان بالوحي الذي أنزل الله الواحد على عيسى الإنسان .

- الإيمان بالروح القدس ، معناه الإيمان بتأثير قوة الله وقوته في الإنسان ولعالم أجمع

الأساس في العقيدة المسيحية ليس هو عقيدة التثليث التي نشأت وتلورت في الكنيسة في عصور متأخرة ولكن هو الإيمان بالله الواحد وروح الله التي أودعها الله في عيسى وتلك الروح هي التي تؤثر في حوارنا وتوجهه إلى حيث نريد (يريد الله) .

المبحث السابع : - عيسى (عليه السلام) عبد الله (190 - 191)

إذا كنا نريد أن نفهم أحدنا الآخر فهنا صحيحاً فعلينا إذن العودة إلى أصول دياناتنا ، لأن تلك الأصول هي أقرب إلى بعضها وتقربت أكثر مما نشأ مع مرور الزمن ، (المقصود هنا اليهود والمسيحيون والمسلمون) .

ويستشهد المؤلف بكتاب آخر لمؤلف فنلندي اسمه (هايكي رازين) (Heiki Räisänen) والكتاب عنوانه « صورة عيسى في القرآن » ولقد أثبت هذا المؤلف الأخير أنه لا توجد أي إشارة ولو حتى من بعيد ، إلى عقيدة التثليث في الكتاب المقدس ، وأن هناك بعض الفقرات في الكتاب المقدس تشبه إلى حد كبير ، ملحوظ ما جاء في القرآن بخصوص عيسى (عليه السلام) . إن صورة الإسلام ، الذي كان يعتبر منذ يوحنا المعمدان (ت 750 م / 131 هـ) زنادقة متفرعة (منحرفة) عن المسيحية ، لا بد أن تتمتع . إذ الإسلام ، كما يقول المفكر المعروف كاتويل (Wilfred Cantwell) ، تذكر المسيحيين بأصلهم ، ويقول باول شماترنا (Paul Schwarznau) (في كتابه : علوم قرآنية للمسيحيين Korunk unde für Christen) إن الإسلام يعيد (يحيي) التصورات اليهودية في الدين المسيحي ، وهناك كثير من العلماء المسيحيين الذين يرون أن الإسلام هو تطور للدين اليهودي والمسيحي . وجاء كثير منهم بما يؤكد براءة محمد ﷺ من كل ما اتهم به وأنه قد حفظ كثيراً من أصول الدين المسيحي . ولكنه من العريب أن هذه الأبحاث والنتائج العلمية ظلت غير معروفة بين المسيحيين حتى الآن . وما

سبق يؤكد ما جاء في القرآن من أن عيسى هو عبد الله (إنسان) تحققت فيه إرادة الله ، واصطفاه الله وميزه عن عباده الآخرين ، تحققت فيه كلمة الله ، ولم يأت فقط بالمعجزات بإذن الله إنما هو نفسه كان معجزة من معجزات الله
المبحث الثامن : - نقاط الحوار (196 - 197) :

تلك النتائج التي عرضت هنا ، تحتم على المسيحي والمسلم أن يغيروا من تفكيرهما القديم . بمعنى ألا نفكر أيما نتبع عيسى أم محمد ولكن نتبع عيسى ومحمد (عليها الصلاة والسلام) وخاصة أن محمداً يؤمن بنبوة عيسى وبأن أتباعه (أنصاره) اليهود الأوائل قد فهموه فهم صحيح . ولكن هل ينبغي علينا أن نقارن عيسى بمحمد ؟ في الحقيقة إن هذا شيء غير مهم ولكننا سوف نفعله لخدمة الحوار والسلام بين الديانتين .

ولأن هذه المقارنة سوف تعممنا الكثير ، اعتقد أن الحوار مع المسلمين واليهود حول عيسى بصفته وحي الله (كلمته) أجلى من الحوار معهم على أنه مركب من طبعين كما جاء في التصور المسيحي المتأثر بالهلينية .

المبحث التاسع : - ما كان محمد إلا نظيراً (197 - 201)

ثلاث نقاط أطرحها قاعدة للحديث في هذا الموضوع :

- 1 - كلا المسيحي والمسلم يؤمن بالله الواحد ، وكما يؤمن المسيحي بصلق نبوت آدم ونوح وإبراهيم وآباء إسرائيل ويعتبرهم مسيحين قبل المسيح ، هكذا يؤمن المسلم بصلق هؤلاء الأنبياء ويعتبرهم مسلمين قبل محمد ﷺ .
- 2 - لا يصح للمسيحي إنكار نبوة محمد الذي يشهد بنبوة المسيح اعتقاداً على أن عيسى هو آخر الأنبياء .
- 3 - يعتبر المسلمون عيسى صاحب رسالة هامة فيها خبر باقي للبشر .

تلك النقاط تؤكد أن المسيحية والإسلام ليسا نفيضين بل هما حركتين

دينيين متصلتين ببعضهما

عرفنا أن المسلم يعترف بنبوة عيسى ويعتبره من ميلاده إلى وفاته أكبر الأنبياء السابقين على محمد ﷺ ، وأن ما قاله عيسى هو الحق الذي يجب أن يتبع (لأنه لا يحسف في الأصل عما جاء في القرآن الكريم) . ولكن ألا يصح للمسلم بعد اعترافه بنبوة عيسى وصحة الإنجيل الأصلي أن ينسج ما جاء فيه من دعوة إلى ترك

أتباع القديس على حساب مصلحة الإنسان وأن ينظر إليه على أنه لخدمة الإنسان جاء من الله وليس الإنسان الذي يخدم القانون؟ (وهذه النقطة يرد عليها لاحقاً بأن إنساناً شرع الله هو نفسه خدمة الإنسان وليس على حساب خدمة الإنسان). ألا يصح للمسلم أن يدرس الإنجيل باهتمام أكثر مما يدرس الإسلام من المسيحيين وأن يؤسس علم الدين المسيحي كعلم من العلوم الإسلامية فيكون فيه امتزاج وتوحيده أكثر لوجهات نظر المسيحيين؟

ألا يجب على المسلم أن ينظر إلى عيسى، ليس كما يصوره المسيحيون فيرفضه، ولكن لينظر إليه على أنه إنسان بلغ رسالة بأسلوب بسيط يفهمه كل البشر وأن المحبة للإنسان كانت تحلوه كما ملأته تقوى الله والزهد في الدنيا رغبة في الله الذي عمره بنوره؟

وكيف ينبغي أن يرى المسيحي «معمداً»؟ هناك الآن كثير من المسيحيين الذين يرون فيه نبياً لكثير من شعوب الأرض ويعرفون انتصاراته الكبيرة. وكما أما لا يطالب المسلم بأن يصبح مسيحياً أو أن يصف نفسه بثلاث أصص، لا نطلب من المسيحي أن يصبح مسلماً أو أن يغير اسم فيه ويسميه الإسلام. ولكن ألا يسمى على مسيحي الذي يعترف بأتباعه كثيرين قبل عيسى أن يعترف أيضاً بسيرة محمد اعترافاً جليلاً؟ وأن يأخذ ما جاء في القرآن من تحذير وتنبؤ مأخذ الجدل وأن يصح إيمانه بالله الواحد أساساً للعقيدة وأن يرفض كل ما يشير إلى الشرك بالله؟ وأن يؤمن بأن العقيدة والحياة، النظر والتطبيق يشملان السياسة ويحددان فيها؟ ولم يعتبر محمد نفسه سوى نذير نبي و... ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ وما أنا إلا نذير مبين ﴿ (الأحقاف / 9) .

بالنسبة لي شخصياً «كونج» فإنني عندما اخترت عيسى مرشداً لي في حياتي وعملي، وأمنت به مسيحياً قد اخترت أيضاً معيماً بنفس المعنى، طالما أنه جاء بما جاء به عيسى من الإيمان بالله والدعوة إلى عدم الشرك به كما قال عيسى (عليه السلام).

لم يعد التبشير سواء من المسيحيين بين المسلمين أو من المسلمين بين المسيحيين له أي داع، الأصح من ذلك هو الإيمان بالخلفاء الدينية من جانب المسيحيين وكذلك من جانب المسلمين ولينعلم كل منهم من الآخر. والقاعدة التي يجب أن نطلق منها في الحوار الذي نريد منه السعي إلى التفاهم المشترك بين

المسلمين والمسيحيين - هي أن يوضع للإسلام في الموضع اللائق به كدين حقيقي يبلغ الحقيقة الثالثة التي لا تتغير. وفي تلك الحال يمكن أن يتقدم المسيحيون كثيراً من الإسلام بما يتويج عقيدته واتجاهه الذي يسمى أن يحظى حدوداً اعتناكياً ولشخصيات واجتماعات. ونحقق هذا الهدف يسعى على المسلمين أيضاً تقدير عقيدتهم الأصلية وما جاء به من تأكيد على استمرار مصداق الله ونشر والتي جاءت في صور متعددة وأن يطبقوا ذلك بالفعل في مواجهة عالم متعدد العقائد.

ملحوظات على الفصول السابقة

لم أحاول التدخل كثيراً أثناء عرضي لأهم نقاط هذا الكتاب القيم بالرد لأسباب منها

- 1 - أردت أن يقرأ القاري ما يقال عن الإسلام دون تدخل غريب
- 2 - أنني أحتج بالردود على أهم النقاط التي اختلفت فيها مع كل من المؤلفين، وأوردت لها لباب الثاني من هذا الكتاب، والذي يصل حجمه إلى صصف السور الأولى على وجه التقريب.

ولكنني أود أن أتبع إلى أهم ما جاء في هذا العرض السريع وفي الوقت نفسه السبب الذي دعاني إلى تقديم هذا الكتاب مخصصاً باللغة العربية:

- 1 - إننا نعيش الآن مرحلة هامة في تاريخ تطور الأديان، فيها تغير جذري لبعض المفاهيم الأساسية عند كل دين تجاه الدين الآخر، وهذه المراحل تسمى بمحاولة التقريب بين الديانات.

- 2 - و- يكون هذا التطور هو نوع أو أسلوب جديد للتبشير وخاصة من جانب المسيحية تجاه الإسلام بعد أن فشل أسلوب التبشير التقليدي، ولكنني أميل إلى فهم تلك المرحلة فهماً آخر وهو أن هناك بالفعل انفتاحاً ومحاولات جدادة لدراسة الإسلام وفهمه وتصحيح التصورات القديمة التي بدأت في القرون الأولى المسيحية وازدادت وازدهرت في العصور الوسطى وعادت إلى الازدهار في عصور الاستعمار الأوروبي لبلاد الإسلام.

فهذه الكتاب يذكر أبحاثاً حادة وحجينة ويظن فيها حسن النية والله أعلم.

- 3 - إن المؤلف الرئيس العالم اللاهوتي هانس كونج قد قال ووضح ودل على كل ما قال بأسلوب علمي متقن ما لم يجرؤ عليه مسيحي منذ القرن الأول الميلادي إلى يومنا

هذا ، وهذا باعتراف كثير من علماء اللاهوت والمُستشرقين وفي مقدمتهم المُستشرق الألماني جوريف فان إس الذي عرّض وجهة نظر الإسلام .

4 - إن ما قرره هانس كويج يعود بالمعقبة المسيحية في كثير من أسسها إلى المسيحية الأصلية التي دعى إليها عيسى عليه السلام ، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به والإيمان بالرسول والأنبياء قبله . وطور هذا إلى حد الاعتراف والدعوة إلى الاعتراف بنبوّة محمد ﷺ وصدقه وصلّى وحي الله إليه . ويخلص موقفه من المسيحية والإسلام فيما يلي :

1 - يرفض عقيدة التثليث رفضاً تاماً ويثبت أنها أضيفت في القرن الثالث أو الرابع الميلاديين ويعد تأثير المسيحية بالثقافة الهلنستية والرومانية وأنه لا يوجد أي دليل عليها في الكتاب المقدس الأصلي .

2 - يؤمن بالله ويوحّدانيته ويرفض كل ما يشوب ذلك مما جاء في عقيدة التثليث من أن عيسى ابن الله ، ويعتبر عيسى إنساناً في الدرجة الأولى قد اصطفاه الله وكلمه برسالة بلغها وعاشها من ميلاده حتى مماته (رفعه إلى السماء) وأن عيسى تحققت فيه كلمة الله التي هي دليل قوته وعظمته ، وفضله الله بذلك على سائر الرسل السابقين .

3 - يؤمن بأن محمداً رسول الله ويأتي بالأدلة على ذلك مبيّناً أوجه الشبه والتشابه به ﷺ وبين سائر الأنبياء السابقين .

4 - يؤمن بأن القرآن وحي من الله وليس من تأليف محمد ﷺ ، ويجدير بالذكر أن هذا القول لم يقله أحد من قبله من المسيحيين أو اليهود أو أصحاب الديانات الأخرى أو الملحدين المعروفين (على حد علمي) .

5 - يؤكد صحة ما جاء في القرآن عن عيسى عليه السلام ويرى فيه تكريماً وتعظيماً يعوق ما جاء في أقوال رجال الكنيسة الذي زاد الأمر تعقيداً وجعل الناس تهرب من المسيحية ويدخل كثير منهم في الإسلام أو توجهوا إلى ديانات أخرى أقل تعقيداً من المسيحية .

6 - إنه يسمي بالحوارات الإيجابية في الإسلام (من وجهة نظره) ويعتبر ركيزة في محاولة تحقيق حوار خريه بين المسلمين والمسيحيين ، وقد جاء حديثه عن تصورات إسلامية يرى ضرورة إعادة النظر فيها من جانب المسلمين حديثاً

ينبثق فيه حسن الية ولكنه مبني (من وجهة نظري الشخصية) على أساس معرفة غير كاملة استند بها من كتابات بعض المُستشرقين وعلماء اللاهوت المسيحي عن الإسلام

7 - إن هدفه من هذا الحوار هو إحلال السلام في ديانات لتوحيد وخص بالذكر هنا الإسلام والمسيحية دون أي محاولة لاستبعاد ذلك الحوار لهدف التبشير :

يريد هذا القول أهمية أن « هانس كويج » أحد أعلام الفكر المسيحي في الوقت الحاضر وأشهرهم . ويلاحظ أن هك نقطاً تختلف فيها مع كل من المؤلفين ولكن ليس المكان هنا هو للرد عنها كما أسلفت . الأهم هو أن نستبشر خيراً للإسلام فما هو تحقيق وعد الله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر / 9) .

وأخيراً أهيب بكل من وهبه الله علماً باماً وأقدره على الدعوة إلى دينه الخفيف أن يتزع عنه ثوب الخوف من عاقبة الحوار مع غير المسلمين ما دام في قلبه ثقة في دينه .

الباب الثاني

تحليل ونقد

مدخل

أحتوى الباب الأول على عرض موجز لأهم ما جاء في القسم الخاص بالإسلام والرد المسيحي عليه ، وقد تعددت عدم التدخل في هذا العرض بالقدر أو تعليق أثناء ذلك العرض السريع ، مؤحلاً ذلك لى مكان مستقل يحتم هذا العرض فقط ، وهو الباب الثاني الذي أضعه الآن أمام القارىء ، داعياً القارىء عز وجل أن يوفقني إلى الإسهام بجهدي المتواضع في الدعوة إلى دينه الخفيف عن طريق إلقاء الضوء على بعض ما يدور في العالم العربي تجاه الإسلام والمسلمين ، ويحجبه عما حاز اللغة ويعد المكان ، أصف إلى ذلك المخاوف التي تسببها عن كثير من المسلمين تجاه موضوع مثل موضوع هذا الكتاب ، وهو الحوار ، تلك مخاوف بني تشأ عن عزة على الإسلام ، ولاحتيال أن يكون مثل هذا الحوار وسيله حديثه من وسائل انتصير لتي سحاً بينها الغرب المسيحي ، بعد أن فشلت وسيله أخرى انتقدت ، فتلك مخاوف لما مررواها ، ولكن لنسأل أنفسنا : هل نقضتة وهروب من الميدان في صالح الإسلام ؟ أم هي حجة علينا مع الآخرين ؟ ألا يمكن أن يفسر هذا الهروب بأنه عدم قدرة على المواجهة ؟ وليت ذلك يقع عند هذا الحد لكن نذهب التساؤلات إلى أبعد من ذلك ، فيقال : إن كد كبار علماء المسلمين ليس هدمهم الرد على ما يوجه إلى الإسلام من حجج ، ألا يدن هذا عن أن الإسلام لا يملك الرد أصلاً ؟

أي موقف هذا الذي يضع أنفسنا فيه ، ونحن أصحاب العقيدة الصحيحة الكريمة المتكاملة ، وأي نقصير هذا في واجب الدعوة إلى الله ؟ التي أمر بها بقوله

تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . ﴾ (الآية 125 من سورة النحل) .

إن هذا الكتاب من أخطر ما ظهر في الغرب عن المسيحية من أحد رجال الكنيسة والعلماء الكبار ، وإن كان ليس فريداً في كل ما جاء فيه ، سواء بالنسبة إلى المسيحية أو الإسلام ، فبعد سنته كتابات في بلاد العرب ولولايات المتحدة ولكنها لم تصل إلى درجة كتاب هذا في الوضوح ، ولم تثر ما أثاره من ردود فعل بلغت أكثر من خمسين تعليقا ونقدا باللغة الألمانية . . . وحدها .

ولقد تمكنت من جمع وفرء تلك التعليقات في خلال شهري يونيو ويوليو من هذا العام ، ولأسف الشديد لم أجد سوى رفاً واحداً من أحد العلماء المسلمين ياتجئراً جامعة إكستر نشر في مجلة (Studia Islamica) العدد 66 - 1987 وهو للاستاذ عزيز العظمة .

وفي لقائي الأخير مع المؤلف « هانس كوخ » ، وكذلك استعاني إلى بعض محاضراته التي ألقاها عن الإسلام في تلك الفترة ، لاحظت أنه قد عُدَّ عن بعض وجهات نظره حول بعض النقاط المتعلقة بالإسلام ، وكان ذلك نتيجة لـ سجنه من ملحوظات على ما كتبه في هذا الموضوع ، ورحاني مراجعته قبل نشره ، أذكر هذا هنا لأوضح للقارئ أن المؤلف يحترم وجهات النظر الأخرى ويريد أن يفهم الإسلام من بعض أهله وسأل الصبيحة ويعمل بما يقنع به ، كما يقول ، أليست هذه فرصة ثمينة لعلمائنا الأفاضل أن يسهموا في تصحيح بعض ما يقال عن الإسلام في الغرب ؟

يطلق المؤلف في كتابه الذي أمثوله هنا بالمناقشة من موقف مشترك بين ديانات التوحيد الثلاثة ، وهي بالترتيب الرمزي : اليهودية والمسيحية والإسلام ، ويقرر في المقدمة أن هناك نقاط التواء بين تلك الديانات الثلاثة ، تحسرها عن الديانات الأخرى غير السابوية ، مثل الهندوسية والبوذية (ص : 16 ، 17) ، وقبل ذلك يبرر عدم تعرضه للدين اليهودي في هذا الحوار بأن الدين اليهودي له وضع خاص بالنسبة للمسيحية ، لأن المسيحية قد نشأت عن يهودية - على حد قوله - وهذا يضيء على مشكلات الحوار بينها طامعاً خاصاً وحساسية تكاد تجعل الحوار مستحيلاً في مثل هذه الظروف .

ولى جانب اليهودية فقد استبعد ديانات الصين الشعبية من الحوار بحجة

أن الحرية الدينية في جمهورية الصين الشعبية غير متوفرة من الناحية التطبيقية ، وإن كانت مكتوبة نظرياً

لقد نذر المؤلف في المقدمة (ص . 22) أنه لن يترك شيئاً ذا قيمة في أي دين من الديانات التي تتمثل في الحوار دون أن يجزئه ، وكذلك لن يترك أي شيء عديم القيمة دون نقد ومراجعة

وهذا نبي لؤب عن غيباس الذي رخصه المؤلف للحكم على شيء بأنه ذو قيمة أو عديم القيمة ، هذا المقياس هو تأكيد ، وفي سيظهر لنا خلال متابعة الكتاب ، مقياس شخصي متأثر بأحكامه وبصورته مدت في سنة بعيدة عن مشأ هذا الدين أو ذلك ، نعم ، لا يفعل شرعي مديسر قد يتفق فيها معظم ذوي العقول السليمة ، ولكن يبقى هناك بالتأكيد جزءاً متصح فيه آثار المؤثرات غريبة عن العقول الأخرى ، ولأولى هذا أن ينذر المؤلف أنه سيبدل الجهد في سبل الوصول إلى حكم على مبدأ معين في دين آخر من خلال تصور وفهم أصحاب هذا الدين أو ذلك ، وهذا ما قاله المؤلف بالفعل في مواضع عديدة من الكتاب .

وقبل أن أبدأ في مناقشة أهم ما جاء في هذا الكتاب بالتفصيل ، أود أن أته القارئ الكريم إلى ما يأتي :

1 - سأتناول نقاط المناقشة حسب ترتيب ورودها في الكتاب وليس بحسب أهميتها .

2 - لن أقتصر على إظهار أوجه النقص والخطأ ، ولكن سأحاول أيضاً إظهار ما صدق فيه الكاتب وأحادي ، ودعنا نبدأ بحلقة نقده العلمي

3 - يجب علينا ألا نسي أن المؤلف مسيحي ، ومن كبار رجال الكنيسة سابقاً ، وأنه مهما أراد إنصاف الإسلام ، فإنه يظل تحت تأثير دينه وعصمه ، ويتضح ذلك بوضوح عندما يذكر بعض في الإسلام تكون من وجهة نظره غير صحيحة ، أو تحتاج إلى إعادة نظر وتفسير جديد .

4 - والشيء المهم في هذا المجال ، أن لؤب قد استمى أكثر معذماته عن الإسلام من المشرقين العربيين الذين لم تسلم تصورات الكثير منهم من الخطأ غير المقصود أو المقصود . والمؤلف يعترف بذلك في بداية عرضه لوجهة نظره كمسيحي ، وقبل ذلك في المقدمة .

5 - وكما سفي الأ نبالغ في التفاؤل عندما يذكر محاسن الإسلام ويفصلها .
 . ارفع عنها وطئه يكاد أن يدخل في الإسلام ، أو هو قد أسلم بالفعل ، ويجب
 نسباً أيضاً ألا تصرف النظر كلية عن كل ما يذكره من آراء وتصورات طيبة تجاه
 الإسلام ، بسبب بعض التصورات التي لا تتفق مع لتصورات الإسلامية ،
 . حسداً أن سعد بما يشهد به للإسلام ، ويدعوه له داعية فيما لم ينصح اسمه حتى
 لأن

إن عدم اكتيال فهم أي إنسان غربي للإسلام هو دليل على تقصير المسلمين
 أنفسهم في حق دينهم ، وليس السبب دائماً هو تعصّب وتغصّب الآخرين لدينهم ،
 كما يحولنا غالباً أن نعم .

6 - سوف أناقش فقط أهم المشكلات ، ويختصم غير مهمل إن شاء الله .

• يشترط المؤلّف في هذا الحوار ، عدم اقتناع أي مشترك أنه يملك الحقيقة كاملة ،
 وأن الآخرين قد حرّموا هذه الحقيقة ، بل عليه أن يعتقد أن الجميع يمكنهم
 الحقيقة ، أي أن الحقيقة ليست في دين واحد ، ولكنها موزعة بين الديانات
 كلها (ص : 22) .

في هذه النقطة نجد أن المؤلّف قد خالف بني ملته الذين يعتقدون أن المسيحية
 هي الطريق الوحيد للخلاص ، وفيها كلّ الحقيقة ، ولا حقيقة خارجها ، وهو
 يختلف من ناحية أخرى مع الإسلام الذي هو كلّ الحقيقة ، لأنه جمع ما في
 الديانات كلها ، وهو خائفتها .

• لقد سبق التنبيه إلى أن القسم الخاص بالحوار بين الإسلام والمسيحية مشترك
 بين : هانس كونج ، الذي تولى الرد المسيحي ، والمستشرق الألماني جوريف
 فان إس ، الذي تولى عرض مبادئ الدين الإسلامي والأرقام الموجودة بين
 أقواس هي للكتاب الألماني .

الفصل الأول

مناقشة

«وجهة نظر إسلامية - جوزيف فان إس»

المبحث الأول : رايه في نشأة مبدأ الشورى في الإسلام

بدأ « فان إس » حديثه عن الإسلام بعرض لصورة الإسلام في الإعلام
 لعربي ، وحكم عليها بأنها لا تمثل الواقع ، وهي تبعد في غالب الأحيان عن
 الحقيقة ، ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب .
 أولها الأحكام المسقاة (الخاطئة) .

ثانياً : الخوف الدائم من الإسلام دون الديانات الأخرى

ثالثاً : سطحية المعرفة أو عرضها عن الإسلام ، والتسرع في استنتاج الأحكام

ثم يتحدث بعد ذلك عن حياة الرسول ويوضح أنها كانت تختلف تماماً عن
 حياة عيسى (عليه السلام) ، ثم ذكر زواج النبي من السيدة خديجة ، وإجابته
 من أربع فتيات واثنين أو ثلاثة - كما يذكر - صبيان ، ولكن الصبيان قد توفاهم
 الله في سن مبكرة ، ويعتبر « فان إس » وفاة أبناء الرسول في سن مبكرة أمر
 أهمية ، ويلاحظ أن تلك الأهمية التي يَبْه إليها « فان إس » بقصد أنها أن وفاة أسبه
 كتب مسأ في اتحاد مبدأ الشورى في اختيار حليفته ومن أن بعده ، مبدءاً عام
 لاختيار الخلفاء الراشدين ، والأمر لا يقتصر هل هذه النتيجة ، بل يتعداه إلى
 كـ : « عمق من دلت ، حتى يصل إلى صلب العنيدة للإسلام وأساسها ، فمن
 يعلم أن مبدأ الشورى نابع من القرآن الكريم وقد برئت في شأنه الآية الكريمة
 ﴿ وَأَنزَلْنَاهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُتَّقُونَ ﴾ (لشورى ، آية : 38) .

فالقول بأن الشورى جاءت نتيجة لوفاء أسماء الرسول لأنه لم يكن له وريث
 يرثه ، كما يستنتج من قول « فان إس » هو تشكيك في ألوهية مصدو آيات القرآن

الكريم ، وما يجهو هذا الاستنتاج هو موقف « فان إس » من مصدر القرآن الكريم ، كما يفهم من حديثه تحت عنوان (شكل ومضمون الوحي الجديد - ص : 36 - 39) ، حيث يقول :

« إذا كان محمد قد قبل فكرة يوم الحساب ، فإنه قد فعل ذلك وأصياً بأنه يكرر نموذجاً يهودياً ومسيحياً ، ولكنه كان مقتنعاً بأنه سيخضع في صيغة جديدة » (ص : 36) ، ويزداد الاقتناع بذلك عندما نقرأ ما يصف به آيات القرآن الكريم (ص : 38) بأنها غير مرتبة زمنياً ، « صراخ وصيغ قسم غير مبهومة يرتبط بعضها ببعض من طريق نثر ركيث ... » إلى آخر هذه العبارات التي لا أجد داعياً لذكرها .

وليرجع « فان إس » إلى بعض ما كتبه العلماء المسلمون الأوائل في أسباب النزول وجمع القرآن وترتيب آياته ، أذكر منها على سبيل المثال : «مشكل القرآن» لابن قتيبة (276 هـ) ، «مشكل إعراب القرآن» للقيسي (437 هـ) ، «أسباب النزول» للواحدي (468 هـ) ، «المغني في علوم القرآن» لعبد الرحمن بن الجوزي (597 هـ) ، ولو أنه اكفى بقراءة كتاب «الإنفاذ في علوم القرآن» ، لجلال الدين السيوطي (911 هـ) و«مفحات القرآن في مبهات القرآن» للمؤلف نفسه السيوطي ، لكان قد عرف أن المسلمين الأوائل ما كانوا ليغفلوا عن معالجة أمور هي من أصل العقيدة ، وليردوا بها على من يشك في صحتها إن وجد ، و« فان إس » لا يأتي هنا بجديد ، فقد أثبت مثل هذه التشبهات في القنيم والحديث المعاصر ، من قوم معظمهم لا يعرف اللغة العربية ، أو يستكلف ويستصعب القراءة في كتب أوائل المسلمين وإن كان ينتظر من مستشرق يتمتع شمه الكثيرين من مستشرفي العرب ألا يعوته قراءة بعض تلك المصادر التي ذكرتها ، ونبي ألف الكثير من أمثالها ولا يتسع المجال لسردها .

ولعلنا هنا نعود إلى محاسبة أنفسنا ، نحن المسلمين أولاً ، فإن الكثير من تلك الكتب النافعة لم تنزل مخطوطة ، وما حقق منها لم يعرض بلغة أخرى أجسية حتى تكون حجة على من تجاهلها وخالف .

المبحث الثاني : السمة الغالبة للقرآن الكريم

ويعود بنا « فان إس » ليتحدث بصراحة عن أن محمداً قد نقل عن العهد القديم وعدل فيه ، لاقتناعه أنه يعرف النص الحقيقي للكتاب المقدس وأن السمة

العالة في القرآن الكريم هي صور العذاب والتعذيب

ويسو لها واضحاً أن « فان إس » اعتبر عدد الآيات التي ورد فيها الوعيد بالعذاب بكثرة ، ولو أنه تأمل معاني تلك الآيات ، وتأمل معاني آيات الرحمة وسعد ، لعلم أن رحمة تعالى ومغفرته وسعت كل شيء سوى الشرك به ﴿ وينا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ (عافر ، آية : 7) ﴿ قل يا عبدي الذين أسرفوا عن أنفسهم لا ينقظوا من رحمة الله ﴾ (الزمر ، آية : 53) ، وأن الله قد كتب عن نفسه رحمة ، دل تعالى ﴿ كتب على نفسه الرحمة ليجمعكم إلى يوم اقيامة لا ريب فيه ﴾ (الأنعام ، آية : 12) ، ودل تعالى ﴿ قل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ (الأنعام ، آية : 54) ، وقد وصف تعالى كتابه الكريم بأنه هدى ورحمة ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (يونس ، آية : 57) ، ﴿ وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (النمل ، آية : 77) ، وقد وصف تعالى رسوله الكريم بالرحمة ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء ، آية : 107) ، وغير هذه الآيات الكريمة الكثير . هل يبقى لمن يتأمل معاني تلك الآيات الكريمة ما يدعي به هذا الادعاء الذي لا يدل سوى على عدم فهم معاني القرآن الكريم . وقد كان يكتبه فهم معنى الآية الكريمة ﴿ قل يا عبدي الذين أسرفوا على أنفسهم لا ينقظوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (الزمر ، آية : 53) . ويرى لحكم الموروث ضد الإسلام ضمن تصورات العصور الوسطى للإسلام ، فيقول « فان إس » في (ص : 39) هو (محمد ﷺ) يعتقد أنه يفهم معنى ما قرأه في العهد القديم بطريقة مختلة وأفضل مما (فهمه الآخرون) ، ويتضح أيضاً من ذلك أن « فان إس » يعتقد أن محمداً كان يقرأ ، أي أنه لم يكن أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب ، لأن « فان إس » يفسر كلمة « أمي » بمعنى أمي أي من ينتمي إلى أمة لم ينزل عليها كتاب سماوي كما ذكر في (ص : 47) ، وهو هنا يخالف ما جاء في القاموس المحيط بشأن هذه الكلمة في فصل الحمزة باب الميم ، الجزء الرابع ، ص : 76 ، وهناك يقول الفيروز آبادي : « والامي ... من لا يكتب أو من هو خلقه الأمة لم يتعلم الكتابة ، وهو باق على جليته وهذا القول بشرطيه يوضح أن محمداً ﷺ الأمي لم يكن يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم الكتاب ، ويؤكد ذلك المعنى الثاني في محيط المحيط (ص : 17) .

وخديث هنا يدور حول الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ والذين يتبعون

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل إلى الله
الآله رقم 157 من سورة الأعراف

وكذلك الآيات الكريمة التي نثبها من قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله
النبي الأمي الذي يؤمن بالله ﴾ إلى آخر الآية : 158 من سورة الأعراف .

وكذلك الآيات الكريمة التي تدل على أن المؤمنين هم من لا يعلمون الكتاب
الآية : 78 من سورة البقرة (2) ، والآية : 20 من سورة آل عمران (3) والآية
رقم : 75 من نفس السورة والآية رقم : 2 من سورة الجمعة (4) .

ومنها كان من الأمر ، فإن دلائل نبوة محمد ﷺ وصدق الوحي وإعجاز
القرآن ، لا تعتمد على أمية الرسول فقط ، بل دلائل ذلك كثيرة جداً كتب
القرآن ودلائل النبوة . ولورجع « فان إس » إلى ما كتبه القاضي عبد الجبار ، في
إثبات دلائل النبوة ، ودلائل النبوة للمحافظ الأصمعي ، كذلك القاضي أبو بكر
الناقلاني في إعجاز القرآن ، لما بقي لأدعائه ما أي أساس تذكر .

المبحث الثالث : تغيير القبلة من القدس إلى الكعبة

ويفسر « فان إس » تغيير القبلة من القدس إلى الكعبة بأنه كان رد فعل من
محمد ﷺ على تصرفات اليهود تجاهه وغضبه منهم (ص : 40 - 41) ، بينما
تقول الآية الكريمة : ﴿ فَنُزِّلَ بِذَلِكَ فِي السَّاءِ فَلَوْلَيْكَ فَلَمَّا رَضَاهَا ،
فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ كُنْتُمْ فَوَلُّوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَإِنْ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾
(الآية رقم : 144 من سورة البقرة ، وكذلك ما يليها من الآيات الكريمة حتى
الآية رقم : 150 من نفس السورة) .

وهذا التفسير (الاستشراقي) يتفق مع ما يعتقد المؤلف من بشرية مصدر
القرآن الكريم ، وقد سبق ذكر ذلك من قبل ، وسنرى في كل ما يتعلق بالقرآن
الكريم ما يدل ويذكر بمطلق المؤلف « فان إس » من بشرية مصدر القرآن ، وعدم
افتقاره بما جاء في كتب التفسير لتلك الآيات وسبب تكرار الأمر الإلهي بتعبير
القبلة . والمعروف أن هذا الحدث كان أول ناسح وقع في الإسلام على ما نص
عليه ابن عباس وغيره ، وكما جاء في تفسير ابن كثير بشأن تلك الآيات الكريمة في
الجزء الأول ، ص 192 - 195 (دار المعرفة ، بيروت) .

وفي صفحة (42) من الكتاب ترجم « فان إس » نهاية الآية الكريمة رقم

93 من سورة الإسراء (77) خطأ ، فوضع بين كبير
المعطف وترجمها بشراً ورسولاً ، والصحيح (بشراً ورسولاً) .

وكما ستلاحظ أخي بناء على هذه الترجمة الخاطئة
فقد ذكر أن المسم يتصل بين لرسالة والرسول ، أي « رسول الله »
مصدر الرسالة على عكس النصارى الذين جعلوا عيسى «
الكلمة وليس نتيجة لكلمة أمر الله » وكن « وجعلوا غير
البشر .

وهذا هو السبب - كما يقول « فان إس » - في
المعجزات التي جاء بها عيسى (عليه السلام) ليست سوى
أظهرها الله على يديه وليس كما يعتقد النصارى أنه فعله نتيجة
(ص : 43) وهذا مهم صحيح .

المبحث الرابع : جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه وترجمته

ويقول « فان إس » (ص : 43 - 44) إن القرآن قد
سعدان (رضي الله عنه) وأن هناك نسخاً أخرى من القرآن
كانت غير كاملة أحياناً ، وقد احترقت ، ويحصر على ذلك مع
أن تعرف عنها (النسخ الأخرى) شيئاً ، لعله كانت توجد في
مرغوب فيها تميزت بها ، ولعل « فان إس » يقصد أشياء مشابهة
القرآن ، ومن شأنها إظهار أي نقاط ضعف تتيح نقله أو إنلوه
ويشارك في هذا الفهم لذلك الموضع كثير من قراء هذا الكتاب
وهو يتجاهل السبب الأول لجمع القرآن الكريم ، وهو
والقراءات التي حُثي أن ينجم عنها اختلاف في الفهم والتفسير
وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد غير عربية (راجع :
القرآن الكريم ، خالد عبد الرحمن العك ، ص : 71 - 108) .

ويقرر « فان إس » بحق أن المسلمين جميعاً يؤمنون
موحى من الله كلمة بكلمة ، ولا يعتقد غير ذلك سوى
يختلف الموقف عند النصارى ، فإن النصارى لا يعلو
الأصلي ، وكل ما عندهم هو ترجمات عملت بها الكيسة ،
يعودوا إلى النص الأصلي للوحي ، بل كل ما فعلوه هو أنهم

لكتب المقدس . ويضيف أن المسلمين يعتقدون عدم إمكان ترجمة القرآن
إلى لغة أخرى ترجمة حرفية ، وكل الترجمات التي صهرت حتى الآن ليست
عداً على فهم النص الأصلي لا أكثر (ص : 44 - 45) ، وقد أصاب « فان
» لأن هذا الفهم له ما يبرره في طبيعة الترجمات ، فإن الترجمة بإجماع
مخصصين ما هي ، لا انعكاس لفهم المترجم للنص ، أي هي نوع من التعبير
وتد احتفظ لقرآن الكريم بنصه وأصله نتيجة سريته بالله العرب القديمة حية
في ذات الوقت ، وهذا بخلاف اللغة التي نزل بها الوحي على عيسى (عليه
السلام) ، فقد كان (عليه السلام) يتحدث الآرامية التي هي من اللغة
العربية ، ثم كبت بعد ذلك الأساجيل بالعربية ، ثم ترجمت إلى اليونانية
واللاتينية ، ثم إلى اللغات الحية ، ولقد فقد الأصل العبري ، ولم يبق سوى
الترجمة اللاتينية ، والتي ترجع نشأتها إلى القرن الرابع الميلادي (راجع محاضرات
في النصرانية ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ص : 51 - 62) ، وهذا هو السبب في
أن النصاري ينظرون إلى نص الأساجيل نظرنا إلى كتب التفسير التي يمكن فيها
الاختلاف والنقص ويحور عليها النقد وتطبيق المنهج التاريخي النقدي .

فهم عندما يبدون بتطبيق المنهج التاريخي النقدي في دراسة القرآن الكريم
يسون أو يتساون أن القرآن الكريم أصل وليس ترجمة أو تفسيراً كتاب آخر ،
وهذا ما يبطل ضرورة إحضار القرآن الكريم لمثل هذا المنهج ، فلما أن الأساجيل
كانت أصولاً كتبها أو أملاها عيسى (عليه السلام) لما استطاعوا تطبيق هذا المنهج
عليها ، ولأنهم بنصها دون دراسة تاريخية نقدية ، التي يتعالى عليها كل وحي
إلهي غير محرف أو مترجم .

ولا أريد هنا أن أتعرض لما أورده « فان إس » من وصف لأيات القرآن
ومواصلها أو ترتيبها ، لأن الإنسان ذا المستوى العادي من الذكاء يستطيع أن
يرفع مثل هذا الافتراء ، وخاصة أنه صادر من أعجمي ليس له بالعربية أي
صلة غير الدراسة وتعلمها على يد أهاجم ، لا يرقى مستواهم في اللغة إلى نقد
نص لا يستطيعون فهمه دون الاستعانة بقواميس اللغة العربية ، والقواميس
ترجمة ، ولا يستحق الأمر وقفة طويلة عنده لوضوحه وبديهته ، ويضج ذلك في
موقف يكون فيه وصف لغة فيلسوف مثل « هيجل » التي يصعب على الألماني
الأصل فهمها ، بأنها لغة ركيكة ، صادراً عن غير ألماني ، لما أن مصور أول رد
فعل هل ذلك من آتباع هذا الفيلسوف ، رغم الفارق الجوهرى بين كلام منزل

من الله ، وبين كلام إنسان مهما بلغ من درجات الصلابة في اللغة والبيان .

ويمكن القول عن « حاء » في تلك الفقرة من إدهاءات ، أنها مجرد ترديد لما
كان يقال في المصور لبعض المسيحية ، والتي تسمى في الغرب عصر الجهالة ،
وتلك الافتراءات يرفضها « فان إس » في بداية حديثه ثم يرددها هو بأسلوب
آخر ، ويخالف ما وعد من التزام بالمنهج العلمي .

المبحث الخامس : إيجاز القرآن الكريم

وحول إيجاز القرآن الكريم ، يذكر « فان إس » أن الإيجاز ، وبسميه هو
نسباً - انتصار الروم - بترجمها البيروني - من بعد أن غلبوا أول ما اعتبر معجزة
للقرآن ، ويذكر ترجمة الآيات الكريمة (رقم : 2 - 3 من سورة الروم) ، ثم
يذكر أن العرب قد شككوا من احتلال أحرار من أراضي الدول لبيرونية واستولوا
على القدس ، وأخذوا الصليب ، ثم جاء بعد ذلك بوقت قصير البيروني بقيادة
هرقل وردوا القدس ، واستعادوا الصليب ، وقد أجهت تلك الحروب - القروس
والروم - وذلك ما مكن العرب من هزيمتهم .

وقد يكون هذا التحليل لانتصار العرب صحيحاً ، فتوافق أو قد تختلف
معه فيه ، ولكن السؤال هنا : ما علاقة تلك الأحداث التي ذكرها « فان إس »
بإيجاز القرآن الذي أراد أن يتحدث عنه أصلاً ؟ لعله أراد هنا أن يذكر القاريه
الأناني بأن انتصار العرب على أقوى جيوش العالم آنذاك في تلك الفترة القصيرة لم
يكن بقره إيمانهم ونصر الله لهم ، ولكن بضعف تلك الجيوش من جراء الحروب
انطاحه بينها .

ثم ينتقل إلى الحديث عن الإيجاز اللغوي للقرآن ، يقرر أن التنبؤ (كما
يسميه هو) بالمستقبل ، لم يكن كافياً لدلالة على إعجاز القرآن ، ثم يقول إن
لاعتقاد بأن القرآن من وحي الله جعل الناس يعتقدون عدم إمكان إثبات بطله ،
وب - سأل - من هذا العالم بالعلوم الإسلامية في سورة البقرة الآيات
الكريمة التي تحدثت عن بؤس بطله ولو اجتمعت الإنس والجن ، والإيجاز
بأنه لم يستطيع إثبات بطله ، فيقول تعالى (الآيات : 23 - 24) « وإن
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من
دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تعملوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها

الناس والنجارة أجذت للكافرين ، فكيف صدق هذا الإخبار؟ وهل يعقل أن يتحدى أحد آخر بشيء يعرف هو أن من يتحداه يستطيع أن يأتي بمثله؟ وإذا كان ذلك ممكناً فأين هذا المثل ، أو الدليل عليه؟ إن التراث لا يعرف محاولة مكتوبة أو غير مكتوبة لهذا المثل سوى ما روي عن مسيلة الكذاب ، وما روي أو نقل عنه ، يشهد بصديق ما أخبرت به الآيات الكريمة وليس العكس .

ثم إن الدارس لتاريخ الفكر الإسلامي يعرف أن العرب ما كانوا بحاجة إلى الحديث عن إعجاز القرآن اللغوي إلا بعد أكثر من قرن بعد ظهور الإسلام ، وهذا دليل على أن هذا الأمر كان واضحاً لهم تماماً ، وهم القوم الذين كانوا على جاهليتهم أفصح الناس وأعلمهم بأساليب البيان والملاحة ، ولم يتركوا وسيلة يحارصون بها الإسلام إلا واستجمعوها ، وما أهون أن يلجأوا إلى نقد وتفنيد القرآن ، وبيان عدم إعجازه لغوياً ، ومن ثم إنكار رسالة محمد ﷺ دون اللجوء إلى الحرب أو العنف .

وأما إذا كان « فان إس » يعتبر ذهاب بعض المتكلمين إلى أن إعجاز القرآن لم يكن في لغته وبيانه ، وإنما فيما سمي بالصرف ، مثلاً وروي عن النظام المعنوي ، فهذا أمر مردود عليه ، بأن ظهور هذا الرأي لم يكن نتيجة لظهور ما يعارض به القرآن ، حتى يفهم أن اللجوء إلى الصرف رجوع عن الاعتقاد بالإعجاز اللغوي ، وإنما جاء بعد أن تأثر بعض المتكلمين بالثقافات السريية الهندية والفارسية ، وخاصة كتاب البراهمة (الفيدا) الذي كان يذهب بعض أتباعها أنه معجز لأن الله منع الناس من تقليده احتراماً ، كما جاء في (نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن - السيد أحمد خليل ، ص : 11 / 12) .

ولو أن « فان إس » قرأ في كتاب الجاحظ (ت : 255 هـ) المسمى بالعنائية (ص : 16) بهذا الخصوص نصاً يورد معظم التشبيهات التي اختارها هذا المستشرق ليصف بها الرسول ﷺ فكان اختار أسلوباً آخر يحمي به عدم معرفته بنظم القرآن ، وقد احترت هذا النص من بعض كتب الجاحظ دون غيره ، لعلني أن « فان إس » متخصص في الاعتزال الذي يحتل فيه الجاحظ مكانة مرموقة ، لا تخفى على مبتدئ في علم الكلام الإسلامي ، فضلاً عن صلاحته في اللغة العربية ، وهذا هو النص :

« فأما معرفة صحيح الكلام من سقيم ، وحقه من باطله ، وفصل ما بين

معرب ، و بدلي والاحتباس من حيث يؤق المحدثون ، والتجسط من مكر الخدع ، و... من سحر ، و... من الساحر ، وخبرة الشيء ، ورجح الكاهن ، وأحذر محسن ، و... من نظم القرآن وتأليفه ، ونظم سائر الكلام وتأليفه ، فليس يعرف لرق حصه وحلاف البحث حتى يعرف القصد من ليرجز والمحمس من الأسح ، و... من السور ، والخطيب بين الرسائل ، وحق يعرف العجز معارض الذي عور ، و... من المعجز الذي هو صلة في الذات ، فإذا عرف صوف لتأليف عرف مائة نظم لعرا عن مثله ، وأن حكم لشعر واحد في المعجز الصمي ، و... في المعجز لعرض »

ولعله يرجع إلى ما جاء في كتاب آخر للجاحظ وهو الخيوان (ج : 4 ، ص : 32 ط التقدّم) حيث يقول الجاحظ : « وفي كتابنا المبرل الذي بذلنا على أنه صدق نظم البديع الذي لا يقدر على مثله العبد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به » . ثم يرجع إلى ما قاله الباقلاوي (403 هـ) في كتابه « التمهيد » (ص : 125 - 126) وكذلك في « إعجاز القرآن » (ص : 51 - 72) حيث يعدد الباقلاوي وجوه الإعجاز القرآني ، وإن كان كل الكتاب المذكور يبحث عن الإعجاز ويدلل عليه بأقوى الأدلة العقلية .

ولو رجع « فان إس » إلى كتاب أحدث من ذلك هو كتاب السيوطي « معترك الأقران في إعجاز القرآن » ، الذي يعرض فيه السيوطي (ت 911 هـ) لوجوه الإعجاز في القرآن ، ويقابل بالشعر وما شابه ذلك .

ولو قرأ « فان إس » في سيرة ابن هشام (ج : 1 ، ص : 265) ما دار بين الوليد بن المغيرة وبين أهل قريش بشأن الافتراء على الرسول الكريم عند حضور الححيح إلى مكة المكرمة لصددهم عن الإسلام ، وقد رفض الوليد ما اقترحه القوم من وصف الرسول ﷺ بأنه كاهن أو مجنون . . . إلخ . لعرف أن ما أتى به ليس بجديد ومردود عليه من أعداء الرسول .

وهذا قليل من كثير ترحر به كتب إعجاز القرآن ، والتي يعرفها كل مشتعل بالعلوم الإسلامية ، ولعل إشارة تعيب عن الرد على ما جاء في هذا المقال من « فان إس » حول ترتيب آيات القرآن ، وتركيبها غير المتسق من افتراءات تعتقد كل دليل علمي ، ونجافي المنهج العلمي الذي يدعي هو التمسك به وأتباعه ، فمن أين لأعجمي ادعاء أن القرآن فيه ركائز في اللغة (ص : 46) ، هذا

القرآن الذي أصبح فيما بعد مقياس اللغة العربية في قواعدها وبيانها وشعرها وبشرها حتى اليوم ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، علو آني اهتمت أسلوب وجوته الشاعر الألماني بالركافة لسخر نلس مني ، رغم إلامي باللغة الأدبية رحادتي لها لدرجة التأليف بها ، فكيف بمستشرق مهم العربية باستعمال القواميس مثله مثل معظم المستشرقين ؟

ويمجد « فان إس » بهذه الاتهامات ذكرى - « ويونيد مارتيني » المظهر « لستوماس الأكوييني » في القرون (13) الميلادي ، ومؤسس محاكم التفتيش ترنس ، والذي إدعى أن للقرآن غير معجز في اللغة ، إلا أن « ويونيد مارتيني » تعنى في دراسة القرآن ، وكان يتقن العربية ، ويحفظ الصحيحين كما يذكر نجيب عقيقي في « المستشرقون » (1 / 119) وقد دعاه هذا إلى محاولة معارضة القرآن ، فألف نصاً كنه سقامة في الوصف وحلال في لفصاحه كما يذكر قاسم السامرائي في كتابه « الاستشراق بين الموضوعية والاعتالية » (ص : 90) الذي أورد النص المذكور في الصفحة نفسها .

ويذكر « فان إس » في أسلوب هو أقرب إلى التهكم منه إلى المنهج العلمي أن نزول القرآن باللغة العربية الفصحى فيه إقلال من قلبي النبي الذي كان يتحدث أيضاً لغة عربية بفطرتة ، ويقول : إن محمداً كان يجب أن يتكلم العامية بدلاً من الفصحى . ريب قص هو . ويقول في العقرة التي نبيها في الصفحة نفسها ص (47) إن سكان الجزيرة العربية كانوا يتحدثون لغة عربية صحيحة ، وأن الأخطاء جاءت بعد دخول العجم . ن أرمن وفرس وأتراك وبربر . . (ص 48) ، ورغم أن ما يذكره « فان إس » بهذا الأسلوب لا يستحق التوقف والمعارضة ، لأن ذلك لا يكون إلا للحجج التي تتسم بأسلوب علمي هادئ . إلا أن أقل ما يقال هو أن مستشرقاً يدعي التبحر في العلوم الإسلامية والعربية إلى حد التعمق هل وصف أسلوب القرآن الكريم بالركافة ، كان عليه أن يعرف أن القرآن قد أنزل بلغة قريش ، وهي لغة فصحي ، وهي اللغة التي كان يتحدث بها رسول الله ﷺ وأن ما يسميه لغة عربية فصحي ما هي إلا تلك اللغة التي أسست على أساس ما أنزل به القرآن الكريم ، فعلم اللغة في شكله الذي نعره اليوم هو علم قد تأسس بعد نزول القرآن وليس قبله .

ثم إن الإعجاز اللغوي للقرآن لا يكمن فقط في كونه بلغة عربية صحيحة

فصيحة إلى أبعد حد ، بل في نظمه ، وما يسمى بعم المعاني والبيان ، وأرجع في هذا إلى كتب أسباب النزول وإعجاز القرآن ، وهي كثيرة لا داعي لسردها هنا .

المبحث السادس : معجزات النبي ﷺ :

ومواصل « فان إس » حديثه هل نفس اسوال ، قيدكر فيما يتعلق بالمعجزات التي تنسب إلى النبي ﷺ أن علماء الدين الإسلامي قد قلّدوا التصدي في إدعاء معجزات لرسول ﷺ وسوا في هذا لصد أهم بذلك يناقصون ما جاء في القرآن الكريم من التأكيد على بشرية الرسول ﷺ ، وراحوا يسألون - على زعمه - الثغرات الموجودة في القرآن الكريم بأقاصيص من الأدب الشعبي لأنه لم يمد يكميهم وصف النبي ﷺ بأنه بشر ، وراحوا يترمونه من الأخطاء ، ولقد كان للمتصوفة في هذا المضمار النصيب الأعظم ، ونسوا أنه كان ولغة 40 عاماً - على زعمه - كافراً (Heide) .

وتتوقف هنا عند نقطتين هامتين ، وهما :

أولاً : ما زعمه من اختفاء احتمال خطأ النبي ﷺ وإدعاء أنه منزّه عن الخطأ بعد ذلك ، هذا القول يدعي أن « فان إس » لم يقرأ القرآن ، لأنه لو قرأه لعرف أن الله أنزل في حقه الآية الكريمة : ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (الآية : 3 من سورة النجم) أي نزّهه عن الخطأ ، ولم يترك هذا التنزيه إلى البشر الذين جاءوا من بعده ، وتأثروا بالتصاري ، كما يدعي « فان إس » ، والرسول ﷺ منزّه عن الخطأ في القرب غير الموحى ، وهذا ما نراه في الحديث الشريف الذي رواه الدارمي في سننه (ص : 125) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهني قريش ، وقالوا : نكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في العصب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه ، وقال : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما أخرج منه إلا حقاً » ، فالمعصية هنا مصدرها إلهي ، وتختلف عن المعصية التي إدعاها الساد لنفسه ويؤمن بها « فان إس » بصفته كاثوليكيّاً .

والنقطة الثانية : هي ما زعمه أن النبي ﷺ كان قبل بعثته كافراً أو وثناً ، وهذا ما تعنيه الكلمة الأدبية التي استعمالها ، والرد على ذلك ليس بعسير ، فالعروف عند كل من اشتغل بالعلوم الإسلامية من المسلمين أو من غير ملتهم ،

« انبيي ﷺ كان موحداً على دين إبراهيم (عليه السلام) قبل بعثته ولم يؤلف موحداً أو متبعداً لغير الله ، وكان يذهب كما يذكر التاريخ إلى غار حرا ، ليعبد الله فيه على دين التوحيد .

واكتفي بذلك القدر من التعليق على أهم ما جاء في الفصل الخاص بالإسلام ، والذي ألفه « فان إس » تحت عنوان « وجهات نظر إسلامية » وقد أيد أن تلك الوجهات لا تمت إلى الإسلام بشيء .

وفيما يلي أستعرض أهم ما جاء في الرد المسيحي ، والذي قدّمه المؤلف رئيس لكتاب الذي أضافه ، وهو « هانس كونج » ، وسوف أعلق على أهم النقاط فقط التي تستلزم الرد ، أما ما تنفق فيه وجهة نظر المؤلف مع وجهة نظر المسلمين ، فلا أجد داعياً لشكراره ، ويرجع في ذلك إلى الباب الأول من هذا الكتاب ، أو إلى الكتاب لأهلي باللغة الألمانية ، وتوجد له أيضاً ترجمة باللغة الإنجليزية .

الفصل الثاني

الرد المسيحي

« هانس كونج » -

حدث الأول : نظرة المسيحيين إلى الإسلام عبر تاريخ

يبدأ « هانس كونج » مقالته بالإشارة إلى مقال السابق من « فان إس » ووصف ما جاء فيه بأنه يثير الدهشة والإعجاب بالدين الإسلامي وبسببه ﷺ ، ويقرر أن الإسلام لم يزل ويعبد مضي 400 عام على ظهوره ، ودعم قريته جغرافياً من أوروبا شتياً وخيفاً ، ويصف ما يكتب عن الإسلام حديثاً في الغرب حول العودة إلى الإسلام من جديد متمثلة في اليارات الإسلامية التي تزداد قوة في الآونة الأخيرة ، والتي تحرر بعض الانتصارات في البلاد الإسلامية بأنها تثير خوف العرب من الإسلام ، دور التيارات الأخرى لمحاربة للمسيحية ثم الودعة والمندوسية ، ولعل أقرب احمر في يكون س في تلك المحاور من حظوة الإسلام ثم به إلى أن من يريد معرفة لإسلام معرفة حقيقية يجب عليه أن يتعلمه من المسلمين أنفسهم ، ولا يعتمد في ذلك على ما يكتب من غير المسلمين عنهم . والغريب أن هذا الرأي يصدر من رجل من كبار رجال الكيسة وعلمائها ، وكان من باب أولى أن يصدر عن بعض العلماء المتخصصين في دراسة الإسلام أي المستشرقين ، حيث تتوقع لموضوعه وللقدر العلمي لمسي عن معرفه الأشياء من مصادرها الأصلية ، وليس تكرار ما قيل قرون ، ونسب إلى حظه كثير من أهل ملتهم منذ بدايات هذا العلم عن « فان إس » لم يكن قبل ذلك

ويصره هانس كونج ، أن البحث في الإسلام ومحاربة معرفته في أصله من واحبات لتد التوحيد للكنائس ويعد - - شبه إلى أنه يفهم مصطلح توحيد الكنائس فهي تختلف عن المقصود به أصلاً ، فهو - - ي أن من واجب هذا التيار ، إلى جانب السعي في توحيد الكنائس مسيحية ، السعي إلى التقريب بين

الديانات السايوية ، وهي اليهودية والمسيحية والإسلام .

ويقسم « هانس كونج » المراحل التي مر بها الفكر المسيحي تجاه الديانات الأخرى ، وخاصة الإسلام إلى ثلاث مراحل .

أولاً : من مرحلة الجهل أو التجاهل ، ثم إلى مرحلة التكبر ، ثم إلى السامح .

فيقول إنه حتى القرن السابع عشر الميلادي وبعد ترجمة القرن الكريم في 1141 م بما يقرب من 500 عام ، كانت صورة الإسلام في انطباع قامة وعدائية ، إلى أن جاء الكسندر روس Alexander Ross وكتب كتاباً باللاتينية عساه « عبادات في كل العالم » ، وحتى ذلك الحين كان النبي ﷺ لا يذكر إلا بالنشائم والافتراءات ، كان الهدف من ذلك إظهار المسيحية في صورة مثالية ، فلم يكن الهدف من دراسة الإسلام هي معرفته على حقيقته ، ولكن للاقتراء عليه بهدف حماية المسيحيين من الخروج عن الكنيسة .

ولم يؤثر في ذلك التيار الظالم ما كانت تحتله العلوم العربية من مكانة عالية ، وخاصة الفلسفة والطبيعية والطب والاقتصاد . . . الخ ، ولم يكن من الممكن أن تنشأ مذهب دينية مسيحية مثل التي جاء بها « توماس الأكويني » دون معرفة مسقة بالتراث العربي ، ثم تلا ذلك مرحلة أخرى انحطت فيها تقدير التراث الإسلامي مع بداية عصر النهضة .

ويذكر المؤلف أن البابا قد أمر بإحراق ترجمه القرآن بعد صدورها مباشرة ، عندما ازداد تهديد الأتراك للعرب وحصارهم لمينا (1529 م) ، وكان « مارتين لوتر » (مؤسس البروتستانت) قد شجع على ترجمة القرآن من العربية إلى اللاتينية ، ولكنه ما كان يقصد بذلك سوى إظهار ما فيه من أخطاء - كما يدعي « مارتين لوتر » - والمهجوم عليه . ولم تنجح بعض المحاولات التي قام بها بعض العلماء لدراسة القرآن دراسة تقرب من الموضوعية ، فقد كانت تحرم مثل هذه الكتب ، وتسحب من المكتبات ، مثلما حدث مع كتاب « دين محمد » الذي ألفه « أدريان ريلاندز » (1705 م) ، ولم يتغير ذلك الوضع إلا مع بداية عصر التنوير .

ويذكر « هانس كونج » ضمن ما نشر عن الإسلام في عصر التنوير مؤلفاً لأحد شعراء وفلاسفة ذلك العصر ، وهو كما يدل عليه اسمه يهودي الأصل

جوتنبولد افرانيم ليسج Gotthald Ephraim Lessing (ت 1781) وهذا الكتاب هو « نادن الحكيم » والذي أراد به « ليسج » الدعوة إلى التسامح العام بين الديانات السايوية . ويتلخص مضمون هذه الفصحة في أن هناك ثلاثة حوائث (تعبر عن الديانات السايوية الثلاثة) بينها خاتم من الذهب الخالص ، ولا أحد يعرف أيها هو الذهب الخالص ، بسبب تماثلها التام . وقد عرض مؤلف الفصحة شخصية « صلاح الدين الأيوبي » في صورة مثالية للحاكم الحكيم ، ولتتوقف عند هذه الفصحة التي تعتبر دعوة للتسامح بين الديانات السايوية الثلاثة بعض الوقت ، لتأملها فوجد أن ظهور هذه الدعوة في ألمانيا موافق لظهور تنظيم الماسونيين في إنجلترا في عام 1717 م ، ووصل إلى ألمانيا في سنة 1737 م ، حيث افتتح أول معبد لها باسم « أسالوم » في هامبرج ، أي في أثناء حياة مؤلف هذه لفصحة (ولد سنة 1729 م ، وتوفي سنة 1781 م) .

فيما تنادي الماسونية بالإخاء الإنساني ، وتغطي الحواجز الدينية والسياسية بين البشر - كما يزعمون - ، نجد أن دعوة التسامح التي ينادي بها « ليسج » تخص أصحاب الديانات السايوية فقط ، وتلك مرحلة أولى لإذابة كل الديانات السايوية فيها وغير السايوية عيها بعد

وتختلف هذه الدعوة عما يدعو إليه « هانس كونج » في أن الأولى تعتبر الحقيقة في دين واحد من تلك الديانات السايوية الثلاثة ، والاثنين الباقيتين ليس فيها من الحقيقة إلا مظهرهما ، بينما دعوة التقريب التي ينادي بها « هانس كونج » تعتبر أن كل دين من تلك الديانات السايوية له نصيب من الحقيقة ، وهي جميعها طرق صحيحة تؤدي إلى الحقيقة الواحدة ، وهي الخلاص ، وهو ذلك يسلب كل دين على حدة حقه في اعتبار نفسه الدين الحق الوحيد ، وهذا اختلاف جوهري بين هذين الاتجاهين .

ثم يذكر « هانس كونج » غمادح من كتابات غربية عن الإسلام ، يظهر فيها احترام للعرب والإسلام ، مثل ديوان « جوته » Goethe الشاعر الألماني بعنوان « ديوان العربي الشرقي » (1819 م) ، وكتاب توماس كارليل Thomas Carlyle بعنوان « النطل » محمد » نبي صادق The Hero as Prophet (1840 م) .

وقد جاء مع القرن التاسع عشر انقداً كبير في الاستشراق مع عصر الاستعمار العربي ، والذي صاحبه ظهور دراسة تاريخية قديمة للعلوم الإسلامية ،

وكان ذلك مهدداً لاختفاء البركة المتعصبة تجاه الإسلام ، وظهر معها في القرنين 19 ، 20 مؤلفات فيها تعاطف وإنصاف للإسلام ، ذكر أهمها في الباب الأول من هذه الدراسة .

ويفرر المؤلف أن العودة إلى الأسلوب القديم تجاه الإسلام كوسيلة لتحصيل المسيحيين ضد الديانات الأخرى أصبحت مستحيلة .

ولنسأل المؤلف عما عن رأيه فيما كتب « فان إس » فلو تأمل « هانس كونج » ما ذكره « فان إس » في مقاله لعرف أن العودة إلى الأسلوب المتعصب القديم ليست مستحيلة بتلك الدرجة التي يظنها ، ولكن لعله لم يرد إظهار زميله المستشرق بصورة عبر لافتة ولا متوافقة مع ما يدعيه « فان إس » لنصه من الموضوعية والعممية التي لم تتأثر بالأسباب التي ذكرها « هانس كونج » ، والتي كان من شأنها - من وجهة نظره - أن تمنع مثل هذا القسوط في أسلوب المصنوع الوسطى ، ومن هذه الأسباب :

وجود الكتب العديدة لأقرب إلى الموضوعية ، وكذلك وسائل الإعلام ، وهذا العدد الهائل الذي يبلغ مئات الآلاف من المسلمين الذين يعيشون في القرب ، هذه الأسباب جعلت الفهم الصحيح يحتل محل الاحتقار ، والدراسة محل التعميم ، والحوار بدلاً من التنصير .

والواقع المؤسف لا يؤيد ما يذكره « هانس كونج » ، فإن الإسلام لم يزل عربياً عن العريبيين ، وليس الدف في ذلك إلا دسنا نحن المسلمين

وينبه « هانس كونج » إلى أن الوقت قد حان لمحاولة معرفة الإسلام من داخله ، واستكشاف الأسباب التي جعلت المسلم ينظر إلى الله والعالم وعادة الله وخدمة الإنسان ، وكذلك السياسة والفنون نظرة تختلف عن نظرة الآخرين ، ويحس بقله ما لا يحس به المسيحي

المبحث الثاني : صدق نبوة محمد ﷺ وأدلة

ويقول في (ص : 53) : « قبل كل شيء لا بد أن نعرف أن المسلم لم يزل يرى في الإسلام كلاً لا يتجزأ ، بخلاف ما يراه العلمانيون بالنسبة إلى الدين ، فالإسلام يشكل بالسية للمسلم حتى هذا الوقت نظاماً متكاملًا للحياة من جميع نواحيها »

يرى المسلم نفسه - مع - كماله - في دينه ، ويأخذ منه ليعطي ما يأتي بعده ، وهي سلسلة متبعة مرتبطة ببعضها بعض . ويعارض ذلك الرأي بقوله إن هناك في التاريخ تطورات تثبت عكس ذلك ، لأنه من المعروف أن هناك أشخاصاً يظهرون في تيار التاريخ الذي يسير في اتجاه واحد ، ويحاولون تغيير هذا الاتجاه ، وتعديل مسار التاريخ ، وأن محمداً هو أحد هؤلاء الأسياء الذين سجدوا في تعبير مسار التاريخ العالمي ، وأن بداية التاريخ المجري (الإسلامي) هي بداية حقيقته لتاريخ تستحق هذه التسمية ، وإذا كانت هناك نبي يسمى « النبي » معروفاً ، فهو بالتأكيد النبي محمد . ثم يأتي بعد ذلك بالأدلة على صدق نبوة محمد ﷺ ويوضح ذلك بإظهار أوجه التماثل والتشابه بين النبي ﷺ وسابقه من الأنبياء المعروفين ، المعترف بنبوته من كل الديانات السبوية (ص : 57 - 58) .

ويقول إن المسيحية لا بد لها من تصحيح نظرتها إلى النبي محمد ﷺ ، وما لا شك فيه :

- 1 - أن العرب كانوا على حق عندما اتبعوا النبي محمداً في القرن السابع الميلادي .
- 2 - أنهم ارتفعوا من مجرد عبدة أوثان إلى أتباع دين توحيد عظيم .
- 3 - أن القرآن فيه - ما لا ينتهي من مواقف الشجاعة والقوة - وهو بداية جديدة لظهور حقيقة أكبر ، وإيمان أعمق مما سبقه ، وهو انطلاق إلى إحياء وتجديد الديانات السبوية السابقة .

فالإسلام عون كبير (ضروري) للحياة .

وبلاحظ ما الحديث لطيب عن النبي محمد وعن الإسلام . وما لا شك فيه أن المؤلف يستحق المدح هذه الشهادة الشجاعة ، وهي شهادة الحق ، ولكنا نود بعد هذه الشهادة الحريّة أن يعترف المؤلف بما بقي من الحقيقة ، وهو أن يشهد بأن الإسلام هو آخر الديانة السبوية ، وأن محمداً آخر الأنبياء المرسلين ، فهذا استنتاج منطقي من مقدماته التي ذكرها ، وخاصة عندما يعتبر الإسلام إحياء وتجديداً للدين الذي كان موجوداً ، وهو يقصد بذلك دين إبراهيم وموسى وعيسى ، وقوله إن الإسلام إحياء وتجديد لهذا الدين اعتراف بأن هذا الدين المتوارث كان قد انعدم أو حُرف ، وهذا اعتراف خطير يكذب ادعاء اليهود والنصارى بصدق وأصالة عقيدتهم ، ويؤيد ما جاء في القرآن الكريم حول الدين

منه (سبحان) ، بعدد ثمان وخمسة ، وتنتهي عنده ، وهو ما يعده المؤلف ، أنه و ذكر كثيراً من القضايا والسلطات الصراية ، وأرجع صده ، و تأثيرات رومانية يونانية هندية أي غربية عن الدين الأصلي .

يجب أيضاً ملاحظة أن المؤلف يؤمن بوحدة تلك المذاهب لثلاثة بوجوه مصدرها الإلهي في صورتها الأولى ، وهو بذلك التصور يقرب من وجهة النظر الإسلامية في هذا الصدد .

المبحث الثالث : القرآن وحي الله المكتوب

وفي حديثه عن القرآن الكريم ، وهل هو وحي الله (ص : 61) ، يقول أن القرآن وحي الله المكتوب ، وهو لم يحرف ، ولم يضاف إليه شيء ، غير القبول والأخبار والبدل والأشخاص ، أو حتى تغييره ، ورغم اختلاف مذاهب التفسير إلا أنها متزجة بما جاء في القرآن ، ولا يجحد عنه أحدًا إلى حد الحد يتبع المؤلف مع المسلمين في مطرئهم إلى القرآن الكريم ، الذي هو ليس فقط مقام عادة ، ولكنه دستور حياة لكل حي ، وعتمد عصورها وظروفها .

إلا أنه يقول إن القرآن شئت الأوصاف يشه الكتاب المقدس وخاصة فيما يخص الأصالة ، أي عدم تحريف النص الموحى ، والواقع الذي اعترف به هو أن الكتاب المقدس قد غير وحرف وأدخل فيه ما ليس منه ، كما سبق ذكره في مسألة التثليث والوهية عيسى (عليه السلام) الخ ذلك

والشيخ الحديث عن القرآن الكريم يحله بعدد خلال عرصه لدلالة القرآن الكريم وشمول منهجه لجميع نواحي الحياة العملية والعلمية وحتى الفنية الجمالية ، ويحرص لأراء بعض علماء العرب المؤيد لذلك ، مثل : ولغريد كاتنويل سميث (Wilfred Contwell Smith) ، وزملاء ويلارد أوكتروبي (Willard Oxtoby) يؤكد من جانب أن القرآن وحي من الله ، ولكن من جانب آخر يشك في أن كل كلمة في القرآن الكريم جاءت من الله ، أي أنه باختصار يعتقد أن القرآن مضمونه قد أوحى من الله ، ولكن الصياغة اللغوية كانت بشرية ، والاستنتاج من هذا الرأي ، يقول : إن القرآن قد أوحى بالمعنى والمحتوى وليس بالشكل واللغة ، وهذا الرأي هو الذي أدى بالذائب إلى الاعتقاد بمائلة القرآن الكريم للكتاب المقدس ، وهذا فهم خاطيء .

وليس يخص أصالة وحي خارج الدين الصراي بهذهب «فروخ» ، إذ أن لمهديين عديدين وأحدهم بمسائل إمكان وجود الوحي الإلهي بين الشعوب غير الصراية . ويخرج من ذلك بأن القرآن هو وحي من الله ولا بد لكل صراي بهم الكتاب المقدس أن يعترف بذلك (أنظر ص : 53-62) .

إلى هذا الحد يصح موقف «فروخ» ، وأما ما ذهب إليه الإسلام ، ونكس من يلي هذا ، فيطور بؤيد أن «أيزف» مصنف على معرته بمرآن الكريم بأنه لا يخلط عن الكتاب المقدس في شيء ، وأن ما يجوز عن كتاب المقدس يجوز أيضاً عن القرآن ، ونسب ما شئت معاً وحلوا بما يفرق بين الكتابين المقدس والقرآن . وهو أن الكتب المقدس عسره عن أحوال زواجر بعض من عصر المسيح (عليه السلام) ، و«معاصره» ، وهي فوار عن عيسى عنه السلام ، وليست «أوبه» نفي قلها ، أي ليس هي ما وحي إلى عيسى ، بل ما حكى عنه ، وهذا يختلف بلا شك عن كتاب يتفحص لنظ ما أوحى إلى محمد ﷺ وليس فيه من قول البشر اللاحقين أي شيء . وقد ترتب على هذا الفهم غير الصحيح أنه نادى بتناول دراسة لمرآن مقدية تاريخية ، كما هو حال دراسة «الكتاب المقدس» ، وهذا الموقف أساسي ولا بد من مناقشته فيه ، والتنبيه إلى الاختلاف الطبيعي بين طريقي المقارنة ، والقرآن كله وحي الله ولا عمل للإنسان فيه سوى الشافي والكتابة والقراءة ، وأما نص الكتاب المقدس ففيه وحي الله وفيه عمل الإنسان ، ولا يعترف الإسلام بقدسيته ، وهو الذي تناوله الدراسات العلمية بالنقد والسلام (ولما الباني أي ما جاء على لسان غير عيسى ، فهو القسم الذي لا يعترف الإسلام بقدسيته ، وهو الذي تناوله الدراسات العلمية بالنقد والتحليل ، ونظر إليه نظرنا إلى كل قول بشري ، وتقيبه بالمعايير النقدية التاريخية ، ولا يوجد في القرآن الكريم مظهر لهذا القسم ، ولا يقابله الحديث النبوي ، كما يفرا وسيع من بعض المسلمين ، لأن الحديث النبوي الصحيح هو في حجة صديق القرآن الكريم لاتعاقبها في وحدة المصدر الإلهي

ويأيد ذلك ما وجد ، في عدد من الكريم أن النبي لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى) (سورة النجم : 1-3) ، وكذلك الحديث الشريف عند جاء ، نبر بكر وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر الذي كان يكتب الحديث النبوي رغبة في ترسيخه في ذلك في لدهيه ، حيث قد

الرسول معروف. « حسب توافقي معه ، يبدو أنه حرج منه (من قومه الخبيث) إلا حقا (سنة المأثور) ، ص: (125) .

ولكن يبقى هناك وجه للمقارنة وشم ذلك بين الحديث النبوي والتفسير الروحاني من الكتاب المقدس ، وهو أن كليهما روي الله ولكن بكتابات البشر (درب تاييج توبين هي القرآن الكريم ، خالد جبة الله الملك ، ص: 25) ، سب القرآن الكريم هو يعرفه روي أبي وليس للتفسير شيء لا في هذه ولا في معناه

ويستاهل وكويج و عبا إوا كان هناك تجاه لسراسة القرآن دراسة بعيدة تاريخية من فقط من علماء العرب ، بل من بعض رجال الحضورية واليونانية ، بل ومن بعض الطلبة المسلمين الذين يدرسون في جامعات أجنبية ، وتساعد على ذلك الكتابات العربية عن الإسلام التي لم تعد مروضة علما من المسلمين ، لأنها بدأت تمثل انهماك أكثر اعداء الإسلام إلى 'الإسلام' ، وليس عدد من يعطرون في القرآن هذه السطرة البعيدة من المسلمين أكثر بكثير عما نتعرف به السوتر الرسمية⁹ ، ويصل وكويج⁹ إلى أن لاقاه إلى حرة القرآن دراسة قديمة سوف يرداد قوة في المستقبل ، عندما يصنف الإيجان سحرية لروحي في القرآن الكريم ، ويحل على الإيمان بأن القرآن قد أزل مالمق فقط ، وأما الصياغة في الحروف والكلمات فهي شريفة (أنظر ص: 67) .

ومله قضية خطيرة إن صبح تثيره هانس كويج⁹ ، بلانغا تحول اعتقاد المسلم بحرفية روي القرآن وحل على اعتقاد الروحي بالمق فقط ، لم يبق الكثير حتى يدخل التحريف والتشكيك إلى قلوب المسلمين في صحة المقي بعد الحرف ، ولكن وعد الله حق ، ولن تترك المسألة الإيجابية الأمور تسقط إلى هذا الطريق ، ولن يجلب الله وعده في حكم بأنه «إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون» (الآية الكريمة الطهر/ 9) (أنظر ص: 67)

ونعت عنوان دس بعد الكتاب المقدس إلى فقد القرآن⁹ (ص: 68-72) . بيد كويج حديثه عن بعض القرآن الكريم ، ويثير رأيي المسلم بأنه روي من الله وليس فيه تأثير باليهودية أو المسيحية ، وأن عد الاتباع له ما شئت في الواقع التاريخي ، لأنه من 'ثالث أنه لم يكن هناك موجه للكتاب المقدس بالله العربية ، تسبح عا حواء في القرآن من آيات يتفق مع ما حواء في الكتاب المقدس

مدرجه من الرصوح وبكم - يوفق ويربها في تكلم المقدس . وخلال حديثه هذه بفتح و كويج⁹ عذره عروضة صهيرو تشكيكه في صحته من بفسه لمسلمون في أمية الرسول⁹ ، في عدم سطاغته القراءة و بكسة ، فعله تأثير هذا مفهوم المستشرق في هذه بعدد ، وحاصه لمستشرق ولان بس ، الذي اشترط معه في تأليف هذه الكتاب ، وقد سبق عرض وجهه صوره والرذ عليها ، أو لعله أراد أن يأتي دليل آخر على صدق أبي الخبيث غير دليل لأبيه

ثم عرض بعد ذلك لأداء بعض العلماء الغربيين بهذا الصدد ، ويبدأ بذكر « متجموعي ووات W.M. Watt الذي قرر أن الرسول الخبيث كان يهتق بعلمة بين ما يروي أبيه وبين ما يقوله هو نفسه (الحديث) ، ثم يذكر بعض العلماء اليهود الذين ادعوا أن القرآن قد أخذ من اليهودية وعن ليرة⁹ ، مثل إبراهيم جانيير⁹ (1833 م) Abraham Geiger ، «مادا أخذ محمد عن اليهودية» ، ومارفنج هير شفيلد (1978 م) H. Hirschfeld (آثار) وتصورات يهودية في القرآن⁹

ويذكر ضمن هؤلاء المستشرق « جون ورسبرو Wansbrough⁹ . في كتابه « دراسات قرآنية (1977 م) ، ثم يذكر مستشرقاً ألمانيا يديهي « جوتير لوليج G. Lüling الذي ادعى في كتابه هو رسالته للذكورة سبوان و حول القرآن القديم أو الأصل⁹ (1974 م) ، وأعاد ذلك في كتابه « اكتشاف النبي محمد من جديد » (1981 م) أن القرآن الكريم يعمن 'ناشيد مسيحية قديمة' ، وهذا هو القرآن الأصلي - على ادعائه - أما القرآن الذي بين يدينا فهو قد كتب بعد وفاة النبي الخبيث

وجدير بالذكر أن هذا المستشرق الشاب قد أثار بهذا الكتاب والادعاء ضجة بين المستشرقين ، وموجتهم من كثير منهم ، وهو يدعي أن القرآن الحالي قد اختلف عن القرآن الأصلي . سب التخطيط لذي أدخل على القرآن في مرحله لاحقة على كتابه لأولي ، وهذا الادعاء لا يسحق لرد عليه دس المسلمين . أما من المستشرقين فقد أعترض عليه كثير منهم

وأذكر أنه في مؤتمر جمعية المستشرقين الألمان الذي أقيم في برلين الغربية عام 1980 م ، قد حاضره من أصل الكمية ، وادعى أنها كانت كمية ثم حولت بعد ذلك إلى ما هي عليه الآن ، وقد رد عليه بما فيه الكفاية بعض من حضر من المستشرقين ، منهم المستشرق دوان بس ، سارو لسكر ، والمستشرق « امحليكي

نويفرت « Angelika Neuwirth » التي ترى أن السور المكية على أقل تقدير قد رتبها النبي بنفسه ، وأن النص القرآني الحالي متناسق ومنظم في سياق واحد ، ذكرت ذلك في كتابها « دراسة حول ترتيب السور المكية » ويعتبر « هانس كونج » هذا الكتاب أفضل الكتب السابقة الذكر من الناحية العلمية والمنهجية

ويقول « هانس كونج » إن الخلل حول دور محمد ﷺ في القرآن الكريم لن ينتهي ، ويشير إلى احتفال وجود نادر محمد ﷺ بما سمعه من اليهود والنصارى ، ويذكر أدلته على ذلك في نقطتين :

- 1 - أن الرسول ﷺ كان محتكاً بالنصارى البيزنطيين وكذلك باليهود والنصارى في الجزيرة العربية ، وخاصة في مكة والمدينة .
- 2 - أن القرآن فيه إشارات كثيرة إلى أنبياء ورد ذكرهم في العهد القديم والحديد أمثال : إبراهيم ، أنبياء عرب قدماء ، وكذلك نوح وموسى وعيسى وداود وصليمان . . . الخ ، ويتساءل : أليس من المحتمل أن يكون ذلك كله كان معروفاً لمحمد ﷺ قبل بعثته ، وأنه عرف أهمية هؤلاء ؟

وهنا يجب أن نلاحظ أن « كونج » لم يتخلص تماماً من الرأي الخوارث عند رجال الكنيسة والمشتريين حول ما يسمى بشريعة مصدر القرآن الكريم ، وإن لم يصرح هو بذلك علناً ، وقد يرقم هذا الرأي في تناقض كبير وأصلي مع نفسه ، فهو الذي ذكر في نفس الكتاب (من صفحة : 61 - 65) أن القرآن وحي من الله ، فكيف يكون وحياً من الله وفي نفس الوقت يكون لمحمد ﷺ دخل وتأثير في القرآن من قريب أو بعيد؟ ولعل « كونج » يريد أن يقول كما سبق ذكره في الكتاب (ص : 66 - 68) أن القرآن موحى بالمعنى فقط ، وأما الصياغة اللفظية فهي من الرسول ﷺ .

ولكن حتى إذا سلمنا أن هذا التصور يتفق من تصوره هو للقرآن ، فإنه لا يسلم رغم ذلك من التناقض ، فإن ما يشير إليه كدليل على تأثر محمد ﷺ باليهود والنصارى ، وكذلك ورود أخبار عن الأنبياء السابقين عليه الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديد ، ليس له دخل في الصياغة اللفظية ، بل هو يمس المحتوى والمضمون والمعنى ، ولهذا : فإنني أرى أن هناك تناقضاً بين الرايين اللذين عرضهما « كونج » في هذا الكتاب في الصفحات المشار إليها هنا ، وليس هذا مجال الرد عليه بإثبات ألوهية المصدر ، فقد سبق هذا في موقع آخر من

هذا التعليق ، وسبقت الإشارة إلى بعض المصادر التي يرجع إليها في هذا صدد

والسبب الآخر في عدم تعرضي للرد هنا بالتفصيل أن هذا الرد باللمعة لعربية يقرأه من هم مؤمنون بما أدافع عنه ، وليسوا في حاجة إلى المزيد من الإيضاح . ولعلنا نكتفي هنا بطرح سؤال على المؤلف قد يحتاج إليه من يجادل النصارى أو غيرهم من ضعاف الإيمان ممن يتسبون إلى الإسلام ، وهذا السؤال هو : ما هو إذن مصدر التفاصيل التي جاءت في القرآن الكريم بخصوص هؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم المؤلف ، والوصف الدقيق لبعض الأحداث التي جرت لهم ، بالإضافة إلى الأخبار التي وردت في القرآن الكريم عنهم ، ولم ترد في لكتاب المقدس ، ولم يعرفها أحد من اليهود والنصارى آنذاك ؟

ثم يشير المؤلف إلى بعض الدراسات التي ظهرت من بعض المسلمين والتي تدل على أن سبك إنجماً جديداً في دراسة القرآن الكريم ، وهو الاتجاه القندي التاريخي ، ويستشهد في ذلك بأحد العلماء الباكستانيين يدهي « فضل الرحمن » الذي يعد أستاذاً في جامعة شيكاغو الأمريكية ، ويذكر ما يذكره « فضل الرحمن » في كتابي « النبوة في الإسلام » Prophcy In Islam وكتبه الآخر « موضوعات القرآن الرئيسة » (1980) Major themes Of the Quran ويقول كونج من الكتاب الأخير فقرة جاءت في صفحة رقم (100) من هذا الكتاب ، وتتخلص تلك الفقرة في القول بأن الرسول ﷺ كان يتلقى القرآن الكريم على مراحل عديدة ، وكان تتابيه حالات نفسية (تشبه حالات المتصوفة) وخاصة حال علمه ببعثته التي لم يكن هو يسعى لها أصلاً وشبه في ذلك أنبياء العهد القديم ، ويقول فصل الرحمن إن عمداً ﷺ كان يتلقى الوحي عن طريق « الروح » أو على هيئة حبر روحي الذي كان يتصوره أحياناً في قلبه على أنه جبريل (عليه السلام)

ولقد جاء المحاضرون بعد ذلك وجعلوا من هذه التجربة الروحية تجربة عيانية يظهر فيها جبريل (عليه السلام) علناً ، لويسمع صوتاً حقيقياً .

ويقول فصل الرحمن : ولا شك أن عمداً قد طور تصوره بمرور الزمن في مكة والمدينة ، مثل صلاة الجهاة ، والركاة ، وهذا ما جعل جماعته تلتف حوله ، ويسودهم التضامن ثم يقرر فصل الرحمن أنه بما لا شك فيه ، رغم أن الوحي كان من الله ، إلا أنه من ناحية أخرى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية (محمد)

ومعنى هذا القول : أن القرآن موحى من الله ، ولكنه كان متعلقاً ومرتباً
إلى أقصى حد بشخصية الرسول ، التي تعني هنا أن له دوراً أساسياً في عتوى هذا
الوحي ، أو على الأقل في صياغته وتطبيقه .

ولعل من المؤسف أن يصدر هذا عن عالم مسلم (من وجهة نظره
الشخصية على الأقل) ، ولكن الدليل على أن هذا الرأي لم يجد عدى إيجاباً عند
الآخرين ، أنه قد طرد من باكستان بسبب قوله في النبوة والوحي ، وما يفهم من
قوله بأن الوحي لم يكن سوى حالة من الحالات النفسية التي كانت تعترى الرسول
ﷺ ، بالإضافة إلى قوله في أثر الرسول ﷺ في صياغة القرآن .

ويعود « كونج » بعد ذلك إلى تقرير أن القرآن ، حسب هذا التصور الذي
يتبناه ويحمله من بعض المسلمين موافقة كما سبق ، هو مثل الكتاب المقدس ،
وكما أن لكتاب المقدس قد ساولته الدراسات بالنقد التاريخي ، كذلك يسعى على
المسلمين ، كما يقول « كونج » ، تطبيق ذلك على القرآن الكريم . ويرى أن ذلك
سوف يكون من شأنه أن يجعل فرصة الحوار بين المسيحيين والمسلمين أفضل بكثير
 مما هي عليه الآن ، وسوف يساعد على ذلك إذا تحول للمحدثون الإسلاميون
التعصب على هذه النظرة التقليدية للقرآن وخاصة بعد أن تأثروا بعلوم الغرب
وتقدمه ، ولن يضر ذلك الإسلام شيئاً كما يدعي « كونج » .

ويجد هنا تصريحاً واضحاً بما تحمله الثقافة الغربية من مخاطر على ديننا
وقرأنا

ويوضح « كونج » ما يقصده بالدراسة التقليدية التاريخية ، ويلخصها في
ثلاث نقاط :

1 - لا ينبغي أن ينظر إلى القرآن على أنه مجموعة من النصوص الثابتة الجملة ،
بواسط لا تتغير ولا تتأثر بالزمان أو المكان أو الأشخاص ، لأن هذا يعتبر نظرة
مذهبية غير صحيحة

2 - ولا ينبغي أن يفهم القرآن على أنه مصلو لا يتنصب لتعابير نسبية تختلف
حسب المكان والزمان ولأشخاص ، فيصح القرآن وكأنه ليس إلا ما يثبت
المعصر

3 - ينبغي أن يفهم القرآن على أنه قيس هداية ويشرى حية ، جاءت من الله

القدير الرحيم خالق وانتم ، وكذلك يوم القيامة يوم الحساب ، وهذه
البشرى تقتل من جيل إلى جيل ، متجددة دائماً ، حتى تستطيع أن تحمل
المشكلات الناتجة عن تطور العلوم الطبيعية والتاريخ والأخلاق الحديثة ،
وهذا لا يتعارض مع التصور الديني الأصيل عند المؤمنين بذلك .

ويختتم « كونج » حديثه بالأمل في أن يتغير الوضوح الحالي إلى الأفضل ، وأن
التقارب بين الإسلام والمسيحية ضرورة لإحلال السلام العالمي ، ولا يمكن
فصل السلام بين الإسلام والمسيحية عن السلام العالمي

ثم يذكر « كونج » قول إحدى السيدات الباكستانيات التي تعمل في مجال
العقيدة ، وهو : أن كل دين من ديانات الشرق الأوسط فيه شيء بالنسبة له
صوري لا يمكن إنكاره ، وأما بالنسبة للديانات الأخرى فهو مرفوض ، ففي
اليهودية اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار ، والمسيحية اعتقادهم بأن عيسى ابن
الله ، وأما بالنسبة للإسلام فهي العقيدة بأن القرآن رحي الله بالنص والحرف ،
وهذه السيدة إسما « رفعت حسن » ، وهي تعمل حالياً في جامعة كنتوكي
بالولايات المتحدة الأمريكية . هذا القول يعني أن اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله
المختار ، واعتقاد النصارى بأن عيسى ابن الله ، واعتقاد المسلمين بنصية الوحي
القرآني متسلوة في الخطأ . وهذا ما يتعارض تماماً مع وجهة النظر الإسلامية .
ولسأل ، لماذا يبحث كونج عن آراء خارجة تؤيد وجهة نظره ويستند إليها في
دراسته التي يريد لها القول عند المسلمين ؟

ويكرر « كونج » في حتام هذا الفصل أن تلك النقاط التي تختلف فيها
وجهات النظر الإسلامية والمسيحية تحمل من الضروري أن يلتقي العريقان
ويتحاورا ، ليتضح موقف كل منهما ، ويحاولا الاقتراب على قدر الإمكان .

وليس عدي تعليق على قول « كونج » السابق ، سوى ما سبق ، بالإضافة
إلى أنه من الواضح جداً تمسكه بضرورة الحوار ، وضرورة محاولة اقتراب وجهات
النظر ، حتى يعرف كل منهما رأي الآخر حول عقيدته التي يؤمن بها ، ولا يستفي
لمعلومات عنها من طرف غير محيد ، ومهما كان هذا القول بعيداً عن التحقيق ،
وقد يحس فيه ما لم يذكر صراحة ، فإن أوصح ما يدل عليه هذا القول أن
لعدومات الاستشراقية عن الإسلام هي المسيطرة في الغرب ، ولا نجد لها مدعماً
من المسلمين يوضح الحق ويدعو له

الفصل الثالث

أهل السنة والشيعة : الدولة - الشريعة - العرف مناقشة وجهات نظر إسلامية : جويرف فلان إس

المبحث الأول : نجاح تاريخي عالمي ومساوئه (ص 73)

تحت هذا العنوان يبدأ المستشرق فلان إس الفصل الأول من الباب الثاني ، بالكتاب الأصلي ويقرر بداية أنه من الصعب معرفة ما إذا كان محمد ﷺ قد فكر في نشر الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية ، ويرى أن اتجاه الخلفاء الراشدين من بعده إلى ذلك لم يكن سوى محاولة لإنقاذ الوحدة التي نجح فيها الرسول ﷺ بين القبائل العربية التي تعرضت بعد وفاته إلى الإعياء ، فأرادوا بذلك توجيه طاقات القبائل القتالية إلى وجهة أخرى ، واستفادوا في ذلك من ضعف القوتين العظيمين آنذاك فارس وبيزنطة

ويحمل هذا القول بين طياته ثلاثة إدعاءات عن الأقل :

- 1 - أن الإسلام لم يكن في أول عهده دعوة عالمية .
- 2 - أن الإسلام انتصر بحد السيف ، أي بفصل الميول العدوانية المتأصلة في العرب .
- 3 - أن الإسلام لم ينتصر بقوة إيمان المسلمين ولكن بضعف أعدائه الذين أنهكتهم الحروب

ولا يخفى على كل من له صلة اطلاع بحجج رجال الكنيسة في العصور الوسطى ضد الإسلام أن هذه الادعاءات هي بعينها ما كان يتردد آنذاك ، وقد كان الأحرى أن تختلف الحجج باختلاف العصور التي جاءت بمعلومات أكثر وأوضح وأقرب إلى الحقيقة عن الإسلام ، وبفقد هذه المعلومات إلى العرب عن طريق الاتصال المباشر بالمسلمين خاصة أثناء فترات الاحتلال العسكري ، وما

صاحب تلك الظاهرة وسفها من تعلم اللغة العربية والبحث في علوم الشرق أي شدة الاستشراق الذي يسمى أحياناً بالاستشراق العلمي ، وإن كان لم يزل ، كما نرى ، بعيداً عن استحقاق هذا الوصف ، فكل ما تغير في مجال عرض العلوم الإسلامية في الغرب هو الأسلوب فقط ، أما التصورات القديمة فيما زالت تعيش في أبواب أقل عداء وأقرب في الظاهر إلى الموضوعية ، بعد أن أثبت الطريقة القديمة التي كانت تعتمد على الصراحة في الطاء وهل الافتراءات والحماسيات مثلها اندرع في صد المد الإسلامي ، وانتهت الحروب الصليبية دون تحقيق أي هدف رسم لها .

ولسأل المستشرق فان إس عن آية واحدة في القرآن الكريم الذي أنزل تكامله ، كما هو معروف للجميع ، في حياة الرسول ﷺ تشير إلى أن الإسلام حاص بالعرب في الحرية العربية .

الم يقرأ فان إس قول الله تعالى (في سورة صبا الآية رقم 28) ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ ، وهي سورة مكية ضمن ما أنزل الله على الرسول ﷺ في أوائل عهد النبوة أي قبل الهجرة ؟ هذه الفترة المبكرة من ظهور الإسلام يعتبرها المستشرقون وعلى رأسهم « جولد تسيهر » فترة نشأة انسمت فيها الآيات بالرحمة والعفو والغفران ، ويفسرها بأنها فترة ضعف لم يكن الرسول ﷺ قد تمكن بعد من السلطة التي جاءت فيها آيات الوعيد والعذاب والأمر بالقتال إلى آخر ذلك . فكيف تمهم هذه الآية للكية في ضوء هذا التصور الخاطي ؟ هل تدل هذه الآية فعلاً على ضعف كما فهمها جولد تسيهر ؟ أو هل تدل على أن الإسلام كان دعوة تقتصر على حرب الجزيرة كما يفهمها فان إس ؟

أضف إلى ذلك أن هذا القول يدل على أن فان إس لم يفهم التاريخ الإسلامي في عهد الرسول ﷺ أو هو يتناسى حقائق تدل بالقطع على أن الإسلام مند بدايته هو دعوة لكافة الشر ، وأشير هنا إلى حادثة شهيرة وهي الرسائل التي وجهها الرسول ﷺ إلى هرقل امبراطور بيزنطة ، وكذلك إلى الجاشي ملك الحبشة وكسرى ملك فارس يدعوهم فيها إلى الإسلام (أوجع إلى نصوص وصور هذه الرسائل في كتاب مجموعة الوثائق السياسية - محمد حيدو الله ، في الصفحات 99 وما بعدها ، 107 وما بعدها ، 139 ، وما بعدها)

ما هو الدليل إدد على أن محمداً ﷺ لم يكن يفكر في شر الإسلام خارج لحرية العربية ؟

أما ادعاء أن الإسلام قد انتشر بحد السيف فهو إدعاء مردود عليه من علماء أفاضل ولا أحدي في حاجة إلى تكراره للقارىء العربي المسلم ، وإن كنت أعترم فكر ذلك في الترجمة الألمانية لهذا التعليق . وتكفي الإشارة إلى أن الإسلام الذي انتشر في بقاع كثيرة من آسيا لم ينتشر بحد السيف ، ولكن يرجع العسل في دت إلى عناية الله أولاً ، ثم مثل الحسن والقعدة الصالحة التي كان يعيشها التجار المسلمون في تلك البقاع البائية ، ويؤكد فان إس نفسه نقص ذلك في موضع سابق (ص 170 - 171) .

وما بال التار الذين هزموا المسلمين وهرمهم الإسلام فدخلوا فيه وصلوا على بشره ؟

أما الادعاء الثالث الذي يفهم من قول « فان إس » بأن الإسلام لم ينتصر بقوة إيمان أهله ، ولكن بضعف أعدائه فهو يمثل شبهة سهلة يمكن لأي مهزوم أن يدعيها على من هزمه ، وأمثالها في التاريخ كثيرة ، ومن يقرأ تفاصيل تلك الحروب ويعرف العدد والعدة التي كان عليها البيزنطيون في مقابل العدد والعدة التي كان عليها المسلمون لا يصدق هذا الادعاء ، بل لا بد له من الإيمان بأن ذلك لم يكن ممكناً دون نصر من عند الله لجنوده .

ثم يذكر في الصفحة نفسها أن المسلمين لم يعتبروا الحروب الصليبية حروبا دينية إلا في العصر الحديث ، بعد أن مروا بحصر الاستعمار الأوروبي في هذا القرن ، وكذلك بعد قيام الكيان الإسرائيلي ، وكانوا ينظرون إلى تلك الموجات الحرية على أنها حروب محلية في منطقة كانت تسودها دائماً المعارك بين الحكام .

وخطأ هذا التصور غني عن التنبيه وإن كانت فيه خطورة ، وهي تأكيد وجهة نظره بأن الحروب التي انتصر فيها المسلمون لم يخصوصها بقوة عقيدتهم وإيمانهم ولكن إشباعاً للنزعة القتالية وحس السيطرة عندهم ، وإن كنت لا أنصور أن « فان إس » لم يعرف موقف المسلمين الموحد ومحارهم في مواجهة الحروب الصليبية ، وخاصة تحت لواء الأيوبيين ، حتى كتب لهم النصر وطرودوا الصليبيين وأسروا قائلهم .

ويروي لنا ابن الأثير في كتابه « الكامل » وحاسة الخزائن الحادي عشر والثاني عشر تفاصيل تلك الأحداث ، ويذكر فيها جيش المسلمين ، وبعد مرفعه تجاه الصليبيين وانتصاراته . والحدير بالذكر أن هذه الأحداث ذكرت في كتاب نشر بالألمانية بعنوان « الحروب الصليبية من وجهة النظر العربية » ، ومن المؤكد

ان هـ دس هـ هـ مراد ان هـ يكن قد قرأ ذلك في كتب التاريخ العربية . وقد سر هذا الكتاب المشرق الإيطالي المعروف فراسيكيو جابريلي هـ نشر بالألمانية في عام 1979 هـ (أنظر بوجه خاص لقسم الثاني من الكتاب صفحة 165 وما بعدها . وكتاب الكامل لابن الأثير جـ 11 ص 351 - 355) .

ويمكن أن نستشهد هنا بأحد كبار المشرقين الألمان في هذا القرن وهو جوزيف شاخت (ت 1969 م) الذي يقول في كتابه « تراث الإسلام » (جـ 1 ص : 32 - 33 من الترجمة العربية التي شررتها عالم المعرفة بالكويت) : « أثناء حديثه عن الحروب الصليبية : كان هناك نصان من أسامي وزه لا نصارت . وأن هناك مواقف وعميدة مشتركة تشكلت هذه الأحوال والمزيد يمكنك الرجوع إلى كتاب « مغامرة الحروب الصليبية » كورت فريشر - برلين 1979 م ، ص 14 وما بعدها (باللغة الألمانية) » .

المبحث الثاني : الخلافة والشيعة

ويرجع هـ فان إس هـ نشأة الشيعة إلى الخلاف حول خلافة المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ويقرر أنه لم يتم الاتفاق بين المسلمين على خلافة أحد من الصحابة ، وأرجع السبب في ذلك إلى أن الرسول ﷺ لم يعين أحداً من أصحابه حليفاً له ، لأن هـ الأمر لم يكن ذا أهمية عند الرسول أو أنه كان في حرج من هـ الأمر لكي لا يقضب أحد أصحابه . ولقد تمت البيعة لأبي بكر - على حد قول هـ فان إس هـ - بطريقة مفاجئة ، وغير أمينة ، فلم يحضرها كثير من الشخصيات المهمة التي منعت من الحضور بطريقة أو بأخرى . (الكتاب ص 74) .

وصحيح أن الخلاف قد وقع بين المهاجرين والأنصار على الخلافة ولكن هذا الخلاف لم يؤد إلى استخدام المكر والحيل لابعاد بعض الأشخاص عن حضور البيعة ، ولقد وقع هـ فان إس هـ في هذا الصدد تحت تأثير التفسير الشيعي للبيعة كما سبق أن وقع تحت تأثيرهم في موقفه من نص القرآن الكريم بترتيب آياته والذي يتجاهله هـ فان إس هـ هو أن الرسول ﷺ ما كان ليتمني من إعلان شيء بهذه الطريقة لو أنه كان قد أوحى إليه ، وما كان يعوته الشيء إلى هـ الأمر وتعيين حليفاً لو أن ذلك لم يكن لحكمة مقصودة وهي أن أمر المسلمين ينبغي شورى بينهم ، فهم عتروا ولى أمرهم لتحرر عنهم طاعته عملاً بالأية « كبره التي وردت في بعض صفات المؤمنين » حيث يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

ترهيم وهدموا اتصالاً زامره شورى بينهم وما وزفناهم ينفقون » (الشورى 42 / 38) فأمر المسلمين شورى بينهم في مشاورته كي يكون سحسبي ، فأمر اختيار حليفته ﷺ هو من أخطر الأمور وأولها بالمشاوره هـ ، جمع ن تفسير ابن كثير لهذه الآية كبرية حيث يقول : لما حضرت عمر بن خطاب - رضي الله عنه - الودع حين صعد جعل لأمر بعده أموة بالرسول ﷺ شورى في سنة عمر وهم عثمان ، علي ومعه و - سير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ، وجمع رأي الصحابة كبره رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم - رضي الله عنهم - (صسير الفراء - معصية جـ 1 ص 118) ، ووالى علياً أراد خلافة بعد رسول الله وأحق أنه أحق به - ربح بكر وعمر وعثمان من بعد رسول الله ﷺ ولكنها افتراءات شيعية يستعملها كل من أراد بالصحة سوءاً .

المبحث الثالث : الحديث السوي الشريف

ويكرر موقف هـ فان إس هـ في شراء الكبره في موقفه من هـ هـ الحديث فيقول (في ص 80) : « مصدق حديثه لم يقرر على سبب محو ومصدقه لنص الحديث والمضيق . لكن عن سبب الشك في بروي وفي حقه بسببه ، هذه الشك التي تهدى لشخص ما في مجتمع تجاري محدود حيث تكون الثقة مرتفعة بالنصير أو المهم الشخصي (لسي) هذه لكلمه »

وهذا الموقف ليس جديداً عن المشرقين ، فقد سبق هـ فان إس هـ من أشاعوا ذلك وانتفوا به التشكيك في صحة الحديث الشريف وصحة مصدره ، وقد سبق أن عالج هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب بعنوان : « بين الحديث وعلم الكلام » (برلين - نيويورك - 1975 م) حيث تركز بحث حول الأحاديث الخاصة بشككة الفس في علم الكلام الإسلامي .

والمعجب في هـ الأمر ليس فقط الادعاء بأن الثقة كانت تهدى عن حسب صور شخصي المتأثر بالعلاقة سحرية . ولكن لأعرب من ذلك هو وضع هـ إس هـ في تناقض مع نفسه في عده وحدة ، فهو يقرر مرة بأن الثقة بنحو عن أساس التدوين والخلق ، ثم عده أن هذه الثقة هي مجرد حسب عدي شخصي ، وهذا تناقض واضح

وعلني كنت أقبل هـ الادعاء وهذا لفهم القايير المتناقض إد صدر عني من هـ علاقة محصية بالتراث الإسلامي ، وأفسر ذلك تنعص دي ضد

الإسلام واسمه ذلك كثيرة، ولكنني، وإن كنت لا أبرئ، «فإن إس» من بعض
لنصف الديني غير العلمي، فإني أعجب من صدور هذا الادعاء بهذا الشكل
لسطيحي التواضع الشافعي من متخصص في العلوم الإسلامية، فكله لم يقرأ أي
كتاب من كتب علوم الحديث، أو علوم الرجال المعروفة، «شرح والتعديل» و
أي شيء من هذا الكم الهائل من الكتب التي وصفت لتتحرى الأحاديث
الموصوعة ومحرفة، ولم يطلع على هذا المنهج العلمي الدقيق الذي اتبعه علماء
الحديث وعلماء الجرح والتعديل للتأكد من صحة ما يسبب إلى الشيء، إن أي
طالب في كلية شرعية يعرف مصطلحات الحديث التي تعبر عن درجات وحالات
كل حديث بمنتهى الدقة، فيها الصحيح والحسن والمعقل والصحيح والموضوع
والمحرف... إلخ. وتزخر كتب علم الحديث بتعريفات غاية في الدقة لكل
مصطلح ولكل رأي. هذا المنهج الذي إذا طبق على ما جاء في الكتاب المقدس ما
بقي منه إلا الزر اليسير الذي يستحق الثقة المشوبة بالخدع، لا طيل هنا،
وأكتفي بالإحالة إلى كتاب «علوم الحديث» المشهور «مقدمة ابن الصلاح» وإلى
شرح القاضي عياض على صحيح مسلم المسمى «مشارق الأنوار»، أو إلى كتاب
«مطالع الأنوار» لابن قنول، وكذلك «الآلاء المصنوعة في الأحاديث
الموضوعة» للسيوطي أو «القواعد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكلي.
ويكفي أن الإمام البخاري كان قد جمع لصحيحه ما يقرب من (ستماية ألف
حديث) صحيح منها ما يقرب من (أربعة آلاف فقط) أي بنسبة 1 / 150
(0.66%) مما جمعه، بل إن أحاديث البخاري إذا سلمت من التجزئة
والتفريق، أي تفريق الحديث الواحد على عدة أبواب، لا تزيد عن 2602
حديث (أنظر: هدى الساري لابن حجر ص 478).

فإن لم يكن هذا العمل دليلاً على الدقة في تحري صحة السند والتواتر فلا
أعرف منهجاً علمياً طبق في عقيدة دينية أو فكرية أخرى تضارب هذا المنهج في
دقته.

ثم إنه لمن المعروف عند من يعملون في هذا المجال أن المنهج النقدي الذي
التزمه علماء الحديث هو الأساس الذي بني عليه منهج التمسك لعلمي عند
المسلمين ثم عند الغربيين بعد ذلك، وقد أشار «فرائد رورتال» إلى ذلك في
كتابه «منهج العلماء المسلمين في البحث العلمي».

وعالم الفن أن «فان إس» اكتفى بقراءة ما كتبه «جولد تسيهر» في كتابه

«دراسات محمدية» (Muh Studien) طبع في هال (Hald) 1890 م، أو ما
ذكره سنوك هوخرونيه في بحث بعنوان «الشرعة» (سلامية «Le Droit
Musulman» الذي نشر بمجلة «تاريخ الأديان» جزء 3: وهو في ذلك يتبع
سنة بعض المستشرقين المتأخرين من أمثال تيودور جوبنول وغيره، في الاعتماد
على أبحاث المستشرقين السابقين بدلاً من الرجوع إلى «أصول العربية والتزام
الامانة العلمية والموضوعية في البحث». وإليك اعتراف جولد تسيهر بدقة حجج
علماء الحديث، فهو يقرر أن المسلمين لا يعتبرون الحديث صحيحاً إلا إذا تابعت
سلسلة الإسناد من غير انقطاع وكانت تألف من أمر: يدق برزيتهم، وهذا ما
جعلهم يشككون الأمر بحثاً، فلم يكتفوا بتحقيق أسسه، رحد وأحوالهم لمعرفة
الوقت الذي عاشوا فيه وأحوال معاشهم ومكان وجودهم، ومن منهم كان عن
معرفة شخصية بالآخر، بل فحصوا أيضاً مدى صدق أو كذب المحدث ومدى
تحريه لدقته ولأمانه في نقل الترتيب ليحكموا أي الرواة كان ثقة في روايته.
(أنظر: جولد تسيهر، ودراسات محمدية ج 2 ص 143 وما بعدها).

وقد نقل «تيودور جوبنول» هذا المعنى في مقاله عن نقد المسلمين للحديث
في دائرة المعارف الإسلامية. وهذا التقرير الذي ذكره «جولد تسيهر» ونقله عنه
جوبنول موجود بتفصيل أكثر في «مقدمة ابن الصلاح» وفي «كشاف
اصطلاحات الفنون» للمتهانوي، فضلاً عن وجوده في معظم كتب الرجال
(الجرح والتعديل): وأحب أن أورد هنا بعض نقاط نقد التي ذكرها
الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) في كتابه «الجامع لأحلاف الراوي وآداب
السامع» يحدد فيها بعض القواعد التي تتبع في سماع ورواية الحديث، فهو يقول في
«باب» القول في تحيّر الشيوخ إذا تباينت أوصافهم (ج 1 ص 126 - تحقيق
عماد الطحان).

«درجات لرواة لا تساوى في تعلم، فيقدم سمع عن علا استنده عن
ما ذكرنا، فإن تكافأت أسانيد جماعة من الشيوخ في السماع وأراد الطالب أن يقتصر
على سماع من بعضهم، فيسمي أن يحجر مشهور منهم حسب حديث المشار إليه
بالانفاق له والمعروف به».

ويقول في (ص 127): «هذا كله بعد استقامة طريقة وثبوت العداة
والسلامة من البدعة، فأما من لم يكن على هذه الصفة، فيحب لعدول عنه

واحتساب السماع منه . ويقول (في ص 130) : « اتفق أهل العلم على أن السماع من نبت صفته لا يجوز ، ويثبت الصق بأمور كثيرة لا تختص بالحديث ، فاما ما يختص بالحديث منها فمحمول أن يصح متون الأحاديث على رسول الله ﷺ ، أو سبب سون . »

وبذلك إن الأصل في التثبت عن حال الرواة كان لهذا السبب .

(في ص 131) يقول : « وفيها أن يدعي السماع من لم يبلغه ، ولفظه العبد في الناس مواليد الرواة وتاريخ موتهم ، فوجدت روايات لقوم عن شيوخ قصرت أسماهم عن إدراكهم . . . وصبط أصحاب الحديث صفات العلماء وحياتهم وأحوالهم أيضاً لهذه العلة »

وقد اقتصر غير واحد من الرواة في مثل ذلك . ويمتنع الرواة بالسؤال عن وقت سماعه (الصفحة نفسها) ، ويمتنع الراوي بالسؤال عن صحة من روى عنه (صفحة 133) ، ويمتنع الراوي بالسؤال عن الموضوع الذي سمع فيه (الصفحة نفسها) .

ويقول أبو بكر الخطيب البغدادي : « وإذا سلم الراوي من وضع الحديث وادعاء السماع من لم يبلغه ، وجانب الأفعال التي تسقط بها العدالة ، غير أنه لم يكن له كتاب بما سمعه ، فحدث عن حفظه ، لم يصح الاحتجاج بحديثه حتى يشهد له أهل العلم بالأثر والعارفون به أنه ممن قد طلب الحديث وعاناه وضبطه وحفظه ، ويعتبر (أظنها: يختبر) إتقانه وضبطه بقلب الأحاديث عليه (إمتحان الراوي بقلب الأحاديث وادخالها عليه ص 135) ويقول : (في ص 138) : « ترك السماع من لا يعرف أحكام الرواية وإن كان مشهوراً بالصلاح والمادة » . وأخبر أن في هذه لفتتفتت كده في رد أي شبهة تثار حول صحة الأحاديث النبوية الشريفة ، ولا أعرف منهجاً علمياً وصل إلى هذه الدقة رفض من العلماء وأئمة السنية وعدم الثقة كما يدعي « هان إس » وسلفه من المستشرقين . وأطرح سؤالاً : ما قوته في علم التاريخ الذي تأمس على الرواية ؟ هل اتبع في هذا المنهج الدقيق الذي سار عليه علماء الحديث ؟ وما قوله في الروايات التي وردت في الكتاب المقدس بعدد لقدم والحديث ؟ هل اتبع فيه مثل هذا المنهج ؟ وما على ثقة « هان إس » في هذين العلمين سابقين الذكر ؟ والحقيقة أن فشل الشبهات حول النص القرآني جعل البعض يتجه إلى محاولة التشكيك في

صحة الحديث النبوي ، الركيزة لكافة للعقيدة الإسلامية ، ولا أرى وراء ذلك دافعاً علمياً موضوعياً بأي درجة .

إن أهمية هذا الموضوع فمعني أتوقف عنده وأذكر ما يسمح به الوقت وحجم البحث المحدودين ، وإلا زدت ذلك الأمر تعصيلاً ، ولكني أكتفي بما ذكرت في هذا الصدد ، وأصيب إلى ذلك بعض النقاط المهمة التي قد تساعد « هان إس » على إعادة النظر في موقفه من الكتاب والمصنفين المسلمين .
العلمي :

1 - إن الحديث لم يحفظ في الصدور فقط ، بل كان عموداً يمسك به السطور ، بمعنى أنه لم ينقل عن طريق الرواية فقط ، بل كان مكتوباً في صحف أو أجزاء ، ويرجع تاريخها إلى العقود الأولى للإسلام ، وهذا الرأي قاله « شيرنجر » (Sprenger) وأيده « جولد زيهر » (Goldziher) في دراسات محمدية ، صفحة 194 .

2 - إن كتابة الحديث لم تبدأ في عهد الصحابة وأوائل التابعين في كراوس صغيرة (أي صحف أو أجزاء) وإنما كانت بدايتها في عهد رسول الله ﷺ فقد أذن بذلك الرسول لعبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يكتب الحديث على الرغم من ثبوت نهي مسبق من الرسول في فترة سابقة حتى لا يختلط الحديث بنص القرآن الكريم . وقد روى أبو داود في سننه (ج 1 ص 60) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فتتخى قريش وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في العصب والرضا ؟ فامسكت عن الكتابة ، فذكرت لرسول الله ﷺ فأوصاً بأصمعه إلى فمه ، فقال : أكتب فوالذي نفسي بيده ، ما خرج منه إلا الحق » . أما النهي عن كتابة الحديث الذي اتفق عليه العلماء فهو كتابة الحديث مع النص القرآني في صحيفة واحدة ، فيختلط القرآن بالحديث أي النص المتعبد به مع السنة المعمول بها ، فيحدث للقرآن ما حدث للتوراة : لإحليل ، حيث ذهب الأصل واختفى تحت الزيادات والإضافات (أنظر : الفكر المبهني عند المحدثين - همام سعيد - ص 41) .

3 - إن الفترة التي بدأ فيها تدوين الحديث (التي تلت كتابة الحديث) أي في الربع الأخير من القرن الأول الهجري خاصة في عهد الخليفة الأموي عمر بن

1 - التناقض الذي يدعيه « طان إس » بين خلق الطبيعي وخلق الإلهي
2 - مفهوم الطاعة الذي ورد هنا ، يعني أن الإنسان مخدوم من إلهه - لرأي في
'مورد لدينا وليس له سوى الطاعة' بمسألة الإرادة الإلهية

3 - أن حقوق الإنسان في الإسلام ليست سوى أداته للتكليف الشرعية
أولاً لا يوجد أي تناقض بين الحق الطبيعي والحق الشرعي

لأن الله هو الذي خلق الإنسان وخلق فيه حاجاته ، أي هو الذي خلق طبيعته بحيثيتها الإيجائي والسليبي ، أي ما هو نافع وحق ، وما هو ضار وظلم ، ثم جعل الشرح الذي يرشد الإنسان إلى ما فيه نفع وبخير ، ويكرهه عما فيه ضرر وظلم ، وكل نفع أو الضرر راجع في لهيئة إلى الإنسان ، لأن الله لا تضره ولا تنفعه مصيبة أو طاعة ، وإنما جاء الشرح الإلهي عاصماً بالإنسان ، ويهدف إلى نفعه ووقف الضرر عنه ، وأظن أن هذا التصدير يعرفه ويؤمن به كل من يؤمن بالإنسان مخلوق لله ، والتناقض الذي يمكن أن يكون مقصوداً هنا هو أن يريد الإنسان شيئاً على فيه النفع وهو يخالف أمر الله ويضر به نفسه ، أو غيره أو هما معاً ، فالتكليف الشرعية وحاشية الحجاب التحريمي منها لا يخرج من أمور تخص الإنسان أو عزمه أو الطبيعة ، فالكثير المحرمة كلها في هذا المجال إما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة ، وليس فيها ما يخص الإنسان بطريق غير مباشر سوى الشرك بالله ، والحكمة في تحريمه هي أن الإنسان إذا اشرك مع الله أضاع تقوى الالهية من أصلها ، أو قول الله تعالى ﴿ لو كان فيها آفة إلا الله فسدنا ﴾ (الأنبياء / 22) .

لأن مطلق الالهية لا يتسع للالهية أخرى ، تكون بدورها مطلقة ، فوجود مطلقين هو تناقض عملي والدماء للمطلقين .

وإذا نظرنا إلى باقي الكليات وجدناها حُرِّمت بسبب الأضرار الناجمة عنها للإنسان أو لاجتماعه أو لأحدهما دون الآخر وليس لأن الله يتنفع من هذا بشيء .
ثالث التناقض إذن ؟ ثم إن طبيعة الإنسان فيها الخير وبها الشر ، والتناقض هو بين هذين الجانبين وليس بينهما ديف حاشية

ثانياً : وهذه نقطة مزينة على المسألة والإجابة عليها من وجهين :
أ - لا يمكن لإنسان خلق أي عذره في فكره وطمسه أن يدعي أنه أقدر على

عند التمرير إلى عام 125 هـ حيث بدأ في تصفيف الحديث (أنظر المرجع السابق) لم يكن الإسلام فيها محصوراً في الطهيرة العربية أي في مجتمع تجاري كبا مدعي ، فإن إس ، لم كان عندما من إسبانيا إلى ما وراء البحر ، ولم يكن للمحدثين وكانت الحديث من المغرب فقط ، بل كان كثير منهم من المعجم الذين لا يعملون في التجارة أو لم يفي علاقة بها غير استهلاكها .

هذه النقاط الثلاث تسقط شبهة « طان إس » التي ضمنها الفقرة التي ذكرها في بداية هذا الحديث ، التي تهدف إلى إقناع القارئ بنسبة صحة الحديث السوي ، ولا أسس هذا الادعاء بأي إلا عن جهل بالموضوع أو مكابرة على الرغم من معرفة الحقيقة ، ولا أظن « طان إس » جاهلاً بالموضوع مل حقيقته .

المبحث الرابع : الإسلام وحقوق الإنسان

وفي صفحة 84 يذكر « طان إس » أن المسلمين لم يشكروا في إعلان حقوق الإنسان إلا بعد ضبط خراجي ، أي بعد إعلان الرئيس الأمريكي السابق كارتر ، ويعتبر أن صاوي البيان نهوا في البداية إلى أنه مستمد من القرآن والسنة ، وأنه لا يشكل شيئاً جديداً بالنسبة للإسلام ، ولأن هذا العهد أصاب « طان إس » في وصفه للإعلان الإسلامي حول حقوق الإنسان ، فهو بالعمل ليس جديداً ، ولم يكن سوى إظهار لما قد نجح على الكثير تفصيله عن لا يشعرون بالدراسات الإسلامية ، ولكن فإن إس عندما بدأ يجل معنى هذا الإعلان لم يحافه الترفيق ، فجاء حديثه متافسلاً خيراً للموجب أحياناً ، فهو يقول : « حقوق الإنسان في الإسلام ليست شيئاً جديداً ، هي هدية الله إلى الإنسان منذ البداية ، إلا أن هذا يعني أنها لا تفهم سوى على أنها شرع الله ولا يمكن اعتبارها حقاً طبيعياً للإنسان ، لأن الحق الطبيعي لا يمكن أن يتفق مع نظام يرجع كل شيء إلى الله ، ليس فقط من حيث المبدأ ولكن أيضاً من حيث التطبيق في الحالات الفردية ، وهذا يؤدي إلى نتائج (مهمة) لأن الإنسان لا يمكن أن يتعصر لرؤيه أنهه ، فالعلاقة لصحيح الوجدية بينها هي علاقة لسطاه (طاعة الإنسان لله) إن لمسلم بهم حقوق الإنسان بها يختلف عن فهم العربي ، فهي بالسمه إليه عود صياغة لطيفة للواجبات (لشعره) ، « القانون (لحقوق أو 'شريعة') الإسلامي هو منذ البدء ليس سوى قانون واجبات (تكليف) » . وأريد أن أترقب عند ثلاثة مواقف في هذا القول .

معرفة الصالح من الطالح من خلقه وخلق فيه الإرادة ومكرهاته وفي الطبيعة الخير والشر

ب- إن الله قد خلق لنا عقولاً وأقدرها على تفكير وأمرنا بإعمالها واستخدمها فيما ينفع بعد أن أوضح لنا الخير والشر

يقول الله تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فأعطىها فجوراً ونفوهاً قد أُلح من زكاتها وقد حثب من دنسها ﴿الشَّمْسُ 7- 10﴾ ويقول تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد 8- 10)

هذا إقرار واضح بأن الله أقدر عباده على مصيئته وطاعته وبهائمهم عن المعصية لمصلحتهم وأمرهم بطاعته بمائدتهم . أصعب إن ذلك أنه ورد في الحديث النبوي الأمر بالعمل حسب ما تخليه الضرورة الدينية وبرئضيه القلب أي الفكر ، فقد ورد عن الرسول ﷺ « أنتم أعلم بأمور دينكم » . وقال : « استمع قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » ففي الحديث الأول تصريح بأن الإنسان أعلم بأمور دينه أي كل ما هو في مجال متركاته الحية والمعلية ، والحديث الثاني يأمرنا بسؤال عقولنا ، وعمل القلب في الإسلام هو العقل والتفكير . فكيف يأتي التناقض إذن بين الحق الطبيعي والحق الإلهي ؟ ولو أن الإنسان فكر وأخطأ في عمله الذي صدر عن فكره ثم اعترف بخطئه ورجع عنه لم يجابه الله به بشرط أن يمحى الآثار الدنيوية المترتبة على خطأ تجاه الآخرين وإلا فليس لله حاجة بحسابه على ذلك . قال تعالى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (الزمر / 53) .

ثالثاً : القول بأن حقوق الإنسان ليست سوى صياغة لطيفة للتكاليف الشرعية هو حق أريد به باطل ، لأن التكاليف الشرعية تشمل الحقوق والواجبات للإنسان مع نفسه ومع مجتمعه ومع ربه ، وبذلك يتضح أن التكاليف الشرعية أهم من حقوق الإنسان بمفهومها الغربي الذي يقتصر على جانب واحد ، وهو جانب تعامل الإنسان مع غيره ، ويهمل تعامله مع نفسه ومع ربه .

ثم إن قول « كان إس » إن المسلمين لم يهتموا قبل ذلك بالإعلان عن حقوق الإنسان ينبغي ألا يفهم على أنه تفصير من المسلمين إستبراك بعد تبييه

من الخارج . لأن الإسلام في الحقيقة دين شامل كامل يقول تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المائدة 3/)

أما مبادئ الأخرى وخاصة الصراعية فهي في حده ر هـ لإعلان . أي إلى استدراك من البشر ، لما يعتقد في الأنجيل من نفس وعديد علامه الإسلام بنفسه ومجتمعه وشره ، ولأن مثل هذا الاستدراك هو جزء من تكوين الديانتين اليهودية والنصرانية التي أدخل فيها كل تطور تاريخي وحضاري واحتشد بأصلها ، ونيت الأذ في معظمها على هذه الإصابات البشرية التي تراكمت على مر العصور ، بينما احتفظ القرآن الكريم والحديث الشريف - وهما أساساً الإسلام - بأصالتها ، ولم يصف إليها أي شيء . ولقد أصبح من المؤكد عند كل منصف في البحث العلمي مشتغل بالمعتقد أن القرآن الكريم لم يدخله التحريف منذ كتابته وجمعه ، وكذلك الحديث الشريف الذي سار جامعه على أدق منهج علمي عرفته العلوم النظرية حتى الآن .

البحث الخامس : الإسلام وقضية « الضمير »

ويربط « فان إس » (في الصفحة نفسها من الكتاب) تفسيره للحق الطبيعي في الإسلام بما يسميه بالأخلاق الطبيعية (الشخصية) ويسوي بينها في عدم اهتمام المسلمين بها ، ويرجع ذلك إلى أن المسلمين كانوا يقتدون بالقرآن والسنة وسيرة رسول الله ﷺ فلم يكن لهم حاجة بتفسير السلوك تفسيراً طبعياً نابعاً من ضمير الفرد ، فالمقياس الخلفي هو مدى إتفاق السلوك الفردي مع ما جاء في القرآن الكريم وما كان يفعله النبي ﷺ ولما ما يُقرأ في بعض مؤلفات المسلمين عن الأخلاق فليس إلا ترديداً لبقوماءخوس (الأرسطية) مثلاً نجد عند الفارابي وابن سينا وابن رشد الذين صاغوا هذه الأخلاق في ثوب افلاطوني .

يهمي هنا إيضاح الخطأ الأساسي الذي وقع فيه « فان إس » وهو أنه يقرر أن الإسلام لا يعرف شيئاً اسمه الضمير ، في نظامه الخلفي ، ويبدو أن السبب في هذا الخطأ أن « فان إس » بحث عن كلمة الضمير في الفكر الإسلامي فلم يجدها سوى في قواعد النحو التي تقابلها كلمة (Pronomen) وليس (Gewissen) ،

ومقرر أن اللغة العربية ليس فيها ما يقدس نسبته للصمير الخلفي وهذا خطأ كبير جاء نتيجة سطحية البحث في الفكر والعقيدة الإسلامية ، لأن الصمير في حد ذاته ليس سوى جهر رقاقة ذاتية عند كل فرد بحسب المرد عن سلوكه اندي حامي على المجتمع ، ولا أريد أن أفضل الحديث في الاتجاهات المختلفة لتعريف الصمير ، من هو نظري متحدث عند كل بشر ؟ أم أنه عبارة عن معايير وتصورات اكتسبها الإنسان من خلال حياته الاجتماعية ؟ أي هل الصمير نظري عدم أم هو مكتسب خاص ؟ فمن المعروف أن الإجابة على هذا السؤال جاءت مختلفة باختلاف الاتجاهات الفكرية والعقيدة .

وأعود إلى قضية وجود الصمير في العقيدة الإسلامية وأقول : إذا كان الصمير هو هذا الرقيب الفردي الذي يحاسب الإنسان على سلوكه مستقلاً عن السلطات الاجتماعية فإن هذه الوظيفة أساس من أهم أسس العقيدة الإسلامية وهي من عمل « القلب » ، فالقلب المطمئن في الإسلام هو الصمير المستريح (الهادي) في الفكر الغربي ، وتشهد على ذلك عدة أحاديث نبوية منها : « استفت نفسك ، البر ما اطمئن إليه القلب » (مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 228) « البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه غيرك » (رواه الترمذي في باب الرهد) ، « البر ما اطمأنت إليه النفس » (رواه الدارمي والإمام أحمد بن حنبل) .

هذه الأحاديث تفيد التأكيد على دور القلب أو النفس أي الصمير الفردي في إصدار الأحكام التي ينبغي على الإنسان إتباعها ، ودليل آخر نجده في الآية الكريمة : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » (الحجرات / 14) .

والإيمان ما وقر في القلب وصدق العمل ، بينما الإسلام هو الشهادتان والعمل بأركان الإسلام . والقلب هو في الإسلام أيضاً الذي يفكر ويعقل ويعقل ، يقول تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها » (الأعراف / 179) .. ويقول تعالى : « أقلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » (الحجج / 46)

ويقول تعالى : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً » (المنع / 4) وقال تعالى : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة

ورحة » (الحديد / 27) تلك بعض آيات الذكر الحكيم التي تبرز أهم وظائف القلب التي لا تختلف كثيراً عن وظائف الصمير عند من يتدبر معديها . وإليك ما هو أوضح :

إن لعقيدة الإسلامية تعرف بين ثلاثة أنواع من النفوس : « النفس الأمارة بالسوء » ، وهي مصدر الشر ، ويقابلها « النفس الناطقة » ، وهي مصدر فعل الخير ، وبينهما « النفس اللوامة » ، وهذه النفس اللوامة هي التي تحاسب الإنسان على كل فعل صدر منه ولم يعرفه المجتمع ، فهي التي تلوم الإنسان على كل فعل صار وتؤنبه ولا تتركه حتى يرد الحق إلى أهله ، وهذا كما ترى هو عمل الصمير بالمفهوم العربي الذي ادعى « فان إس » عدم وجود ما يقاد في اللغة العرة . وفي العقيدة الإسلامية ، وما يؤكد أهميتها في العقيدة أن الله تعالى أقسم بها في القرآن الكريم في قوله « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » (القيامة / 2)

ويقول الحسن البصري في تفسير النفس اللوامة : « إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ، ما أردت بأفعلي ، ما أردت بحديث نفسي . وإن الفاجر يعضي قداماً قداماً ما يعاتب نفسه » (تفسير ابن كثير ج 4 ص 447 - 448 - بيروت 1983 م) .

وأظن أنه فيها تقدم كفاية لرد ادعاء عدم وجود ما يقابل « الصمير » في العقيدة الإسلامية وإن الإسلام لا يعرف سوى الطاعة بالافتداء والتقليد .

لا شك أن ضمير المسلم متأثر بعقيدته ، ولكن هذا لا يعني استقلاليته عنها ، ولا يوحد ضمير إنساني بعيد عن التأثير بعقيدة أو مذهب أو مجتمع ما ، فمهما اجتهد الإنسان في التجرد في حكمه فلن يخرج بعيداً عن مجال المؤثرات الخارجية خلال حكمه الصميري على الأشياء .

المبحث السادس : اهتمام الإسلام بالنفس الانسانية

ويستمر « فان إس » في عرصه لمبادئ الإسلام ، ويخلص من ذلك إلى أن الإسلام لا يتم سوى بالمظاهر ، فكل أركان الإسلام تكتسب معناها في لظهور ، أما الباطن فهو أمر ليس له أهمية كبيرة في الإسلام ، فهل فهم « فان إس » الآيات القرآنية التي تؤكد على أن لقياس الحقيقي للإيمان هو القلب ؟ فليقرأ قوله تعالى

﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم ﴾ (البقرة / 223) . وقوله تعالى: ﴿ إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ (البقرة / 284) . وقوله تعالى: ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ (آل عمران / 8) ، وقوله تعالى: ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول ﴾ (الأعراف / 205) . وقوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (الحجرات / 14) وقوله تعالى: ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ . (الحجج / 32) . وقوله تعالى: ﴿ ولتعلم الذين آمنوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ﴾ (الحجج / 54) . وقوله تعالى: ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ (الشعراء / 89) .

والأحاديث الشريفة التي تؤكد على ذلك المعنى كثيرة ، أذكر منها قوله - ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى أحوالكم ومصوركم . . . ولكن ينظر إلى قلوبكم » (رواه مسلم في البر وابن ماجة في الزهد وابن حنبل في مسنده الجزء الثاني ص 285 ، 529) .

ولا يتحسر « فان إس » وسعاً في إظهار أن الإسلام دين الطاهر ، والمسيحية دين الباطن ، رغم عدمه بالأيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تثبت عدم صحة ذلك ، والتي ذكرت بعض منها في السطور السابقة ، وأقتبس هنا مقرة من قول « فان إس » في هذا المعنى ، نهر يقول في صفحة (85 : « النصراني يحمل دينه في داخله (قلبه) والمسلم يريد أن يرى دينه حوله ، إن الدين أصبح في العرب ارتباطاً شخصياً (بين الإنسان وربه) أما عند المسلمين فهو منبوك في الحياة ، وعلى الرغم من أن هذا القول يمكن أن يفهم على وجه المدح للإسلام ، لكن ينبغي علينا أن نفهم هذه العبارة من خلال الإطار العام الذي يتحدث فيه « فان إس » الذي سبق توضيحه . وأحب أن أتوقف عند العبارة التي ذكرها « فان إس » في بداية هذه المقرة وهي : « أن النصراني يحمل دينه في داخله وأن الدين بالنسبة للنصراني أصبح ارتباطاً شخصياً » وأسأل : إلى أي مدى يمكن أن يتفق هذا القول مع سماع اندي يعرفه الجميع وه « فان إس » أرحم ، أقصد واقع نشاط الكيسة بشرطها الكاثوليكي والبروتستنتي في مجال التنصير الذي تحشد له الإمكانيات المادية وشرعية وسياسية الصالحة ؟ ألا يعني هذا أن النصراني يريد

أيضاً أن يرى دينه حوله ؟ أقول هذا جديلاً فقط لأنني أعرف الفرق بين التنصير الذي تسعى إليه الكيسة بكل ما أوتيت من قوى وبين الدعوة الإسلامية ، وهذا الفرق الأساسي هو أن نشاط التنصير خاصة في البلاد الإسلامية ، لا يهدف إلى إدخال غير النصراني في الدين النصراني بهدف خلاصهم ، ولكن الهدف الأساسي هو إخراج المسلمين من دينهم ميروا بذلك خطرهم على العقيدة النصرانية الكيسة .

وهذا ما يشهد به قول زويمر المنصر المعروف في منطقة الخليج العربي في بدايات هذا القرن ، وما سجده مكتوباً في مجلة العالم الإسلامي التي تصدر في فرنسا وخاصة مقالات شنيليه « انارة من العالم الإسلامي » . والمعنى نفسه يردده حليفة زويمر المنصر الانجليزي « إرنست كراج » في ندوات أكسفورد التي نظمت في السنوات القليلة الماضية

أما الدعوة الإسلامية فهي دعوة حالصة لله تريد خلاص البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فلا يريد أي مسلم إخراج نصراني عن دينه دون اهتمام بأن يدخله الإسلام وإلا فعل ما يناقض الهدف ، لأنه إذ حرح النصراني عن دينه ولم يدخل الإسلام أصبح ملحقاً ، أو ما شابه ذلك ، فالأولى عند المسلم أن يظل النصراني على دينه من أن يصبح ملحقاً .

وفي ختام ردي على ما جاء في قول « فان إس » في هذا البحث أحب أن أعبر عن دهشتي لما جاء فيه من مواقف متناقضة وإدعاءات هي أقرب إلى الافتراءات التي تعتقد كل دليل ، والتي لا تأتي إلا نتيجة سطحية أو تسليحاً للمعلومات . ولعلمني أجد العذر للملحد الذي ينكر الإسلام ويتنكر لوجهه ونبيه ، لأنه لا يؤمن إلا بما هو في مجال الحس والمادة ، أما أن يأتي هذا الإنكار من إنسان يؤمن بالله وبالوحي بشكل عام ومتخصص في الدراسات الدينية ثم يقصر إيمانه على عقيدة يعلم أنها لا ترجع في أصلها إلى من تنسب إليه وليس فيها من قول عيسى (عليه السلام) سوى فقرات متناثرة في أناجيل متناقضة في كثير من فقراتها ، ويعلم أن المبادئ الأساسية التي تقوم عليها النصرانية كلها وضعت بعد وفاة عيسى (عليه السلام) بدءاً ببولس ولدي وضع عقيدة العمران والصلب ، وانتهاء بيوحنا بولس الذي برأ اليهود من دم المسيح ، مروراً بعقيدة الثلاث التي دخلت النصرانية بعد وفاة عيسى (عليه السلام) بثلاثة قرون عن طريق الثقافة الرومانية في شمال إفريقيا وإسبانيا كما يذكر ذلك « هانس كونج » في الكتاب نفسه (ص 183) أو

عن طريق التأثير بالثقافة الهندية حيث نجد تطابقاً عجيباً بين ما يقوله الهندوسي كرشنة ، وما يقوله الصاري عن عيسى (عليه السلام) ، فقد أحصى محمد طاهر النخعي - رحمه الله - في كتابه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » (مكتبة ابن سبينة الكويت - 1408 - 1987 م ج 1) سناً وأربعين نقصة بطابق عجيب بين ما يقال عن « كرشنة » وما يقال عن « المسيح » يكاد يكون حرفياً ، بالإضافة إلى ثمان وأربعين نقطة تطابق بين ما يقال عن « بوذا » وما يقال عن المسيح وهي تشمل تقريباً كل المصوِّفات الهندية (أنظر : الكتاب المذكور ص 119 - 145) وقد تجامت كل المصوِّفات الهندية في هذا الكتاب القيم موثقة توثيقاً كاملاً من مصادر الديانات الهندية والأناجيل النصرانية ، ولم يقتصر المؤلف على المصادر الأولية ، بل ذكر 46 مرجعاً ليس فيها مرجع ألفه أحد المسلمين . فهل يقال أن يؤمن إنسان بعقيدة ثبت تحريفها ، وهو يعلم هذا التحريف ، ثم ينكر عقيدة تبن أنما لم تحرف ، وهو يعرف ذلك ؟

المبحث السابع : الإسلام صلاحته لكل عصر

أما « هانس كونج » فلم يتعرض في رده المسيحي لما أثاره « فان إس » من آراء حول القرآن والحديث وغيرهما ، ولكنه صاغ رده مستقلاً بموضوعات جديدة تناولت وصفاً للواقع الذي يعيشه المسلمون ، وبعض المشكلات التي تعترض طريق تقدمه من وجهة نظره الشخصية . وقد بدأ حديثه تحت عنوان « دين قديم في عصر حديث » (ص 91 - 93) بتقرير أن الدين الإسلامي دين ودولة في آن واحد ، وأنه يمتاز بذلك عن المسيحية التي تخلو من السياسة ، ويرجع المظاهر الحضارية السمة المنتشرة في الغرب المسيحي إلى هذا النقص الذي أدى إلى الفصل التام بين الدين والسياسة . كما يقرر أن الصحوة التي يعيشها العالم الإسلامي حالياً ، ومن أهم مظاهرها انتشار الحجاب مرة أخرى ، هي أخطر على النظام الرأسمالي من الماركسية ، وخاصة في تصوره للعدالة الاجتماعية .

ولكن « كونج » يعبر عن شكّه في قدرة الإسلام (المسلمين) على الاحتفاظ بربطهم الدين بالدولة ، ويذكر أن هناك اتجاهات إلى فصلها اقتداء بما حدث في أوروبا وأمريكا (93 - 95) .

وأما أوافق « كونج » في رأيه بأن هناك إشكالات ، بل حالات تطبق فعلياً

لفصل بين الدين والدولة في العالم الإسلامي ، بل أكاد أقول أن معظم دول العالم الإسلامي تسير على هذا المواع .

ولكن ليس هذا هو الذي يثير القلق في قول كونج عن حال العالم الإسلامي ، ولكن ما يثير القلق ولا أوافق فيه هو محاولته ربط التقدم بالتححرر من سلطة الدين السياسية ، وجمع ربط الدين بالسياسة سبب التأخر ، هذا ما ينضج من حديث تحت عنوان « الاختيار الصعب بين الرقي والاحتفاظ بالشخصية » ص 95 - 97) ويصرب لذلك مثلاً بالملكمة العربية السعودية التي تتعرضي تسميتها - من وجهة نظر « كونج » - « لصعوبات » ، وهذا الواقع يضع كثيراً من البلاد الإسلامية أمام اختيار صعب وهو إما الأخذ بالأول أو بالآخر - وصعوبة الاختيار يرجع من وجهة نظره - إلى أن التمسك بالدين يؤدي إلى تأخر صناعي وعلمي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى سوف يفصل الدين عن الدولة إلى مضار كبيرة تلحق بالإسلام وتوقفه وتفصله عن تاريخه وحضارته العريقة وتحرمه من شخصيته المستقلة .

وعلى الرغم من أن « كونج » يجتهد في إظهار مساهمة فصل الدين عن الدولة عاماً ، ويأتي في الفقرة التي تلي هذه الفقرة (ص 97 - 100) « بدلين في دولة (عصرية علمانية) » يكون للدين فيها دور أكبر مما له في المجتمع المسيحي ، إلا أنه يجب أن نتوقف عند قوله بأن التمسك بربط الدين بالسياسة سوف يؤدي حتماً إلى التأخر العلمي والصناعي ، وهذا ما لا أوافق عليه ما دام أن الدين الذي يقصده هو الإسلام ، أما إذا كان يقصد ديناً آخر فلهيغير الرأي . وقد يفهم من قولي هذا تعصب للإسلام دون مبرر موضوعي ، ولكن الواقع هو أن رأيي هذا يستند إلى مبررات علمية وتاريخية . فالمبررات العلمية تلخص في أن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ويربط الإيمان بالعلم ، فيقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر / 28) ويصرِّق بين العلم وغير العلم : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر / 39) . ويرفع العلماء على غيرهم درجات في قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة / 11) . ويرفع من شأن العلماء حتى يصل بهم إلى درجة تقرب من درجة النبوة فيقول على لسان رسوله الكريم ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » (مجمع الروايات ومبوع العوائد لور الدين أحيشي ج 1 ص 131) . وليس صحيحاً أن العلم المقصود هنا هو العلم

الشرعي فقط ، بل كل ما يتعلق بالكون ، قال تعالى : ﴿ أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ سورة الحج / 46 . وقوله تعالى : ﴿ قل سيرا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ (العنكبوت / 20) .

ومن يرجع إلى كتب التفسير المعروفة من الطبري إلى ابن كثير يجد فيها ما يثبت وجهة النظر التي أذكرها هنا ، وهي أن المسلم مطالب بتحصيل العلم الكوني الذي لا يقتصر فقط على البحث في الأرض كما هو واضح في الآية الكريمة ، بل يتعدى ذلك إلى الأمر بالبحث في السماوات ، يقول تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (الرحمن / 33) . لهذا أمر صريح بأن يمتدح الإنسان ، في طلبه العلم ، إن استطاع ، السماوات والأرض . ثم لا يقف الشارع عند هذا الأمر بل يوجه إلى أن هذا الأمر لا يمكن أن يتم دون علم نافع مسبق وهو السلطان الذي جعله الله شرط التفد إلى أقطار أي طبقات السموات والأرض ، ألا يدل ذلك على أن الإسلام أمر بتحصيل العلم بكل ما في الكون ، ودل على الوسيلة وهي الإعداد العلمي لما يقوم به الإنسان من تجارب وملاحظات كانت تتم في الماضي بالحواس المجردة ، ثم بالآلات البسيطة ، ثم بالآلات المعقدة التي وصلت إلى ما نسميه بفضاء الفضاء ؟ ألا يكون التمسك بدين هذه مبادئه دافعاً وليس مانعاً للتقدم والتحضر ؟ وهل يوجد بعد هذه الأدلة الموصوغة ، مجال لوضع الإسلام في طرف والتقدم في طرف الاختيار الآخر ؟

أما الدليل التاريخي فهو واضح لكل من ينظر في تاريخ الدولة الإسلامية منذ تأسيسها حتى انتهائها ، فنجد أنها مرت بطور الولادة في بداية النبوة ، ثم اكتملت في آخر عهد النبوة ، واستمرت في عهد الخلافة الراشدة ، وكذلك في عهد الخلافة الأموية ، ثم العباسية ، ثم شاعت في الخلافة العثمانية . والمتأمل لهذه المراحل يجد أن عصور القوة الإسلامية من الناحية العلمية والحضارية مرتبطة بمدى الالتصاق بالدين والتمسك بمبادئه ، وقد ظهر ذلك واضحاً بعد أن تمت الفتوحات الإسلامية وبدأ الاستقرار فيها ، أو في معظمها ، واستطاع الخلفاء التمرغ للعبادة بالعلم والعلماء ، فكان الانفتاح على الثقافات الأخرى التي وجدها المسلمون في البلاد المفتوحة وكذلك الصفات التي كانت قد انتهت من الوجود العلمي مثل الثقافة اليونانية والهندية وغيرها من الثقافات الشرقية بلا خوف أو

حرج ، ولكن بعين بصيرة في اختيار النافع وترك العائد ، ولم يكن ذلك ممكناً في دولة إسلامية دون موازنة ، بل تحمس وتحريض العلماء ودعاهم لتحصيل العلم النافع ، وقد كانت نتيجة هذا التفاعل أن ظهرت الاكتشافات العلمية التي لا ينكرها إنسان الآن ، في قلب ونحت ورعاية وتشجيع الدولة الإسلامية .

وقد يوافق الآخرون على ذلك ولكن ينتهون إلى اعتبار ذلك من الأمور المرتبطة بالزمان والمكان ولا تصلح لغير عصورها التي ظهرت فيها ، ولكن هؤلاء ينسون أن مبادئ الإسلام المعقدة وتصورات الكونية لا تضع حداً لطلب العلم والتقدم المستمر ، وإن كانت تمنعه من أن يتقلب فيؤدي إلى عكس ما طلب من 'أحده' ، وهو مع الإنسان ، فهي إطار حلمي لسحب علمي . ولذا على أن الإسلام لا يمنع معه الأحاد بأسباب التقدم والتحضر التي يتجها الفكر الإنساني هو أن الإسلام كان يسود في بقاع مختلفة الطائعات الكونية والبشرية ، وعلى مر عصور مختلفة الوسائل والمذاهب العلمية والفكرية ، قرونًا عديدة عاشها الإسلام مسيطراً وموجهاً ، وطوال هذه القرون كان التقدم المستمر ، ولم تحدث نكسة إلى الخلف من الناحية العلمية . ومثال على ذلك وجود الإسلام في إسبانيا حول ثمانية قرون كان التقدم العلمي فيها يسير في اتجاه واحد ولم تحدث فيه نكسة إلا بعد أن خرج منها المسلمون وسيطرت الحكومة الكاثوليكية بمحاكم التفتيش المعروفة للجميع ، فكيف يقال إن ديناً سار ببلاد غير التي ظهر فيها في اتجاه التقدم العلمي طيلة ثمانية قرون هو دين يعارض التقدم ؟

ونمة دليل آخر على أن الإسلام في حد ذاته هو الدافع الوحيد للتقدم العلمي الذي ساد العالم الإسلامي قرونًا عديدة ، وهو أن التقدم العلمي في هذه المنطقة كان مستمراً بلا انقطاع على الرغم من وجود الخلافات السياسية والمذهبية والعقائدية والعسكرية ، بين كثير من حكام بلاد ، فلم تستطع هذه الخلافات التي كانت تصل إلى كثير من الأحيان إلى صدامات عسكرية بين حكام المسلمين وأدت إلى سقوط دولة وبني 'أخرى' . ولا خلافات ددعية ، عقائدية كانت أو فقهية ، لم يزد هذه الخلافات كلها على اختلاف درجاتها إلى توقف مسيرة التقدم العلمي في البلاد الإسلامية إلى أن استطاع أعداء الإسلام احتلال معظم أراضيها وإسقاط دولته ، ولم تكن هذه النهاية المحزنة ممكنة لولا تفرق أبنائه وتكاتف أعدائه عليه . هذه وقائع تاريخية موجودة في كل كتب تاريخ الحضارات بما فيها معظم ما كتبه غير

سلمى ، ولا يحتاج لإنسان سوى التأمل في هذه الأحداث ورصدها بأساليب خفية دون تحيز

أما ما ذكره كونج عن المملكة العربية السعودية التي تمثل الجانب السلمي في الإسلام وهي قلب العالم الإسلامي ، كما ذكر ، فأنا لا أوافق على ما ذكره في هذا الخصوص ، لأن هذه الدولة لا تواجه أي صعوبة في التوفيق بين تمسكها بالإسلام ، وبين الأخذ بأسباب التقدم قدر الإمكان ، والدليل على ذلك تلك المشروعات لغيره والصناعية والعلمية المتعددة التي أسهمت فيها العديد من الشركات لعربية . . . وما يذكره من نقص في تلك المشروعات فإنه بعد من الأمور الطبيعية على مستوى العالم ، كما أن لكل دولة ظروفها الاجتماعية والبيئية المختلفة التي تؤثر على مستوى النهضة والحواش الحاصرية المشرفة .

وإذ كانت المملكة قد وضعت إمكانات مادية وصلاحيات لهذه الشركات لتنفيذ مشروعاتها العمرانية التي لا تقل في كثير منها عن المشروعات التي تنفذ في الغرب ، من حيث الأسس العلمية والمواد المستعملة . . . فإن هذا يدل دلالة واضحة على أن النهضة والتقدم يسيران جنباً إلى جنب مع تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العمل والإنتاج وإعداد القوة . . . ولينعكس ذلك على القوة الإنتاجية للأفراد المسلم وإسهامه في بناء الدولة ومشاركته الفعالة في بناء المجتمع بإمكاناته العلمية والعملية . . . وغاية القول أنه ليس من الإنصاف أن نرجع فشل بعض المشاريع العلمية والتقنية في هذه الدولة وفي مثيلاتها من دول العالم الإسلامي إلى التمسك بالإسلام ، فهذا في نظري هروب من الاعتراف بواقع عجز ، تسبب فيه العربي والعربي معاً .

إذن هذا الاختيار الذي ذكره « كونج » في هذا الموقف لا أساس له على الإطلاق ، وثمة إضافة أود أن أتبه إليها هنا ، وهي أن ما يقف أمامه الإسلام ولا يسمح به ، ومن ثم تمنعه وتحاول الحد منه حكومة المملكة العربية السعودية هو ما يسمى بالغزو أو التفرير الثقافي الذي لا علاقة له بالتقدم العلمي ، ولكنه فرض أخلاقيات وسلوكيات غريبة على المجتمع الإسلامي ، وهذا أمر يتفق على خطورته كل إنسان عاقل ، ولا يقتصر هذا الموقف الحذر والمارض لمحاولات التفرير الثقافي على المجتمع الإسلامي أو دول ما يسمى بالعالم الثالث ، بل هو موجود بشكل واضح في المجتمعات الأوروبية ويواجه خاص في ألمانيا وفرنسا ،

وأذكر هاماً يسمى « صوبت هيدسبرج » (Heidelberger Manifest) لذي وقع عليه عدد كبير من « ربيته العاصم » في محال السبب العالي في « الدنيا العربية » في عام 1982 م . وقد حذر سدة من حطرت ثقافي السابح عن وجود كثير من الأجانب في ألمانيا العربية ، وما ترتب عن ذلك من تموسيع لعصابات الإرهاب والاعتداء على الأجانب هناك ، والتي نقلها وسائل الإعلام بكثرة ، وما خفي كان أعظم ، وكذلك تحذيرات الكثيرة الموجهة منذ انتشار أخلاقيات أمريكية في ألمانيا التي بدأت في الخمسينات بعد استقرار الحلفاء وعلى رأسهم أمريكا وبريطانيا . ولست قد تصدق تحديث في أمور يعلمها المؤلف جيداً ويعلمها كثير من الألمان ، والأمر لا يختلف كثيراً في فرنسا عنه في ألمانيا .

التفرير الثقافي والعقدي هو الذي يحارب ، وهذا الموقف له ما يبرره في واقع المجتمعات العربية التي يسودها الانحلال الخلقي والفساد وما شابه ذلك . وما أشار إليه « كونج » في بداية هذا البحث (ص 91 من الكتاب) وذلك من المظاهر المحررة لا يريدها أحد ، وهذا تقاوم وتحارب بكل الوسائل المتوفرة . وهذا حق لكل مجتمع يريد أن يحافظ على أمثاله من الانحدار إلى هذا المستوى الذي يعاني منه من ظهر ذلك فيهم .

ويرى « كونج » أن هناك خللاً ثائلاً أي وسطاً بين التمسك بالإسلام على حساب التقدم من جهة ، والتفرير في الدين تماماً من جهة أخرى ، ويقول في ص 97 : « إن الدين لم يمت في أوروبا كما تنبأ بذلك « هوبرباخ » ، وهرويد ونيتشه » ، ولم يمت في البلاد الأخرى التي فصلت الدين عن الدولة ، وهذا الحل الثالث يسميه الدين في دولة عصرانية محدودة أمام حدود الدين ، حيث لا يحارب التطور الفني والعلمي والصناعي ، وأيضاً لا يفسح هذا التطور هو الهدف الأساسي للإنسان ، وهذا الحل يرى أن تقام شعائر الدين وتطبق عاداته الاجتماعية فيسير بذلك الإسلام مع المسيحية في طريق واحد .

ولي عده ملاحظات على هذا القول :

1 - هذا القول يحمل الاختلاف بين طرفي القارة وهما المجتمع الإسلامي والمجتمع النصراني ، دون طيعة هذين المجتمعين مختلفين من حيث الدين والمعتقدات والتقاليد والتصور العام للحياة ودور الإنسان فيها .

2 - اختلاف الدين الإسلامي في طبيعته وتصوره العقدي والاجتماعي عن الدين المسيحي .

3 - جعل الأسباب التي أدت إلى التوصل إلى فصل الدين عن الدولة في المجتمعات المسيحية ، ومن أهمها موقف الكنيسة الممثلة للدين المسيحي من العلم والعلماء منذ بدايته حتى عصر التنوير .

4 - تاريخ الإسلام يختلف تماماً عن التاريخ المسيحي من حيث ارتباط الدين بالحضارة ، فعالمنا كان الدين قوياً في المجتمع الإسلامي كنت أيضاً الحصار قوياً ، وعندما قل أثر الدين في نفوس المسلمين انحلت إلى هذا الوضع الذي لا يحسدون عليه ، بينما العكس هو الصحيح بالنسبة إلى المجتمع المسيحي .

5 - إن العقيدة الإسلامية تفتح الباب على مصراعيه للحضارة والتقدم ، بل وتحث على طلبها أينما كانت بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (سورة النساء / 97) ويقول الرسول ﷺ : « الحكمة ضالة المؤمن أتي وجدها فهو أحق الناس بها » (رواه الترمذي في العلم وابن ماجه في الزهد) .

6 - ما هي الجهة التي سوف تشرف على تنفيذ هذا النمط المقترح ؟ هل يشترط فيها أن تكون متدينة أم لا ؟

7 - إن الدين يتردى بهذا الحبل الثالث إلى أن يصبح أمراً شخصياً محضاً ، وهذا هو الحاصل في الغرب والشرق ، فمن يضمن عدم حدوث ما حدث في هذه المجتمعات العصرية من فساد وانحلال . . . إلخ ؟

إن الدولة الإسلامية لا تحكم بما يسمى « الحق الإلهي » كما هو الحال في الكنيسة وعند الشيعة من المسلمين ، ولكنها تحكم بشرع الله المتضمن في كتابه وسنة رسوله ، وأما الحاكم فهو مجرد متنفذ يختار ، فلا يمين معه ولا يورث غيره ، وهناك مجموعة من العلماء يراقبونه ، فيقومونه إذا انحرف وبعده إذا أصر . ولا يشترط في احكامه أن يكون أفضل من الآخرين ، فإمامة المفصول حائزة في الإسلام . وعلى هذه الطريقة يمكن أن يشرف هذا الحاكم على تسيير أمور الأمة العامة بما يتفق مع الشرع ، والشرع يتضمن كما هو معروف للجميع نص حرمه سياسية واقتصادية وعقلية وعيادية ، وبشكل الحائز العمل في الإسلام أن

سلوك الإنسان في المجتمع هو المحور الأساسي والمعياري الأمل لقياس مدى الالتزام بالدين . وتفريغ الحاكم يتضمن إمكان معارضة رأيه والعمل برأي أهل الحل والعقد ، فحق المعارضة مكمول له هو له . أما إذا كان الحاكم يحكم بالحق الإلهي عن طريق إلهي اتصال مباشر بالمصدر ، فلا يمكن معارضة لأنه الوحيد الذي يتصل بالمصدر ، ومن ثم مرد المعارضة غير مكمولة في مثل هذا النظام ، والمطالبة بها مشروعة .

وحلحلة القول أن ما يسمى « كويج » « عصرية محدودة أمام حدود الدين » ليس فيه شيء جديد تفتقده مبادئ الإسلام والتصور الإسلامي ، ولكن يبدو أن الحساسية الموحدة لدى بعض المسيحيين ، ضد الدين بشكل عام وضد الإسلام بشكل خاص تحولت فوذا الفهم أو الاعتراف بشمولية وصلاحيات التصور الإسلامي .

ومن هذا المنطلق يمكن أن نهمم ما قاله ماركس وفويرباخ ونيشيه وفرويد عن الدين لأنهم لم يعرفوا ديناً معرفة تقترب من الصحة سوى الدين النصراني الكنسي الذي هانت منه المجتمعات المسيحية الكثير حتى عصر التنوير الذي حال بينها وبين التقدم طوال الفترة السابقة على هذا العصر ، ولقد كان النصراني أقرب في العصور الوسطى وعصر النهضة إلى فهم الإسلام فهماً صحيحاً وخاصة العلماء منهم ، لأنهم كانوا ينظرون إلى الإسلام بمنظار يختلف عن منظارهم الحديث ، مهم في العصور الوسطى كانوا يتعممون من حصار عريضة أثبتت صلاحيتها في بناء التقدم العلمي في إطار ديني ، ولكن العلماء المسيحيين الآن ومنذ القرن الثامن عشر ينظرون إلى الإسلام من خلال وضع المسلمين المتحرف ، ويحكمون على الإسلام من موقع القوة ، فلا يسم حكمهم من نزعة لتعظيم والتعالي والتعصب لدينهم ، وكأنهم سوا حصارته هذه على أساس دينهم ، والواقع يشهد أن الحضارة العربية لم تبدأ سوى بعد الاحتكاك بالمسلمين والاتصالات من الدين . ومن ثم جاءت حضارة مادية ملحمة لا تحصى لأي صابط حلقي أو ديني ، وأثار هذا الاتصالات الكامل من الدين وأصبح لكل من يعرف هذا المجتمع العربي ، ولا أشك في أن « كويج » يوفقني هذا الذي أرى الذي أتح إلى في بداية هذا البحث (ص 97)

إن القصة عند غير المسلمين ليست قصة البحث عن حل ثالث وسط ، ولكنها قصة البحث عن معنى آخر غير « الإسلام » كما يتضمنه التصور

3- ما نسب في بعض البلاد الإسلامية لا يخلو من تصورات غريبة موروثة تأملت قرآنية

4- في الحياة العامة نجد أن السياسة قد تختلف في كثير من الأمور من الارتباط بالدين

5- ومن أكبر الاعتراض التي تبعد الإسلام المحافظ ما نعلم من الشريعة الترتيبية التي سبقت الاهتمام بظاهر الحياة على حساب الاهتمام بباطن الدين .

6- الصعوديات التي تجدها والأفليات المسلمة التي تعيش في الخارج في المحافظة على دينهم .

7- المراجعات للوجود في كثير من بلاد العالم الإسلامي مثل : مصر ، وتونس ، ولبنان ، والصومال ، وتركيا ، وإفندي ، وأندونيسيا ، سير في غالب الأحيان إلى غير صالح المحافظين .

هذه النقاط السبعة هي أدلة وكونج : هل أن التبرل المحافظ لن يتغير على تيار التجديد ؟ ربي في الوقت نفسه صدي أدلة على أن غالية الحكومات الإسلامية غير مطروقة بالإسلام ، وهي كذلك لسبب انعطافهم ومظاهر خطورتهم لتصورات غريبة وتغيير زوال دولتهم بأكملها .

ونعت عنوان مشكلة الدين القنن (107 - 109) يسوي : كونج ، بين الإسلام والتوراة والأناجيل من حيث أنها تحتوي على قوانين تشير بها أمور الحياة العامة ، ويستند عازلة المحافظين الدينيين التمسك بحرفيتها ، وهذا على حد قوله ما أدى إلى ضرورة تناول الكتيب المقدس بالمراسمة النقدية ، وما ينبغي أن يقوم به 'المسلمون' بهذا ، من وجهة نظره ، ثم يذكر تأييدا لذلك قبول عيسى (عليه السلام) الذي ذكر في إنجيل لوقا (11 / 46) : ' وطل لكم معلميه الشريعة (القانون) معلمون 'الذين ما لا يعينون ، وإنما أنتم فلا تحركون لذلك إسماءه 'واقف عند هذا القول لا ذكر عليه بعض الملحوظات :

أولاً هذا الرأي يعني على أسس باطل ، وهو القرائن فمثال الكتيب الثلاثة (التوراة والأناجيل والقرآن) وهذا ما يرفضه اليهود والمسيحيون والمسلمون . صحيح أنها تجمع على أشياء ، ولكنها تختلف في أكثر من ذلك ، والسبب هنا هو ، من وجهة نظر إسلامية ، تحريف الكتيب المقدس الذي يقرأ به

(إسلامي حتى يقلبه غير المسلمين دون حساسية .

نحسب أن أؤكد على أمر مهم ، وهو أنه من الخطأ الحكم على الإسلام من خلال وضع المسلمين الحالي ، لأن غالية الحكومات التي تسمي نفسها إسلامية ليست على الإسلام الصحيح ، وإنما هي وقفة ، كرها أو اختياراً ، تحت سطوة حكومات غريبة لا ترضى بأن يحكم الإسلام - وترجع ذلك إلى مصالح اقتصادية وسياسية ودسيسة ، ويختلزون في عدلها المقام قول : وتزن شتات ، في مؤثر مشرقت الألائل في س لزن 1980 م ، لذي دعه فيه المسمون .ل أن نسلمو -

في لإسلام من قوة وعدنه وما لي واقعهم من تحلف وانعطاف .وعكس .جرح مظاهر وسباب هذا الانعطاف فيما فكره كونج كونج (ص 102 : 10) ' شبه حرمه لأهم تيارات التجديد في العالم الإسلامي في العصر الحديث ، يذكر 'ولا التبيح عمد من عدد 'لوميات الذي تألست على يديه حركة سلفية تحارب كل 'الشيخ لدينه ، ثم يذكر حركات تجديدية أخرى حاربت التوفيق من الدين والنظم ، على حد عبيره ، منها : دعوة جمال الدين الأفندي ، وعبد الله ، ثم أشار إلى أن هناك إنحائها وسطاً ينتشر بين الشباب ، حيث يجتمع الدين وأساس التقدم 'المعلمي ، ويرى أن هناك أسساً دعت إلى المنك في قدرة التيار المحافظ على البناء وهو يقسم 'التيار المحافظ إلى قسمين قسم يطلق عليه التيار الشيعي وقسم آخر يسميه التيار اليساري . ولن أنوقف لتحليل المصلحين اللادين استخدما هنا ، تحفي ويساري ، ومدى صحة إطلاقها على جماعات إسلامية ، لأن من المعروف أن المسلم لا هو تحفي ولا هو يساري بالمفهوم الغربي بل هو مما مبناً ، والأمة الإسلامية أمة وسط .

يقول تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً فكوتونا شهداء على الناس ﴾ (البقرة / 143) .

والأسباب التي أوردتها كونج وتأييداً لركله في عدم قدرة المحافظين على إبقاء تخصص فيما على :

1- أن المؤسسات الحكومية والإعلامية في البلاد الإسلامية هي في حقيقتها عصرية (علمانية) وإن كانت مكتوبة بلفظ إسلامي .

2- معظم الجامعات في البلاد الإسلامية عصرية (علمية بقصد من مادية راعها التعليمية ، وكذلك الاختلاط الموجود بين طلابها) .

« كويج » نفسه (في ص 183 من الكتاب)

نسباً قول عيسى (عليه السلام) كان موجهاً إلى أحبار اليهود الذين عُرفوا بالتسلط على الناس باسم الدين وتطبيق قوانينه ، بينما أحلوا لأنفسهم ما حرموه على غيرهم ، وهذا وضع لا يوجد في الإسلام ، ولعله يوجد عند بعض المسلمين فيصبح هذا القول عليهم فقط ، فعليه الشريعة الإسلامية لا يتميرون عن غيرهم من عامة الناس حيث التكليف الشرعية في شيء ، وهذا هو أيضاً لب الدين اليهودي الأصلي ، ولكنه أسيء تطبيقه ، وإساءة التطبيق موجودة في كل الديانات ، وتاريخ الكنيسة يشهد بذلك من حروب صليبية إلى محاكم التفتيش إلى اضطهاد وإعدام المعتنقين ، وقد أسيء أيضاً التطبيق في الإسلام قديماً وحديثاً ، وهذا ما لا يكره منصف ، ولكن الخطأ أن تؤخذ الدين بما يفعله المنتسبون إليه من انحرافات عن الطريق القويم ، اقرأ قول الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لما كتبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن تسبنا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمنا ما لا طاقة لنا به واهدنا الصراط المستقيم أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (البقرة / 286) .

ومن هذه الآية أركز على ثلاث نقاط :

- 1 - لا يكلف الله نفساً إلا وسعها : وتعني أن الواجبات تحدّد على قدر الاستطاعة .
 - 2 - ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به : وتعني أن المسؤولية على قدر الاستطاعة .
 - 3 - أنت مولانا . . . : وتعني تسليم الأمر إلى الله فيما يزيد على الاستطاعة .
- ويكفي هذا التنبه للدلالة على أن التصور الإسلامي في نظريته وتطبيقه يختلف عن الكتاب المقدس الموجود حالياً في نظريته وتطبيقه . فلا يسري على القرآن ما يسري على الكتاب المقدس .

ويريد كويج في تفصيل هذا الرأي في حديثه تحت عنوان « شرع الله من أجل الإرادة الإنسانية » (ص 109 - 112) يؤكد على ضرورة طاعة الله على حساب طاعة النص المكتوب ، ويورد قول عيسى (عليه السلام) : « ماذا تهمّلون أمر الله ويهتمون بحديثكم أنتم » (مائيس / 3) . وبخلص في هذه النقطة إلى المطالبة بترك التمسك بحرفية النص القرآني ، وخاصة فيما يتعلق بوضع

لمرأة وحقوق الإنسان ، وحق المعارضة وتمديد الحدود (خاصة انقصاص) . ولي عن هذا الرأي عدة ملحوظات أوجدها فيما يلي

- 1 - إن تفاسير القرآن لم ترد النص تعقيداً كما هو الحال في التلمود والأنجيل وتفسيرها ، ولكنها رادته وصوحاً
- 2 - إن طاعة الله هي في الإسلام طاعة القانون المكتوب ، لأن الإسلام هو هذا القانون المكتوب في القرآن الكريم ، ولم يفرض على المسلمين طاعة أي كتاب آخر غير القرآن الكريم وما صح من الأحاديث النبوية الشريفة ، فلم يفرض على المسلم طاعة نص تفسير معين من تفاسير القرآن .
- 3 - ما قاله عيسى (عليه السلام) ينطبق على اليهود الذين تركوا النص الأصلي الإلهي الذي أنزله الله على موسى (عليه السلام) ، واهتموا بما أضافوه هم ووضعوه بأيديهم ، وهؤلاء توعدهم الله بالعذاب الأليم في قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم عما كتبت أيديهم وويل لهم عما يكسبون ﴾ (البقرة / 79) .

هذه الآية الكريمة تؤكد تحريف التوراة والإنجيل ، وتنذر من مجرأ على إضافة أي قول إلى كتاب الله ، ويدعي أنه من عند الله وتحجب طاعته . وهذا يوضح أن القرآن الكريم فقط وما ثبت من حديث النبي ، لأن كليهما وحي من عند الله مع اختلاف الشكل ، هو الذي يجب أن يطاع ، وقرآن الكريم هو كلام الله وإرادته ، فكيف يمكن طاعة الله دون طاعة كلامه المكتوب ؟

وأوافق « كويج » في رفض كل ما يضاف من البشر وينسب إلى الله ويطالب بطاعته ، وهذا هو معنى ما ورد عن عيسى (عليه السلام) في هذا الموضع الذي تحدث عنه « كويج »

المبحث الثامن : الإسلام وحقوق المرأة

- 4 - أما ما يطالب به « كويج » من عدم طاعة النص فيها يخص هذه النصايا المعروضة آنفاً مثل المرأة ، وحقوق الإنسان ، وتطبيق الحدود ، وحق المعارضة ، فلقد كتب في الرد على إدعاء أن الإسلام مقصر في ذلك ما فيه الكفاية باللغة العربية ، وبعض اللغات الأخرى ، لأسما المسلمين ، يرى أن كل هذه حقوق مكفولة في الإسلام أي في القرآن والسنة ، وأما ما يعارض ذلك فهو تصور

بشري ، لم يثبت حتى الآن نجاحه في البلاد غير الإسلامية ، وخاصة ما يتصل بحقوق المرأة وتطبيق الحدود ، أما ما يتصل بحقوق الإنسان فقد مرّ الحديث عنه في هذا البحث ، وفيما يتصل بحق المعارضة فقد مرّ أيضاً الحديث عنه عند الحديث عن الشورى (نظام الحكم) في الإسلام ، وذكرت أحد مواقف مع عمر بن الخطاب ، عندما ولي الخلافة بعد أبي بكر (رضي الله عنهما) حيث خطب في الناس قائلاً : إن رأيتم في إخراجنا عن كتاب الله وستة رسوله فقوموا وإن رأيتم مني صواباً فأعبروا ، فقام أحد الموالى الخاصين وقال لعمر بن الخطاب الذي كان يجلسه وجهاء العرب : والله إن رأيت فيك إخراجاً لقومك بعد سيفي هذا ، فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن حمد الله أن جعل في الأمة الإسلامية من يقوم عمر بعد سيفه . والآيات الكريمة التي تشير إلى أن أمر المسلمين شوري بينهم قد سبق ذكرها ولا داعي لاعادتها ، ومن المعروف أن الشورى تتضمن المعارضة وهذا ما حدث للنبي ﷺ مرّات عندما كان يستشير أصحابه في بعض الأمور وخاصة ما يتعلق فيها بحروب الخوارج .

وأما قضية حقوق المرأة فهي شبهة قديمة جدت عليها ردود كثيرة من علماء المسلمين وغير المسلمين ، والواقع في المجتمعات غير الإسلامية يشهد بأنار ما يسمى مساواة الرجل والمرأة التي لم تتحقق بعد في أكثر البلاد لحرراً وتقدماً ، ومن المعروف أن حق الانتخاب لم يعط للمرأة السويسرية إلا منذ عشرين عاماً تقريباً .

والمرأة العربية لم تحصل على ما حصلت عليه بدافع العدالة الاجتماعية في الغرب ولكن بدافع الضرورة عندما احتاج المجتمع الصناعي إلى أيد عاملة ، ولم يجد العدد الكافي من الرجال وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، فاحتاج إلى المرأة وشجعها على الخروج إلى العمل بدلاً من الرجل أو إلى جانبته ، وعندما وصل حدد الأيدي العاملة من الرجال إلى حد الكفاية أو ما يزيد على الحاجة التجهت وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية إلى تذكير المرأة بدورها الأساسي الطبيعي في المنزل لتربية الأطفال ، والعمل على استقرار الحياة العائلية ، وقد انعكس ذلك في مجال العمل ، فمن المعروف أن الرجل يفضل على المرأة التي تساويه في التعليم والحرية ، بحجة أن المرأة معرضة للحمل الذي يمنحها من العمل فترة طويلة ، ثم يجعلها تستسلم حقها في إجازة رضاعة لمدة طويلة ، وكذلك لاعتبارات أخرى لا نذكر علناً ويعرفها الجميع . فليس للرب أن يفخر في هذا المجال بما يسمى المساواة بين الرجل والمرأة ، لأن هذه المساواة ، لم تحدث

حتى الآن سوى في حدود صيغته ، وحتى هذه المساواة المحدودة قد فرضتها ضرورات اقتصادية وليست قناعات فكرية أو اجتماعية أو عرقية .

لقد كرم الإسلام المرأة كما لم تكرم في دين آخر . ورسمها في حدود طبيعتها ، وكفل لها حق الرعاية والمساعدة والاحترام ، وجعل حسن معاملتها مقياس الإيمان كما جاء في قول رسول الله ﷺ : حبركم حبركم لأهل وأما حبركم لأهل ، والمقصود بالأهل الزوجة في المقام الأول ، والإسلام يسوي بينها وبين الرجل من حيث الأهل ، فقد خلقا من نفس واحدة ، وسوى بينهما في الحقوق والواجبات الشرعية كل حسب طبيعته وقدرته ، وفي الآيات كريمة والأحاديث النبوية الشريفة ما يزيد هذا الأمر إيضاحاً . وعلى كل حال دور كثير من أسباب سوء وضع المرأة في بعض المجتمعات الإسلامية يرجع إلى عادات وتقاليد موروثة لا يقرها الإسلام (للمزيد انظر : القرآن وتفسير القرآن . هـ . جيته . ص 324 وما بعدها) .

أما إذا كانت الحرية المطلوبة تعني الإباحية ، فلا !

وأما معنى فومة الرجل على المرأة في الإسلام ، فهي فومة مسؤولية قبل كل شيء ، فالرجل مسؤول عن المرأة (زوجته) ، يكفل لها أسباب العيش الكريمة دون إجبارها على أمر لا ترغبه . وأما من ناحية حقها في العمل فهو مكفول لها في حدود الشرع ، ولم يحرم على المرأة أي عمل شريف لا يؤدي إلى مفسدة ، وإن كان الإسلام يرى أن دور المرأة الأساسي هو تربية الأطفال ، والإشراف على شؤون المنزل ، ولها حق التصرف الكامل فيما تراث أو تملك أو تكسب ، هذا كله لا يتوفر للمرأة العربية هل الرعم من حريتها الظاهرة . ومن يتابع هذا الأمر في المجتمعات الأوروبية ويطلع على الأعداد الهائلة من الزوجات اللاتي هربن من بيت الزوجية لسوء معاملة الزوج لها والسطوة على كل ما تملك ، أصب إلى ذلك ما نقرأه كل يوم من جرائم اعتداء واحتطاف وما شابه ذلك لا يشجع على تقليد هذه المجتمعات فيما أعطت له من مميزات برّاقة .

البحث التاسع : تطبيق الحدود في الإسلام

أما عن تطبيق الحدود الذي يعتبره غير المسلمين سلوكاً غير إنساني ، وأمرأ يصد الناس عن الإسلام ، فإنه بالنسبة للمسلم أمر طبيعي وضرورة اجتماعية لحفظ أمن المجتمع ، والواقع المعاش في البلاد التي تطبق فيها الحدود يشهد لهذا

الرأي ، فلا يمكن لماعقل مصعب أن يدعي تساوي هذه جرائم السرقة والعمل في البلاد التي تطلق الحدود مع البلاد الأخرى ، واعترف أنني كنت في فترة من الفترات الماضية ، قبل هجاري إلى ألمانيا والعيش فيها وزيارة بعض البلاد الأوروبية المحاذرة ، ممن يتحفظون في الإحساس لتطبيق الحدود ، ولكن ما عايشته بنفس في هذه البلاد جعلني أعود بالتدرج السريع إلى الثقة بأن تطبيق الحدود هو أفضل أساليب مقاومة الإجرام الذي لا تحل منه أية دولة ، ولا أريد ادعاء أن تطبيق الحدود يقب المجتمع من مجتمع إسلامي فيه الخير وفيه الشر إلى مجتمع ملائكي كنه حير ، ولكن الواقع أن تطبيق الحدود يجعل المجرم يفكر ويعتدق ببل ارتكابه الجريمة مرات عديدة وتحاشاها في معظم الأحيان فيسلم ويسلم غيره منه ، ولو كان تطبيق الحدود بهذه العظامة التي يتصورها غير المسلم لوجدنا كثيراً من السائرين في الشوارع يد واحدة أو سمع كل يوم عن قتل همد من المجرمين في البلاد التي تطبق الحدود ، ولكن هذا يخالف واقع هذه البلاد . ولم يبق الحد في عهد رسول الله ﷺ سوى ثلاث مرات تقريباً طيبة حكمه . ثم إن تطبيق الحد لا يكون بهذه السرعة التي يطها لكثير ، ولكنه يتم بعد إجراءات قضائية طويلة تثبت فيها الجريمة تماماً إما بالاعتراف أو بالأدلة والشهود ، وقد تستغرق هذه الإجراءات أحياناً .

ثم إن شرط تطبيق الحد على السارق أن تكون الدولة قد كسبت له حياة كريمة بتوفيرها فرصة عمل شريف يكسب منه ما يقوته هو وأسرته، وفي غياب هذا الشرط يمكن النظر في ضرورة تطبيق الحدود أقصد حد السرقة، وأما القصاص فهو ليس شريفاً على مجتمع من المجتمعات ، فقد كان موجوداً من قبل ولا يزال حتى في عقردار من دفعوا إعلان حقوق الإنسان ، الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث لا يزال حكم الإعدام سارياً في كثير من ولاياتها ، ثم إن هذا الحد هو تعبير عن شعور إنساني يحق من الحقوق ، وتصرف منطقي ، فكيف تدافع عن مقتل إنساناً بلا ذنب ، وتطالب المجتمع بحمايته ، ورعايته ؟ ألا يترك هذا في غالب الأحوال حقاً من طرف أسرة القتيل على القاتل وأسرته ؟ وإذا ترك الأمر كذلك لصار القتل وأخذ الثأر أمراً يومياً ، وما آمن إنسان من أقارب القاتل على حياته ، وأما إذا كان المجتمع لا يصر على الأخذ بالثأر ، ويترك الأمر للقانون فيجب على القانون أن يعدل ، النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والسن بالسن ، ثم إذا كان القتل خطأ فلا يقتل القاتل به ، وإذا كان عمداً وثبت ، فالإسلام يبيح ويحث على

العفو من طرف أصحاب القاتل ويجعل بدلاً من القصاص ، دفع مائة ، وتماصيل ذلك نعرفها من كتب الفقه الإسلامي وليس هنا .

أما لغز بحريته ابن سنيب ونسبه أي المتزوجين من الرحمة والنساء فأمر إثباته يكاد يستحيل إلا أن يعترف به الزانون ، أو يثبت بالحمل . وسب الطفل برجل غريب ، وتعد وضعت شروط دقيقة ، لإثبات جريمة الزنا مثل شهود أربعة عدول ، أو يمرر حيط بيها ، إلى آخر ذلك من شروط تمنع سوء استخدام هذا الحد ، ورغم كل ذلك فقد أمر الله بالستر ، وعدم إشاعة هذا الأمر خوفاً من انتشاره ، ولم يبيح التجسس على الناس لمعرفة ما يدور بيها وهل هو شرعي أم لا ، وأن تدره الحدود بالشبهات كما ورد في الحديث الشريف . «درموا الحدود بالشبهات» .

إنني أعتقد أن حساسية غير المسلمين تجاه القصاص والحدود بشكل عام ترجع إلى الواقع الذي يعيشون فيه ، المليء بالجرائم المادية والخفية ، فإنه لا يتصور أن يؤخذ بكل هؤلاء المجرمين ويقام عليهم الحد ، وذلك لأجل كثرة عددهم ، وتكرر الجرائم كل دقيقة كما تذكر إحصائيات شرطة مكافحة الجرائم . أو أن السبب في هذه الحساسية ، أي المعارضة الملية بالعاطفة ، أنه يذكرهم بالصور السالفة التي كان الإنسان لا يأمن على نفسه من اقتل لأي سبب كان في عصر الحجارة أو عصور الكنية حتى عصر التنوير ، حيث كان يكفي إجماع إنسان بأنه رؤي يقتل فيتهم بالكفر ، ويستتاب أو يقتل ، ومحاكم التعيش الشهيرة تشهد على ذلك ، وأن العلماء كانوا يتهمون بالزندقة والخروج على الدين فيحرقون أحياء باسم الدين ، وهذه أمور لا تخفى على أحد . ولعل هناك أسباباً أخرى ترجع إلى نسبة هذا الشرع إلى الإسلام ، فلو أنه كان من فكر فيلسوف يوناني ، أو غربي بشكل عام لعل الفرصة لاحترامه وقبوله كانت أفضل من أن يكون الأصل فيها النسب إلى الإسلام

إن القصاص موجود في التوراة ولكنه لم يطبق سوى على المعمرين أو من ليس له علاقة نسب بوجهاء المجتمع اليهودي الذين نسل شعاعهم ، أو يثنى بعضهم ، ولكن لا سلام لا بدع عملاً للسب والمكر لا شعاعي سحر أو تعصير أي حكم من الأحكام ، فيقول النبي ﷺ : والله لو مرققت فاطمة بنت محمد مقطعت يدها شتان ما بين التصور الإسلامي والتصور اليهودي المعروف في كتب اليهود والنصارى المقدسة ، وبين تطبيق الشريعة الإسلامية ، تطبيق الشريعة

اليهودية التي لم تطبق مطلقاً بكاملها ، وشهد هل ذلك أقوال عيسى (عليه السلام) عن اليهود التي ورد بعضها في هذا البحث

والخلاصة أنه من حيث المبدأ فإن تطبيق الحدود هو خير طريق لحفظ أمن المجتمع ، والإقلال قدر الإمكان من وقوع الجرائم ، والتطبيق يصبح لشروط وظروف واحتياجات القائم على الأمر من علماء المسلمين

وتطبيق الحدود هو التعميد لإرادة الإنسان ، فإن الله لا يستعبد من هذه الحدود شيئاً ، ولكنها تشريع إلهي للحفاظ على أمن المجتمع الإنساني . وأعود إلى عنوان هذه الفقرة وهي شرع الله من أجل الإرادة الإنسانية فأقول : إن هذه العبارة تجعل شرع الله في خدمة الإرادة الإنسانية ، وهذا يعني رفع الإرادة الإنسانية فوق لإرادته الإلهية ، وهذا قول مساقص ، لأن إرادة الله هي التي توحى وترشد وتختار الأفضل للإنسان من اتباعها نجا ، ومن تركها أركل إلى إرادته هو ، وهي إرادة يشوبها كثير من الأنانية وأوجه النقص الأخرى المعروفة ، أحصف إلى ذلك ما يمكن أن يترتب على جعل الإرادة ، أو الشرع الإلهي ، في خدمة الإرادة الإنسانية وأهم ما يمكن أن يترتب على ذلك ، وقد حدث هذا بالفعل في كثير من بقع العالم ، أن يفعل الإنسان ما يريد وينسب إلى إرادة الله فيعصر شرع الله كما يروق له وكما يرى فيه لائقته ، ومنافع البشر تتضارب وتتناقض ، وكل يجد تفسيراً مناسباً له لشرع الله . وهذا يعني ببساطة جعل شرع الله نسياً خاضعاً للتأويل الفردي .

إن ما فعله بعض ملوك التتار بعد إسلامهم من جرائم ضد المسلمين أيضاً كان ينسب إلى الإسلام ، وما فعله بعض الأتراك ضد المسلمين في البلاد التي دخلوها ، فعلوه أيضاً باسم الإسلام ، وناهيك عما فعله فرسان الحروب الصليبية كان أيضاً باسم الصليب ، وما فعلته محكمات التعذيب وما فعله لإسب في أهل القارة الأمريكية (الهنود) فعلوه أيضاً باسم الدين ، ليس في هذه الأمثلة كفاية للتنبيه إلى خطر إخضاع شرع الله للإرادة الإنسانية ؟ هذا يعني بمتى البساطة إلغاء لشرع الله

المبحث العاشر . النقد الذاتي للشرعية

وتحت عنوان : « بدايات حركة نقد ذاتية للشرعية في الإسلام » (ص 113 - 117)

يشير « كونج » إلى أن هناك حركة نقد ذاتية قام بها بعض علماء المسلمين وخاصة من يعيشون في الغرب ، ويقتبس مقالة من كتاب فضل الرحمن (باكستاني يعمل بجامعة شيكاغو) بعنوان : الإسلام (1966 م) ، حيث يدعي أنه لا بد لنا من تناول القرآن ككل بالدراسة التاريخية حتى تتسنى معرفة مواضعه (ص 261) . والدراسة التاريخية تختلف عن علم أسباب النزول لأنها تجعل القرآن ظاهرة تاريخية تسبب فيها كل آية إلى واقعة معينة لا تصلح سوى لمهمها ، ومؤدى هذا أن كل ما جاء في القرآن يصبح قديماً قدم الأحداث التي نزلت الآيات في شأنها ، وخطورة هذا الاتجاه لا تحصى على أحد ، ثم يذكر « كونج » أن كثيراً من المسلمين يطالب بحصر الإسلام في جوهر الشريعة العرفية والحقني والسابوي وبترك التمسك بحرفية الشريعة .

أما ما يخص فصل الرحمن فقد سبق الحديث عنه في القسم الثالث من هذه الدراسة النقدية للكتاب ، وأعيد إلى الأذهان أنه طرد من باكستان لموقفه الخارج عن التصور الإسلامي ، فلا يحسب قوله ضمن أقوال علماء المسلمين ، الموثوق في عقيدتهم ، وما يقال عن فضل الرحمن يقال عن ذكرهم من العلماء من بلاد أخرى مثل : مصر ، والهند ، الذين يدعون ويطالبون بإعادة النظر في فهم النص وعدم التمسك بالحرفية وما إلى ذلك . ويضيف « كونج » أن المسيحية والإسلام مطالبان بترك التمسك بحرفية الشريعة والمحافظة فقط عن جوهرها .

والحقيقة أنني لم أهتم ماذا يقصد بحرفية الشريعة إذا كان يقصد بها التمسك بكل ما جاء فيها من أحكام حسب الشروط الموضوع لها ، فهذا أمر سبق الحديث عنه ولا يقل المسند غير ذلك ، لأن التصور الإسلامي مني أساساً على أن أحكام الإسلام صالحة لكل العصور والمجتمعات ، وهذه الصلاحية تكسبها عن طريق الأبواب التي فتحتها على مصراعها للاجتهاد ومراعاة المصلحة العامة دائمة ، وهذا الاجتهاد هو الذي يؤسس عليه التجديد ، بشرط عدم إحصاره بمصوّر شرعية ، ولا يبرجد أي صاحب أمام مسلم من أن يحصل مصاحبه على قدر طاقته في حدود الشريعة - أي - اعتداه على حق الغير مثلاً ، وأن يكون بعيداً عن المحرمات مثل - زنا ، والخمر ، والميسر ، وما شابه ذلك . وأظن أن هذه الشروط لا يرفضها عاقل .

أما إذا كان مقصود بترك حرفية النص الاستعانة ببعض الأحكام ، مثل

محدود مثلاً أو ما يخص الزواج والعلاق والميراث . . . الخ ، فهذا مرفوض لأنه يتر للمشرية وليس مجرد التخلي عن حرفيتها ، وفي يترها تجربتها ، وفتح باب الاستغناء عن حكمه نلو الآخر حتى لا يبقى منها يوماً ما شيء . بذكر ، ويكون مصير الشريعة الإسلامية هو مصير الشريعة اليهودية والصرائية التي حرمت واحتلظت فيها الخابيل بالباطل

إن التمسك بحرفية النص بلحمي السابق الذكر أمر منطقي عند المسلمين لأن النص محموط بدون تحريف أو إدخال شيء لم يكن فيه ، وهذا ما يعترف به كثير من المستشرقين ، وأخص منهم رودي بارت في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن ، أما بالنسبة إلى اليهود والنصارى فإن الاتجاه إلى التمسك بحرفية النص أمر غير منطقي ، لأن النص نص بشري مصدره عدد من الناس اتفقوا واحتلموا وثاقضوا ، فأي نص ينبغي التمسك به ؟ وبعبارة أخرى إن نصفية المسيحية على الجوهر فقط أمر منطقي لأنه نقطة الاتفاق بين معظم أصحاب الإنجيل ، بينما القرآن وحى الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الفصل الرابع

الله والتصوف الإسلامي ، والإنسان والمجتمع

مناقشة وجهات نظر إسلامية ، (جوزيف فان إس)

المبحث الأول أولية توحيد

بدأ « فان إس » هذا الفصل بتعريف لتصوير المسلمين للتوحيد ، ويذكر المعروف الموجودة بين هذا التصور والتصوير لمسيحي للتوحيد الذي يبدو فيه التوحيد كأنه مجرد فكرة غير واضحة المعالم ، بينما تكون فكرة التوحيد عند المسلمين فكرة واضحة وعقلية وتقترن بمما وصفه « بليسيه بـ كمال » (ص 1662 م) بالتصور الفلسفي للإله الذي يعتمد على العقل والمنطق في مقابل التصور الديني للألوهية (إله إبراهيم وإسحق ويعقوب) ويقرر فان إس أن المسلم يرفض التثليث وكل ما يشوب التوحيد من حلول أو تشبيه ، على الرغم من ورود صفات لله عز وجل في القرآن يشترك فيها الإنسان أيضاً مثل العلم وغيره ، ويبقى لله متعالي عن الشر ولا صلة بينهما . ويلاحظ أن أسلوب الاتصال بين الله والإنسان هو اندي بشكل لفرق أساسي بين الصور المسيحية والإسلامية ، ففي التصور المسيحي يتم الاتصال عن طريق الحلول ، أي ما يسمونه حلول لاهوت في إنسوت (Inkarnation) أي هو اتصال مادي حسي ، بينما يرفض التصور الإسلامي هذا الاتصال المباشر ، ويقرر بدلاً منه الاتصال غير المباشر ، أي عن طريق الوحي فقط . فالتعالي الإلهي لا يعني انعدام الاتصال بين الله والإنسان ، ولكن يحدد نوع هذا الاتصال ، فيكون الله عز وجل متعالي بذاته ومتصلاً بإرادته ، فلا يتناقص التعالي مع الاتصال بالإنسان ، فالحدود بين الله والإنسان التي يذكرها « فان إس » (في صفحة 120) التي لا يمكن إلغائها في التصور الإسلامي ، هي حدود تمنع الاتصال الجسدي فقط وتسمح بالاتصال عن طريق واسطة أي عن طريق الوحي ، فالله بعيد عن الإنسان بتعالي ذاته وقرب

ثم يستطرد فان إس في عرض معنى « الرحمة » عند المسلمين ، ويوضح الفرق بينها وبين ما يقابلها في التصور المسيحي وهو « الأبوة » ويقرر بحق أن معنى كلمة « الرحمة » يتضمن ما يفهمه المسيحي من « الأبوة » - لأن الأب دائماً رحيم بأفعاله ، ويرجع بعض مسلمين لاستخدام مصطلح «أبوة» إلى أن هذا المصطلح يتضمن أن الله له أبناء أي أنه يبدى هذا ما يوافق فيه الإسلام تماماً ، ولكن المفهم الإسلامي للرحمة يسي عن أساس علاقة « لعبودية » من إله الله وبيت كما هي عند المسيحيين علاقة « بنوة » ، ويتحد التصوران الإسلامي والمسيحي في أن رحمة الله تتضمن الثقة التامة والأطمئنان إلى أن هذه الرحمة لا تنقطع ، سواء أكان الطرف الآخر إنساناً كما هو عند المسيحيين ، أو عبداً كما هو في التصور الإسلامي ، والمسيحي يقابل هذه الرحمة (الأبوية) بالثقة في حوامها ، ولما المسلم يقابلها بالطاعة التامة والشكر لله على نعمه ، حتى إن كلمة « الكفر » في التصور الإسلامي تعني الكفر بنعمة الله أي عدم الشكر .

أما لفظ الحب أو المحبة الذي مجده في الكتب للقدسة فهو موجود أيضاً في القرآن الكريم ، ولكن عباء المسلمين ، كما يقول « فان إس » ، لم يفسروا هذه المحبة بأنها هي الله (تعالى) كما يفعل المسيحيون ، لأن معنى المحبة يتضمن معنى النقص أو الحاجة إلى المحبوب ، وهذا ما يتعارض مع التصور الإسلامي للألوهية، ويستتبع « فان إس » من هذا العرض الموفق إلى حد كبير أن ثقة المسلم لا تنصب في ذات الله أي شخصه ، كما يقول ، ولكن في إرادته ، لأن ذاته بعيدة عن الإنسان ولا يصل إلى الإنسان من الله سوى إرادته ، إذن هي ثقة في إرادة الله فقط ، ويعود « فان إس » ، بذات إلى التأكيد على أن الله معزل تماماً عن الإنسان ، ولا علاقة به وبين الإنسان سوى عن طريق الإرادة ، وكان الأولى أن يوضح « فان إس » ما يراد بطريقة مباشرة ، لأن هذا العرض على ما فيه من وجهات نظر صحيحة يعطي الانطباع بأن المسلمين يحدون ويعلمون إلهاً لا يعرفون عنه أي شيء سوى إرادته ، وهذا ما يخالف الحقيقة ، لأن المسلم يعرف الله عن طريق صفاته الكثيرة التي ذكرها في القرآن ، وليس فقط عن طريق الإرادة التي هي صفة من صفات ذاته . ونستطيع أن نقول إن المسلم يعرف عن الله كل شيء سوى كيفية ذاته تعالى ، هذه الكيفية سوف تظل بالنسبة إلى الشر جبراً أمراً مستعلفاً لا يمكن الوصول إليه ، واستحالة الوصول إليه أمر منطقي ، لأن

الإنسان محدود في ذاته وعدمه وسائر الجميع ، فلا يستطيع أن يحيط إلا بما هو أدنى منه في التحديد ، أما الإحاطة (أي العلم) باللا محدود فتبقى بالنسبة للمحدود مستحيلة ، وليس هذا ، لقول مجرد حجة عقديه تستعين برهان عقده أو منطقيه بالقدر الذي يفيدها فقط ، ولكن قضية معرفة الذات ، أي « ذات محدودة » هي أيضاً من أصعب القضايا المعرفية التي واجهت وتواجه البشر حتى الآن غير تدريج الفكر الفلسفي ، وانقسمت حولها الآراء الفلسفية بين منكر لوجود الذات على أساس أن الذات وحدها لا يمكن معرفتها والإحاطة بها كما هو المذهب الوصفي ، والوصفي المنطقي المعروف عند ديفيد هيوم (1776 م) - وأرنست ماخ (1916 م) .

بينما يذهب المذهب الوصفي التحليلي إلى عدم الإنكار أو الإثبات لكل ما يخرج عن نطاق الإدراك الحسي والعقلي كما هو الحال عند برتراند رسل (1970 م) .

ويذهب فلاسفة الظاهريات (Phänomenologie) إلى أن الإنسان لا يستطيع إدراك ذات أي شيء ، وكل ما يمكن إدراكه من الأشياء هو ظاهرها وأثارها كما يقول إيمانويل كانط (1804 م) وهوسرل (1938 م) . فإذا كان الإنسان غير قادر على إدراك ذات الأشياء المخلوقة ولا يستطيع سوى إدراك طواهرها فما بالك بإدراك ذات لا محدودة أي الذات الإلهية ؟ ويتفق الملاسمة من وضعيين وتحليلين وظاهريين على أن محاولة معرفة كيفية الذات هي عبث لا طائل فيه كما يقول الفيلسوف الوصفي أرنست ماخ .

كيف يؤخذ على المسلمين عدم تعمقهم في البحث عن الذات الإلهية في كيميتها ، وتقريرهم أن هذا العمل بحث لا طائل تحته ؟

ويستأنف « فان إس » حديثه عن المحبة في الإسلام ويقرر أن هذا المفهوم قد ازداد عمقاً عند المتصوفة ، (ويقصد عند رابعة العدوية) ، وإن لم يذكر اسمها . ويرجع ظهور التصوف في العالم الإسلامي إلى المبالغة في تعقيل العقيدة (التفكير العقلي) ، بالإصافة إلى انتشار الغرر والبدع والاتجاه إلى الدنيا في العصور الإسلامية الأولى خاصة في قصور الخلفاء . و« فان إس » يتفق في ذلك مع رأي جده فراج في كتابه « معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى » (صفحة 112) .

وسلاحظ أنه لم يذكر تأثير المسلمين في ذلك بالتصوف النصارى في لرهانية ؛ وما عدا ذلك فيبدو عرضه لهذا الأمر عرضاً موضوعياً لم أجد فيه تجاوراً و اختلافاً عما يوجد في أسحات العلماء المسلمين حول هذا الموضوع ، وإن تميز عرضه هنا بالدقة التي يمتد بها في كثير من مؤلفات الأليف الشديد ، ونجد ذلك صفة خاصة في محاولته تعريف المصطلحات الصوفية والفرقة بينها وبين مقابلاتها في التصوف المسيحي أو من تأثيرهم من التصوف الإسلامي ؛ فتجده مثلاً يعرف مصطلح الفناء الذي يتضمن فناء ذات الإنسان في الله ، فالفناء هو الباقي دائماً على حاله بينما الإنسان هو الذي يبقى فيه ، كما يقول المتصوفة ، أي أن العشق الذي يؤدي إلى هذا الفناء ليس عشقاً بين طرفين متكافئين ، ولكنه من طرف واحد هو الإنسان تجاه الذات الإلهية التي يبقى فيها ، بينما يؤدي العشق بين طرفين متكافئين ، كما هو في التصوف للمسيحي مثلاً ، إلى اتحاد الذاتين معاً ليصبحا ذاتاً واحدة ، على زعمهم ، والعراق بين الاتحاد والفناء واضح ، ولكن ذات الإنسان التي تبقى في الله تجده نفسها بعد هذا الفناء ، أي أنها لا تبقى شيئاً ولكنها تكون في حال لا يمكن وصفها ، وهذه الحال هي التي تسمى في التصوف «الوجد» وهذا الحال يدل على أن النفس - وهي في حال الفناء - موجودة ، ولكن وجودها هو مجرد عن كل الصفات الشخصية التي كُتبت معالمها ، وهذا التجرد هو السبب في عدم قدرة النفس الغائبة على وصف حالها في حال «الوجد» . وهذا الوضع يوضح العارق بين النفس الغائبة والذات التي فنيت فيها النفس ، فيظل وضع العبودية قائماً في حال الفناء والوجد ؛ بينما «الاتحاد» يعني أن الطرفين متكافئان في العشق ، أي أن كلاً منهما يعشق الآخر ، وعندما يتحدثان ينصهران معاً ويصبحان نفساً واحدة بعد سقوط كل الفوارق والحواجز بينهما . وهنا يتضح العارق بين «الفناء» و «الاتحاد» بمعنى أصبح بين التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي . وهذا هو ما أراد «فان إيس» التعبير عنه بإيجاز ، ولكنني وجدت ضرورة إيضاحه بشيء من التفصيل قد يفيد القارئ المصمم في هذا المجال .

المبحث الثاني . مناقشة مجرى العادة

ويقول «فان إيس» عن علاقة الله بالعلم (في صفحة 124) إنها علاقة مالئك الذي يسيّر أمور ملكه لحظة بلحظة ولا يترك الأشياء إلى قوانينها الطبيعية ، ثم يذكر أن الله قد خلق للطبيعة قوانينها ولكنه يقدر في كل لحظة على خرق تلك القوانين بإظهار المعجزات ، ويصل المؤلف بذلك إلى أن الأمور الطبيعية تسير

حسب مجرى العادة ، أي أنها تخلو من علاقة العلة والمعلول ، ويستشهد «فان إيس» في هذا بحال الإمام الغزالي . ويقرر أنه سبق بذلك القول «ديفيد هيوم» ولي على هذا القول بعض الملاحظات .

أولاً : إن القول بأن الفكر الإسلامي لا يعترف بالعلاقة العلية بين ظاهرتين طبيعيتين قول غير صحيح ، والدليل على ذلك ما ذكره ابن تيمية في كتابه الرد على المطفلين ، وذكره السيوطي في «صوب السمع» ونقله لاوست في كتابه «مدخل إلى المادى الاجتماعية عند ابن تيمية» .

ثانياً : نقول بأن الأمور الطبيعية تسير حسب مجرى العادة فقد ورد عند بعض المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة قبل القاضي عبد الجبار المحدثاني ، ثم ظهر بعد ذلك عند أبي حامد الغزالي ، ولم يقل به كل الأشاعرة أو المعتزلة أو العلامنة

ثالثاً : إن معنى مجرى العادة هنا عند القاضي عبد الجبار وأبي حامد الغزالي يختلف عما قال به «ديفيد هيوم» . فبينما يعني مجرى العادة في الفكر الإسلامي تتابع الأحداث دون ربطة عليهما ، بل جرت العادة مثلاً على أن يسع المطر تكاثف الغيم ، وليس لأن تكاثف الغيم علة المطر ، والمرجع في هذا التتابع هو الحكمة الإلهية ، نجد عند «هيوم» التابع بالصدفة ، لا يحكمه قانون إطرادي ، أو علة طبيعية أو ميتافيزيقية ، بل هو يؤكد أن البحث وراء علة ميتافيزيقية للأشياء هو عبث محض

ويتعرض «فان إيس» بعد ذلك (صفحة 127 - 129) إلى المشكلة الكلامية المعروفة بالخبر والاختيار ، أي مدى قدرة العبد من فعله وما يترتب على ذلك من مسؤولية وحساب ، ويذكر باختصار شديد وجهة نظر القدرية ووجهة محيرة ، ويخصص من هذا العرض إلى أن الله يُقدر العبد على فعل اختياره العبد ويكون الاختيار ، وليس الفعل ، هو أساس الحكم بالحس أو القبح وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب ، وهو يعرض هنا وجهة نظر المتكلمين وخاصة المعتزلة والأشاعرة ، فقالت المعتزلة بالاستطاعة أي القدرة ، وقالت الأشاعرة بالكسب ، أي أنه ليس للإنسان سوى لاختيار ، أي اختيار فعل ما أو تركه ، أما القدرة على أدائه فهي تعطى له من الله عندما يختار الإنسان عمل شيء ما ، وهو بحسب على هذا الاختيار ، ولكن «فان إيس» يستنتج من ذلك أن الفعل القبيح

أو الحسن في ذاته غير معروف عند المسلمين ، لأن الأعمال مخلوق في كل مرة فتكون مرة حسنة ومرة أخرى فيحفة . وهذا الاستنتاج يجانبه الصواب ، لأن هناك من الأعمال ما هو دائماً قبيح ، بمعنى أنه قبيح في ذاته ولا يمكن أن يصبح تحت أي ظرف من الظروف حسناً مثل الظلم ، وهذا هو ما يقول به معظم المتكلمين إن لم يكن جميعهم ، وذلك بخلاف الكذب مثلاً . قال بعض المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار بحسنة إذا كان يؤدي إلى مصلحة أو دفع ضرر وفي كتاب « المنى في أبواب التوحيد والعدل » للقاضي عبد الجبار القمي ، وكذلك في كتبه الأخرى مثل « شرح الأصول الخمسة » و« المجموع في المحيط بالتكليف » بالإضافة إلى كتاب جورج فصلو حوراي « العقلانية الإسلامية » (Islamic Rationalism...) ما يعني عن تفصيل الحديث في هذا الموضوع هنا ، وقد أصاب « فان إس » في عرض وجهة نظر أهل السنة والجماعة في موضوع لتحسين والتقييد بأن قال : إن الحسن عندهم هو ما أمر به الله ، والقبيح هو ما نهى عنه ، أي الطاعة والمعصية ، بدلاً من الحسن والقبح .

ويعود « فان إس » إلى استنتاج مقولة أخرى نسبها إلى المسلمين ، وهي تمثل وجهة نظر بعضهم ، أي خلق القدرة على الفعل بعد اختياره ، فهو يرى أن وجود الإنسان الحقيقي ، أي وجود الإنسان في ذاته باستمرار أمر غير أساسي في الفكر الإسلامي ، بمعنى ذلك أن علم الكلام الإسلامي لم يكن يعرف مصطلح « الشخصية » الذي يعني وجود الإنسان جسداً وروحاً وجوداً حقيقياً مستمراً ، ويقول : « ولم تعرف مشكلة بقاء الروح حية بعد فناء الجسد في الكلام الإسلامي إلا في فترة زمنية متأخرة » (صفحة 130 - 131)

وحديث « فان إس » في الفقرة الأولى غير واضح ، فالقارئ لا يستطيع أن يعرف حل وجه الدقة عما إذا كان « فان إس » يقصد بوجود الإنسان وجوداً حقيقياً مستمراً ، وجود ما يسمى بالإنسان الكلي في مسألة الكلليات (Universalien) أم أنه يقصد هنا الإنسان الجزئي مثلي ومثله ومثلك ؟ فإن كان يقصد مشكلة الكلليات ، فهي مسألة لم تعالج في علم الكلام الإسلامي ، بل فيها يسمى بالفلسفة الإسلامية وخاصة عند ابن سينا . أما إذا كان لا يقصد الإنسان الكلي فإن إدعائه هنا خطأ من أوله إلى آخره ، فإن الإنسان موجود وجوداً حقيقياً في هذه الدنيا جسداً وروحاً ، وبصفة مستمرة ما دامت الدنيا دنية ، وذلك عن طريق المولد ، أما الإنسان المرد فهو موجود وحيد حقيقياً جسداً وروحاً طوي حياته

إلى أن يموت ، تنفخ روحه وتصعد إلى بارئها ويفنى جسده ، ولا أعرف مسلماً اختلف مع أخيه في ذلك . أما الفقرة الثانية التي تخص الروح ، فصحيح أنها لم تعرف كمسألة كلامية إلا في فترة متأخرة ، أي في بدايات القرن الثالث الهجري ، خاصة عند أبي الهذيل والنظام ومعمرين عباد وبشر بن المعتز من المعتزلة ، وكثيراً ما كانت تناقش ضمن مشكلة الجواهر والعرض وحالة فيما يسمى بمسألة الفناء والإعادة .

أما الاختلاف الذي ذكره « فان إس » بين المتكلمين في هذه المسألة فلم يكن حول وجود الروح في حد ذاته ولكن في ماهية الروح ، فالبعض قال إنها هي هيئة الإنسان ، أو نفسه الذي يتنفسه ، إلى آخر ذلك من آراء . والسبب في أن المسلمين لم يتعمقوا في بحث ماهية الروح هو أن هذا الأمر من الأمور التي احتفظ الله لنفسه بمعرفتها ، قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (الإسراء / 85) وهذا ما أجمع عليه المسلمون من متكلمين وغيرهم .

ويرى « فان إس » بحق أن المسلم يرى وجوده الحقيقي في كونه عضواً في مجتمع إسلامي ، ويعتبر إحساس المسلم بانيته إلى الأمة الإسلامية تعبيراً قوياً عن روح التضامن التي تربط المسلمين ، وتجد هذه الروح تعبيراً عملياً من خلال أداء الشعائر الدينية كصلاة الجماعة ، والصيام ، والحج ، وما إلى ذلك .

المبحث الثالث - مشكلة الرق

يقرر « فان إس » أن الإسلام هودين المساواة ولا يعرف الفوارق الطبقة التي عرفت منذ الرومان والعصور الوسطى المسيحية . فالإسلام لا يفرق سوى بين الحر والعبد ، والعبد له حقوق وعليه واجبات ، وذلك بخلاف ما كان معروفاً قبل ذلك أو بعد ذلك في المجتمعات المسيحية ، حيث كان العبد ملكاً لسيده ، ليس له أية حقوق ، وعلى الرمح من أن الإسلام قد قرر للعبد حقوقاً رواجيات إلا أن المسلمين لم يعكروا في مدى صحة هذا النظام ، والوضع الطبيعي للإنسان كما كان يقرره الفقهاء هو أن يكون حراً وأن الرق خارج عن قاعدة الإنسانية (ص 134) .

يلاحظ أن المؤلف قد وقع في تناقض مع نفسه ، فهو يقرر أن أشد المسلمين تعصباً لم يفكر في مدى صحة هذا النظام ، ومن جهة أخرى يقرر أن الفقهاء المسلمين كانوا يعتبرون أن الوضع الطبيعي للإنسان أن يكون حراً ، وأن الرق

مخرج من قاعدة الإنسانية ، وأصل هذا الرأي هو اعتقاد أن الإسلام أقر نظام
 ربي بني كان موجوداً في الجاهلية (ص 133) وأن ما أضاعه الإسلام إلى هذا
 وضع هو محاولة الحد من الظلم الذي يقع على الرق ، ويدوان هذا الرأي يسود
 معظم المؤلفات الاستشراقية التي تتناول النظام الاجتماعي في الإسلام . وكان هذا
 تصوره الاجتماعي مبني على هذا التصور ، كما سيأتي ، كالتصورات - السياسية
 والاشتراكية على أساس العلاقة بين العمال وصاحب رأس المال أو بين ملاحين
 وملوك الأرض ، ولكن هذا التصور خطأ من الأساس ، فإن الإسلام تحدث عن
 الرق بصفته أمراً واقعاً ولم يقرر صحته ولم يقتصر على وضع إطار إنساني لمعاملة
 رق بتفريغ واجبات وحقوق بين السيد والعبد ، بل أمر وحث على تحرير الرق
 وجعل ذلك من الكفارات في أكثر من آية قرآنية ، اقرأ قوله تعالى : ﴿ ومن قتل
 مؤمناً خطأ فتحرير رقبة ﴾ . . . إلى آخر الآية الكريمة التي ذكر فيها « وتحرير رقبة »
 ثلاث مرات (النساء / 92) . وقرأ قوله تعالى في سورة البلد (13) : ﴿ فلا
 اتقحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة ﴾ وقرأ ما بين هاتين السورتين في
 سورة المائدة (89) وسورة المجادلة (3) . ومن أقوال الرسول ﷺ ما جاء في حجة
 الوداع : « يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أبائكم واحد ، ألا لا فضل لعربي
 على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا
 بالتقوى » (أخرجه الامام أحمد في مسنده 5 / 417) فالتقوى وحدها - وليس
 الجنس ولا اللون ولا الوضع الاجتماعي - هي المقياس للفصل وهي أمر مكتسب
 ميسر لكل إنسان سوى وهذا يدل على أن الإسلام يرفض هذا الوضع ويحث على
 تغييره ، ولم يقتصر ذلك على رأي الفقهاء كما يقول « فان إس » ولكن هذا هو
 رأي الإسلام من أبسط أبنائه إلى أعلمهم . و« فان إس » نفسه يقرر أن الإسلام
 لم يعرف أبداً التفرقة العنصرية (ص 132 - 133) ولقد جاء اللبس في هذا
 العرض نتيجة لما ذكره « فان إس » في بداية هذه الفقرة من أن أشد المسلمين
 تعصباً لم يترك في مدى صحة هذا الطعن أي نظام الرق ، ثم يمر بعد ذلك أن
 الإسلام لم يعرف التفرقة العنصرية أبداً وهو دين المساواة . . . إلخ .

ويتقل « فان إس » إلى نقطة أخرى يأخذها على الإسلام ويدعي أن
 الإسلام قبل الأمر الواقع الذي كان سائداً في الجاهلية ، وهو وضع المرأة في
 المجتمع الإسلامي ، والمرأة في المجتمع الإسلامي لا تزال تسمى للمساواة مع
 الرجل ، على حد قوله ، مع أن القرآن الكريم قد جاء بتعديلات محددة في

صالحها مثل حملها في سبعة (ص 4 د) . ويرجع « فان إس » التطورات
 الإيجابية البسيطة التي صرحت على المرأة في المجتمع الإسلامي إلى التأثير القوي
 وليس بمعنى تطبيق التصور الإسلامي الصحيح ، ولا أريد هنا عرض ما كلفه
 الإسلام من حموى للمرأة وتكريمها كما أنه تكريم في دين أو مجتمع آخر ، لأن
 القارئ العربي يعرف ذلك ، وقد كتب في هذا الموضوع العديد من الكتابات
 القيمة ، أذكر منها على سبيل المثال « المرأة في القرآن » لعباس محمود العقاد ،
 وكذلك « حقوق المرأة في الإسلام » لمحمد بن عبد الله عرقه . وأحب أن أنوه هنا
 إلى خطأ شائع بين من يتحدثون عن مشكلة المرأة ، وهو الخلط بين مفهومي
 العدل والمساواة ، فقد يتفق هذان المفهومان وقد يناقضان . فإذا كانت المساواة
 بين طرفين متساويين في كل شيء كانت المساواة عدلاً ، أما إذا كانت مساواة تامة
 بين طرفين أو عدة أطراف غير متساوية في طبيعتها فمر ظلم ، أي هي نقيض
 العدل ، كما يذكر ذلك عباس محمود العقاد في كتابه الذكور (صفحة 62) .
 وبالنسبة للمرأة والرجل فإن الجميع يعرف اختلافهما في الطبيعة والقدرات ، ولا
 بد لهذا الاختلاف أن ينعكس على طبيعة الحقوق والواجبات التي تنسب إلى كل
 منهما ، فهي إذن حقوق وواجبات مختلفة ، فإذا كانت هذه الحقوق والواجبات
 مناسبة لطبيعة كل من المرأة والرجل كان هذا عدلاً وليس مساواة ، وأما إذا
 تساوت الحقوق والواجبات للمرأة والرجل مع اختلاف الطبيعة والقدرات كان
 هذا التساوي ظالماً لكل منهما ، فالعدل هو المطلوب وليست المساواة ، إذا السؤال
 الذي ينبغي أن يطرح هنا هو التالي :

هل جاء تصور الإسلام لحقوق وواجبات المرأة عدلاً ؟ أي موافقاً لطبيعتها
 وقدراتها أم لا ؟ وأكثر ما يذكر من مظاهر لعدم المساواة بين الرجل والمرأة في
 الإسلام يتركز عادة حول نقطتين وهما :

- 1 - عدم حق المرأة في الطلاق من الرجل دون الرجوع إلى المحكمة
- 2 - تعدد الزوجات للرجل دون مقاس ذلك بالنسبة للمرأة .

أما الرد على ذلك فحيل القارئ إلى هذين الكتائين السالفي الذكور ،
 ففيهما ما يكفي في هذه المسألة . ولكي أريد أن أضيف إلى ذلك عبارة لعلها تنها
 إلى حطوره هذه المسألة ، وهي أن ما يطلق في البلاد الإسلامية من عادات وتقاليد
 جاهلية خاصة في الروح وخلق وتعدد الزوجات ومعاملة الزوج للزوجة والأساء
 وتفضيل الابن على الابنة في كثير من الأحيان هو السبب في هذا الهجوم والنقد

الذي يوجهه غير المسلمين إلى المسلمين ، لأنهم يحسبون ما يقع من المسلمين على الإسلام ، والفارق شاسع بين الإسلام في تصوره الصحيح ، وبين ما يفعله كثير من مسلمي في حياتهم الاجتماعية ، وهذا واقع لا يختلف فيه إثنان ، ولن يعيد كثير تنبيه دأبه إلى أن القرآن الكريم وحديث الشريف نصاً عادلاً وتكريماً للمرأة لا نجد له مثيلاً في ديانات أخرى ما دام التطبيق الفعلي في المجتمع الإسلامي يافض ذلك ، فالعلاج إذن عندنا ومطوب منا ، أقول العلاج وليس الرد النظري بالخطابة والمهجوم. حل كل من يوجه النقد إلى المسلمين والاكتفاء بانتمائه بعقائده للإسلام والمسلمين ، ولكن بعودتنا إلى تعاليم الدين الإسلامي وتطبيقنا لتصوره الصحيح تجاه المرأة .

وفي نهاية هذا الفصل يقرر « فان إس » أن الدين الإسلامي دين اجتماعي يختلف في علاقته بالمجتمع عن الدين المسيحي إلى حد ما . والأصح أن الاختلاف بينهما كبير جداً ، يكاد يكون جذرياً ، فمن المعروف أن المسيحية تعتقد كل النظم الاجتماعية سياسية واقتصادية وأسرية ... الخ . فليس غريباً إذن أن يكون المجتمع المسيحي عسائرياً ، أي أنه يعتمد في تنظيماته على نظم وصعفة ، بينما الإسلام يقدم للمجتمع نظاماً اجتماعياً يغييه عن الاعتماد على الفكر البشري ، أي النظم الوضعية في تسيير أموره .

كما يقرر « فان إس » بحق أن الإسلام يجاري مطالب العصر عن طريق التفسير (القرآني) وهو بذلك يؤثر على السياسة في المجتمع ، والأصح أن الإسلام لا يجاري مطالب العصر ، أي أنه ليس تابعاً لها يجري وراءها ، ولكنه يضع لها الخطوط الأساسية ، فهي التي تمهد في التصور الإسلامي الصحيح إنعكاساً واستيعاباً . وهذا تقرير يمكن الرد عن ما ذكره المؤلف الآخر للكتاب وهو « هانس كويج » الذي يطالب بعلمانية دينية معتدلة كما يذكر ، وقد سبق الرد عليه في البحث السابع من الفصل الثالث من هذا الباب .

البحث الرابع : مناقشة كويج في حقوق المرأة

يبدأ هانس كويج في رده حيث تنتهي « فان إس » أي مشكلة المرأة في الإسلام (137 - 139) ويلخص أهم نقاط نقد الموجهه ضد تصور الإسلام للمرأة في نقطتين هما

1 - إباحة تعدد الزوجات .

2 - حق إطلاق للرجل دون حكم محكمة

وقد أشرت إلى ذلك قبل قليل أثناء ردي على « فان إس » في هذه النقطة ، ولكن « هانس كويج » ينطلق من مطلق يختلف عن منطلق « فان إس » حيث يبدأ « كويج » في ندبة هذا الفصل يبين مظاهر وجود تعدد الزوجات قبل الإسلام في حيرة العرب ، ثم يذكر أن أنبياء إسرائيل ومهم إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا متزوجين بأكثر من امرأة ، ثم يقرر أن محمداً ﷺ قد أدخل بعض التعديلات في صالح المرأة بالقياس إلى وضعها في الجاهلية ، ويرفض النظر إلى هذا لتصور الإسلامي للمرأة معطار العصر حاضر ، وتعتم هذا لعرض بتقرير أن المسيحية لم تصف المرأة ، ولم تذكر المصادر التاريخية أي دور للكنيسة في سبيل تحرير المرأة .

ويلاحظ على هذا الرأي عدة نقاط :

1 - أنه يحاول جاهداً تبرير موقف الإسلام في عدم مساواته بين المرأة والرجل مساواة كاملة أو كيهامي الحال الآن في المجتمعات الغربية .
2 - أنه يسبب هذه التعديلات التي أدخلها الإسلام في صالح المرأة إلى محمد ﷺ ، وهي ليست من محمد ﷺ ولكن من الله عز وجل .

3 - أنه يجعل صحة تصور الإسلام للمرأة نسبية ، أي ينسبته إلى العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، وهذا يعني أن هذا التصور الإسلامي كان صحيحاً في الماضي ولكنه الآن قد فقد صلاحية للتطبيق .

4 - أنه يقرر أن المسيحية والكنيسة ليس لها أي دور إيجابي في تحرير المرأة الغربية ، ومعنى ذلك أن التطور الذي حدث في شأن المرأة العربية قد كان نتيجة لتطورات اجتماعية واقتصادية ... الخ .

والواضح من خلال هذا البحث أن النقد الموجه إلى الإسلام ينصب في معظمه على هذه المسألة ، أي مسألة وضع المرأة في المجتمع الإسلامي ، وأطر أن كثرة الهجوم قد أدت إلى كثرة الدعا ، حيث يصير كل طرف على حصة رأيه دون النظر إلى أهمية هذه المسألة من الناحية الدينية ، فالواقع أن هذه المسألة لا تشكل أصلاً من أصول الدين ، ولا تعتبر حداً فاصلاً أو مقياساً لمدى التمسك بالإسلام ، فهي من المسائل الفرعية الخاضعة للاجتهاد والراي ومشروطة بشروط لا تصح دونها ، ولكن التطبيق الفعلي لهذه الأمور في المجتمع الإسلامي الذي لا

تراعى فيه عادة هذه الحدود الشرعية هو الذي جلب على المسلمين وعلى الإسلام هذا المصوم . تعدد الزوجات لم ينشأ الإسلام ولم يوجبه ولم يستحسه ، ولكنه أباحه بشروط كما يقول عباس لعقاد في كتابه « المرأة في القرآن الكريم » (ص 69) وكذلك محمد عبد الله عرفة في كتابه « حقوق المرأة في الإسلام » (ص 85)

أما ما يخص الطلاق فللمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها إذا أحست باستحالة الحياة الزوجية معه ، فتكون أولاً الوساطة بالتحكيم ، ثم يكون الطلاق إذا لم يؤد التحكيم إلى صلح . والطلاق الفعلي يتم أيضاً بالنسبة إلى الرجل في المحكمة كما هو الحال بالنسبة للمرأة ، وإن كانت المرأة تعتبر من ناحية الشرعية طالقاً بمجرد وقوع الطلاق عليها من الرجل ثلاث مرات ، وإذا أرادت المرأة الانفصال عن زوجها بالطلاق قبل صدور حكم المحكمة فإنها تغادر منزل زوجها وتذهب إلى أهلها وتظل هناك حتى يتم التحكيم بالصلح أو الطلاق ، وتتولى جهة التحكيم تحديد المتطلبات المالية لإجاء حالة الزوجية ، فإذا طلبت هي الطلاق تنازلت عن مؤخر صداقها وترد إليه هداياه ، وقد تعرضه بمبلغ من المال حتى يتسنى له الزواج بشيرها ، هذا إذا كانت هي التي طلبت الطلاق لأسباب خارجة عن إرادة الرجل وليس بسبب إساءة معاملته لها مثلاً ، وتفصيل ذلك نجد في الكتب العقبية والأبحاث العلمية الر . نتم بهذا الموضوع . ولكن لسؤال الرئيس هنا ، ما هو القصد من التنبيه إلى « يسمونه تقاضى في التشريع الإسلامي ونكرواها ؟ أطل أن القصد هو عاقل إقناع المسلمين بضرورة عادة النحر في بعض الأحكام الشرعية أو التشريعية بحجة أنها لم تعد تلائم العصر ، أو أنها غير عادلة أصلاً في أسوأ الأحوال ، أما ما يخصنا نحن المسلمين فيعني علينا أن ندر هذا الأمر من ، ولا نقف منه موقف العداء المطلق دون إمعان النظر في مكاب أن يكون بعض النقد صحيحاً إذا لم يكن يمس أصلاً من أصول الدين . أم لصروع ، أي المسائل التفصيلية التي تخص خطط الحياة التي هي سادة لاجتهاد ، فلماذا نرفض إعادة التفكير فيها واحتيل ما يتصل منها بصلب الشرع فلا يبدل ولا يعدل ، أم ما كذب من باب مصالح الرسالة فيجب علينا لتفكير فيها إذا كان من الأفضل تعديله بشرط ألا يتعارض مع نص من الكتاب أو السنة ؟ ثم إن هذه القضية من المسائل الشخصية التي يتصرف فيها كل فرد حسب حاجته في حدود الشرع . ويلاحظ في المجتمع الإسلامي أن هناك بعض التصورات التي لا

علاقة لها بالإسلام وهو بريء من ، قد نسبها بعض المسلمين عن جهل إلى الإسلام وحاولوا إيجاد تفسير وتبرير لها في الشرع الإسلامي ، وأصعوا عليها قناسة وأصبحت عندهم هي التطبيق الصحيح للتصور الإسلامي . فالنساء عندنا في مجتمعنا الإسلامي كثيراً ما تهضم حقوقهن في اختيار الزوج ، وفي التصرف فيما يمكن ، ويحرم من العمل خارج البيت وإن كان العمل شرعياً . ولا يؤخذ رأيهن في كثير من أمورهن . كل هذه عادات جاهلية ورثها العرب عن آبائهم وأجدادهم وظنوها من الإسلام وهو منها براء . فالمرأة هي نصف المجتمع على الأقل ، وهي طاقة يمكن الاستفادة منها حسب ما يتناسب مع طبيعتها وقدراتها ، ولم يحرم الإسلام عليها العمل خارج المنزل ما دامت لا تتبرج ولا تختلط مع الغرباء ، أي ما دام هذا العمل لا يجعلها تنتهك الحدود الشرعية ، ولم تحرم المرأة في عصر الرسول ﷺ من العمل خارج البيت ، ولم يلزمها الشرع بأن تقتصر فقط على العمل في منزلها ، بل أباح لها كل ما يتناسب مع ما خلقه الله لها من قدرات ، ولا أريد أن أسترسل في هذا الموضوع ، فلعل القارئ يعرف ذلك أكثر مني ، ولكن أردت أن أنوه إلى دورنا نحن المسلمين في إعطاء الآخرين أسباباً لنقدنا وتوجيه اللوم إليها والانتقاص من ديننا الحنيف .

المبحث الخامس : نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية عند كونج

ويتنقل « كونج » بعد هذه النقطة إلى موضوع آخر هو في الحقيقة هدف هذا البحث من أوله إلى آخره ، وهو محاولة إظهار نقاط التقاء بين الإسلام والمسيحية ، وأيضاً اليهودية ، فيما يتعلق بتصور هذه الديانات لله وللإنسان . ويحدد قوله في هذا المجال في أربع مسائل هي :

- 1 - التوحيد .
- 2 - الإيمان بقضاء الله وقدره مع إثبات مسؤولية الإنسان عن أفعاله .
- 3 - البعث والحساب .
- 4 - المحبة والمعاملة .

ويلخص مسألة التوحيد في أربع نقاط هي ما يلي :

- 1 - الإيمان بوحدة الله على الرغم مما يقال عن التثليث المسيحي ، فهو من وجهة نظر المؤلف توحيد لأنه يتضمن الإيمان بالإله الواحد .
- 2 - الإيمان بأن الله خالق العالم من العدم وأن الله متعال عن العالم ، إلا أنه في

الذات نفسه قريب من الإنسان كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ ونحو أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (سورة ق / 16) .

3 - الإيمان بأن الله يسمع تيسير وحمد واتساعاً الإنسان .

4 - لإيمان بأن الله رحيم وحيم لا يظلم أحداً

وهذه النقاط الأربع تجمع بالفعل الديانات الثلاثة وتدل على أن مصدرها واحد وهو الله عز وجل ؛ ولكننا يجب أن نفهم هذا القول على أنه يمثل وجهة نظر المؤلف هانس كونج ، وبعض العلماء لنصارى ، أما الكنيسة وخاصة الكاثوليكية فلها وجهة نظر أخرى تختلف في تفسيرها لهذه النقاط عما يراه كونج ، وخاصة فيما يتعلق بالتثليث وغفران الذنوب ، أي الوساطة بين الله والإنسان .

أما عن القضاء والقدر ، وتعلقه بالمسؤولية والحساب فهو يحرص موقف الإسلام من ذلك حرصاً صحيحاً ، ولا يجد تعارضاً بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين تحمل مسؤولية الإنسان لأفعاله . ويرد بذلك على من يتهم الإسلام بما يسمى التوكل (Fatalism) . والإسلام يتفق مع اليهود في الإيمان بقضاء الله وقدره مع تحميل الإنسان للمسؤولية ، أما المسيحية ففيها فريقان : فريق يؤمن بأن الإنسان مسير ، أي أن الله هو فاعل أفعال العباد ، وهم أنصار دتوماس الأكويني ، (ت 1274 م) ، وفريق آخر يؤمن بعكس ذلك ، وهم اليسوعيون وخاصة في الوقت الحاضر (ص 142 - 144) .

ويجدر بالذكر هنا أن الاختلاف حول هذه المشكلة وجد أيضاً في الإسلام بين القدرية والمجبرة في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري ، وقد تزعم الفريق القائل بحرية الإنسان غيلان الدمشقي (ت 107 هـ) ومعه الجبلي (ت 125 هـ) وتزعم فريق المجبرة الجهم بن صفوان (ت 128 هـ) .

ولفريق الأخير أي للمجبرة ، يتفق من وجهة نظر هانس كونج ، مع آراء القديس أوغسطين ، (435 م) ودانتر لوتر ، (1546 م) ، ودانلن ، (1564 م) .

ويتفق التصور الإسلامي مع التصور المسيحي - كما يقول كونج - في أن علم الله المسبق بما سيكون لا يعني إجبار الإنسان على فعل ما (Determinism) ويتفق التصوران الإسلامي والمسيحي على أن أتباع الدين الآخر ومبصره من

الديانات سوف يدخلون النار ، وهذا التصور يجب ، على حد قول كونج ، تفهيمه ، وينبغي أن نفهم عند هذا الطلب الذي يطلبه « كونج » من الإسلام وسير أن الحكم بأن أتباع الديانات الأخرى مثل المسيحية واليهودية سيدخلون النار ، لأن الدين عند الله الإسلام ، ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً لن يقبل منه ﴾ (آل عمران / 85) مبني على سبب ، ولا يرفع الحكم إلا بارتفاع السبب ، والسبب هو أن أهل الكتاب قد حرموا ما أنزل الله على موسى وعيسى ، فجاء الحكم عليهم بالعذاب في قوله تعالى في سورة البقرة (29) : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ . والمؤلف يقرر في هذا البحث ما جاء في الآية كرامة كما سبقت الإشارة إليه في القسم الرابع من هذا البحث ، فهنا رجوع رجل الكنيسة عن كل ما أضافه أسلافهم وأعادوا ما حذفوه وصححوا ما حرفوه ؟ لو معناه ذلك لما بقي بينهم وبين الإسلام حاجز ، فقد أقر المؤلف بأن عقيدة التثليث دخلت إلى النصرانية في القرن الثالث والرابع الميلادي ولم تكن موجودة فيه أصلاً ، وكذلك ما ترتب على هذه العقيدة من تصورات خاطئة ، مثل أن عيسى ابن الله (تعالى الله على ذلك) (ص 183 - 185) وكذلك عقيدة الدسب الموروث التي يرفضها الإسلام رفضاً باتاً هي أيضاً - كما يقول كونج - من اختراع القديس أوغسطين (430 م) ولا يوجد لها في الكتاب المقدس سند واضح بأن الذنب يورث من الأب إلى الابن (ص 145) .

أما ما يخص البحث فقد نبه « كونج » أن الاتفاق تام بين الإسلام والمسيحية في صحة البحث بعد الموت ، ولكن الاختلاف بينهما يتركز في تصور كل منهما لنشأ والعقاب ، فالنواب (الجنة) ، حسب التصور المسيحي ، هو رؤية الله عز وجل (الجنة) ، والعقاب (النار) الحرمان من رؤية الله عز وجل - بينما يكون النواب (الجنة) حسب التصور الإسلامي ، إصطفاء إلى رؤية الله عز وجل ، ما يشتهي من طعام وشراب ونساء .

ويرى « كونج » اتفاقاً بين عيسى - عليه السلام - ومحمد ﷺ في أن كلاهما عانى الكثير في سبيل دعوته ، وتحملوا ما لا يطيقه الإنسان العادي من المعاناة والتعذيب من أعدائهما ، ولكن الاختلاف بينهما يكمن - حسب رأي كونج - في أن عيسى عليه السلام بلغ في العفو عن أعدائه ما لم يبلغه محمد ﷺ ، فعنه (محبته) كانت لكل إنسان بلا استثناء ، والتنازل عن حقه في سبيل الآخرين ، أي ما

الفصل الخامس

الإسلام والديانات الأخرى (عيسى عليه السلام) في القرآن (فان إس)

المبحث الأول : استعداد الإسلام للحوار : « 157 - 172 »

يبدأ « فان إس » هذا الفصل بالحديث عن استعداد الإسلام للحوار ، ويبين أن هناك تعبيراً ملحوظاً في مواقف كل من المسلم والمسيحي تجاه الآخر ، فالمسيحي كان يعتقد أن ديه هو الأفضل ما دام الأوروبي يتسيد العالم ، وكان يرى أن الإسلام مجرد تعاليم أخذت من المسيحية وليست دياً أصيلاً . ولكن الوضع السياسي قد تغير ، وتغير معه موقف المسيحي من المسلم ، حسب رأي فان إس . والواقع أن الوضع السياسي الشكلي قد تغير ، أما الوضع السياسي الواقعي فلم يتغير ، لا يزال الغرب (أو أوروبا) يسيطر اقتصادياً وسياسياً وإعلامياً على العالم الإسلامي ، والنتيجة هي أن تقويم الأوروبي للشرقي لم يتغير ، فهو لا يزال يحس أنه السيد والموجه لمعظم ما يدور في العالم الإسلامي وهو كذلك بالفعل إلى حد بعيد .

أما عن تغير موقف المسلمين من أوروبا ، كما يذكر المؤلف أنه لم يعد المسلم ينظر إلى أوروبا نظرة التقدير ، فهذا صحيح إلى حد كبير ، لأن معظم التغيرات من المسلمين اكتشفوها زيف البريق الصادر من الغرب وحطوره تقدم عدم ولتقية في اتجاه لا يراعي فيه مصلحة الإنسان كإنسان ، أي أن المعايير والأخلاقيات قد تفهقرت بقدر ما تقدمت التقنية ، وقد أصبح واضحاً لكل المسلمين أن الغرب لا يقدم مساعدة دون مقابل ، بل الأدهى أن المقابل يعوق أضعايق المساعدة ، وطبيعة هذا المقابل هي المشكلة وليست كميتها فقط ، فالمسلم لم يجسر فقط ماله واستقلاله الاقتصادي والسياسي ، ولكن أيضاً خلقه ودينه إلى حد بعيد ، هكذا ينبغي أن نفهم تغير المواقف الذي أراد المؤلف « فان إس » الحديث عنه

يسميه المحبة المطلقة للآخرين مهما كان نوعهم أو موقفهم منه ، وقد قابل عدواة أعدائه بالاستسلام الكامل ولم ينتظر من الله عوباً ، حسب قول كونيغ (ص 151) ، بينما كان محمد ﷺ واثقاً من نصر الله له ، وإن الله لن يخزيه أبداً ، وبالمثل أمره الله وعاد سيداً حاكماً (ص 153) .

وأثناء هذا العرض أو المقارنة بين معاناة كل من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام يتبادي « كونيغ » المسلمين بأن يقتنوا بعيسى وألا يستخدموا القوة لتحقيق أهدافهم الدينية والسياسية مستندين في ذلك إلى الدين الإسلامي (ص 151) .

وهنا أوجه سؤالاً إلى « كونيغ » : ألم يكن من الأفضل توجيه هذا النداء أو لسؤال ، على حد قوله ، إلى كل من النصارى والمسلمين واليهود أيضاً ؟

إن التاريخ القديم والوسيط وخاصة الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش المعروفة وكذلك التاريخ الحديث يوضح للجميع أن النصارى كانوا أسبق للاستخدام القوة باسم الدين لتحقيق أطماع سياسية ودينية واقتصادية ، بينما الإسلام يحرم استخدام القوة لأغراض دينية وهي في معظمها دفاعية ﴿ لا إكراه في الدين فقد ثبث الرشيد من النبي ﴾ (البقرة / 256) .

ثم أعود إلى أصل الحديث وهو قول كونيغ إن عيسى عليه السلام كان عفواً بلا حدود ولم يلجأ إلى القوة أبداً وكان حبه بلا حدود . . الخ . وأذكر « كونيغ » بما فعله عيسى عليه السلام بعد خروجه من المعبد حيث كان يحاكم بواسطة بعض الكهنة اليهود ، حيث رأى التجار اليهود يربون ويستغلون الناس بما ينافي كل المبادئ الإنسانية ، فانتزع عصا كبيرة من حزمة تاجر ورج فيهم ضرباً موبحاً إياهم بقوله : « يا أولاد الأفاقي . . الخ . هذا ما ترويه قصصهم عن عيسى عليه السلام ، وأوجه السؤال الآن إلى كونيغ : هل هذا التصرف يطابق التصور المثالي عن عيسى عليه السلام ؟ لا . . . إنه كان بشراً مثلنا يغضب أحياناً ويتصرف في الغضب تصرف الغاصين ، ولكنه يختلف عنا في كونه نبياً عصمه الله من الخطأ فلم يعضب لغير الحق . وقصص عيسى عليه السلام في كتب الدين النصراني كثيرة ، وفيها مواقف عديدة تشبه هذا الموقف ، وحسبنا أن نقف عند النقطة التي أرادها المؤلف في نهاية حديثه عن المحبة في المسيحية والإسلام بأن الله هو منبع المحبة التي تتجلى في رحمته بعاده ، هذا ما يتفق فيه المسلم والمسيحي .

المبحث الثاني : دراسة نقدية ليقرآن الكريم

ينتقل « فان إس » إلى نقطة مهمة في هذا المجال ، وهي أن الدعوة التي وجهها « هانس كويج » إلى المسلمين لتناول القرآن الكريم بالدراسة النقدية التاريخية هي دعوة لحمل خطورة الصدام بين المسلم والمسيحي ، ويبرر ذلك بأن المسم لا يزال يعتقد أنه صاحب الدين الأقوم .

وكنت أنتظر من « فان إس » أن يتناول إمكانية درسه لقرآن الكريم بالنقد التاريخي بشيء من الإيضاح وبيان أسباب رفض المسلمين لهذه الدعوة ، ولا يبرر ذلك بيمان المسلم أنه سمي إلى الدين الأقوم ، لأن هذا التبرير لا يعطى تفسيراً واضحاً لهذا الموقف الراض من جانب المسلمين .

ولو أن « فان إس » طبق منهج الدراسة التقليدية التاريخية ، كما سبق ذكره ، على الدين المسيحي بشكل عام وعلى العقيدة المسيحية بشكل خاص وخاصة عقيدة التثليث والنسب للموروث ، وهي من ركائز العقيدة النصرانية التي تفصل بين المسيحي وغير المسيحي ، لوجد أن هاتين الركيزتين ليستا من أصل المسيحية في شيء ، كما يقرر ذلك « هانس كويج » في (ص 145 من الكتاب نفسه) ويذكر أنها من اختراع القديس أوغسطين ، كما يرجع عقيدة التثليث إلى التأثير بالثقافة الهلنستية (ص 185) ، ويستشهد كويج بمؤلف آخر هو « هايكي رابري » في كتابه « صورة عيسى في القرآن » الذي يثبت في هذا الكتاب بأنه لا توجد إشارة ولو حتى من بعيد إلى عقيدة التثليث في الكتاب المقدس (ص 190)

ولعل هذه الدراسة النقدية التاريخية للدين المسيحي كانت توضح ما يراه « بول شفارتزماو » وكثير من العلماء المسيحيين بأن الدين الإسلامي هو تطور للدين اليهودي والمسيحي ، أي مشتمل لهما وليس مجرد ترديد لبعض تعاليمهما (أنظر ص 191) . ثم إذا أراد هو بصفته مسيحياً أن يتناول القرآن الكريم بالدراسة النقدية التاريخية يطبق عليها المنهج نفسه الذي طبقه على المسيحية ليس تكون النتيجة في غير صالح الإسلام ، بشرط تطبيق المنهج العلمي السريه معادول أولاً أن شككت معنى الدراسة النقدية التاريخية ، فدا بالتعريف بمعنى النقدية ويرجع إلى معنى كلمة نقد ، فهذه الكلمة تعني دراسة نص معين أو موضوع معينة بهدف استكشاف الصحيح فيها والخطأ . وهذا على العكس مما

يسمى « بالنقض » الذي يعني الاكتفاء بإظهار الخطأ الموجود في محتوى نص معين وإفصال ما قد يكون فيه من صواب (أنظر تاسوس المصطلحات الفلسفية الأساسية ج 3 ص 807 - 822 بالألمانية)

ويكون النقد علمياً إذا توافرت فيه النزاهة والموضوعية والخلوص التحيز أو التحصب لرأي معين أثناء إجراء الدراسة النقدية (المصدر نفسه ص 808) .

مهمة الدراسة النقدية تنطلق إذن من تصور أن النص فيه الصواب وفيه الخطأ إذا كان موضوع الدراسة هو نصاً محدداً ، بما إذا كانت الدراسة النقدية تتناول عدداً من النصوص فيكون الهدف الأول منها هو محاولة معرفة أي النصوص موضوع الدراسة هو النص الأصلي ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة محتوى هذا النص الذي ثبت دون غيره أنه أصيل لمعرفة ما فيه من صحة وما فيه من خطأ .

إذن الدراسة النقدية العلمية تشترط في موضوعها أن يكون متضمناً ومتمملاً للصواب والخطأ في جرياته .

والحكم بالصواب أو الخطأ يكون معتمداً على أحد أمرين :

1 - المنطق والعقل .

2 - المناسبة التاريخية .

فالدراسة النقدية التي تبني حكمها على مدى مطابقة مضمون النص المدروس لمبادئ المنطق والعقل تسمى دراسة نقدية تحليلية أو نقدية علمية ، أما الدراسة النقدية التي تبني حكمها على أساس المناسبة التاريخية لمضمون أو حريثات النص فتسمى دراسة نقدية تاريخية . ونعود إلى مناسبة الحديث عن هذه الدراسة وهي مطالبة كويج للمسلمين بتطبيق الدراسة النقدية التاريخية على القرآن الكريم ، وبحث معاً عن مدى إمكانية أو توافر شروط الدراسة النقدية التاريخية في نص القرآن الكريم ، وتقارنه بنص الكتاب المقدس ، والسبب في هذه المقارنة أن « كويج » يعتمد في طلبه هنا على ما فعله علماء اللاهوت النصراني بالنسبة للكتاب المقدس

فذكر بالشرط الذي يجب أن يتوفر في النص المراد نقده ، وهو افتراض أن جزئياته تختمل الصدق والكذب ، أي أنه يتضمن أحكاماً أو تصورات منها ما هو صحيح ومنها ما هو غير صحيح ، وهذا أطرح سؤالاً وهو هل يمكن تطبيق المنهج النقدي على نص يخلو من الخطأ أي كله صواب ؟ الإجابة هي لا ، لأن الحكم

بأن مضمون النص المراد دراسته صحيح ونخال من الخطأ يجعل القيام بهذه الدراسة عبثاً ، لأنسلم يحكم بصحة النص إلا بعد دراسة واختبارات سابقة على هذا الحكم ، فهل يعقل مع هذا مطالبة من يشق في صحة نص ما أن يتناول هو هذا النص بالنقد ؟ الإجابة واضحة . إن مثل هذا الطلب لا يستند إلى أي أساس ، لأن مجرد التفكير في تناول نص معين بالنقد يعني إعتقاد الدرس بأن النص يحتمل الصواب والخطأ ، وهو يريد بدراسة النقدية إظهار هذين الجانبين ، لم إذا كان النص حكمه واحداً وهو أنه صحيح فقد انتهى شرط الدراسة النقدية وأصبحت محاولة لا طائل تحتها سوى ضياع الوقت أو زعزعة الثقة بصحة النص الذي يراد دراسته دراسة نقدية .

والقرآن الكريم « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فكيف يطلب من مسلم يؤمن بصحة هذه الآية أن يتناول القرآن بالدراسة النقدية ، فهذا الطلب إذن هو إما تناقض عقلي ، أو محاولة للتشكيك في صحة النص القرآني والإيمان بأن بعضه صحيح والبعض الآخر خطأ . وكلا الأمرين مرفوض .

أما ما يتعلق به « كونج » من أن علماء اللاهوت المسيحي قد طبقوا هذا المنهج بالفعل على الكتاب المقدس فهو قول صحيح وضرورة علمية ودينية ، لأن الكتاب المقدس يتكون من عدة كتب أو أقسام ، فهو أولاً ينقسم إلى تسعين العهد القديم وهو ما يسمى بالتوراة ، والعهد الجديد الذي يتضمن الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل ، أقول . إن تناول الكتاب المقدس بالدراسة النقدية هو ضرورة علمية ودينية فضلاً عن توافر شروط هذه الدراسة فيه ، فهو :

أولاً : مكون من عدة كتب منسوبة إلى أشخاص متعددين ومتباعدين تاريخياً

ثانياً : هذه النصوص الموجودة ضمن الكتاب المقدس مختلفة في بعض مضمونها وحرثتها .

ثالثاً : متفاوتة في أزمان كتابتها .

رابعاً : لم تثبت نسبتها إلى الأسماء المنسوبة إليها بشكل قاطع .

خامساً : لم تثبت صحة صدور ما تحتويه هذه الكتب عن موسى أو عيسى عليهما السلام .

ها هي خمسة شروط تجعل من الضروري تناول نصوص الكتاب المقدس

بالدراسة النقدية ، أولاً : لمعرفة أفضل هذه النصوص وأقربها إلى الصحة ، ثانياً : لمعرفة الصحيح من كل نص من هذه النصوص وإظهار الخطأ فيها ، ثالثاً : لمعرفة أيها أقرب رسماً وأكثر احتمالاً لصديق حبيبته إلى صاحبه

لهذا فقد أصاب علماء اللاهوت النصارى عندما تناولوا الكتاب المقدس بالدراسة النقدية التاريخية

أم بالنسبة إلى القرن الكريم فهو كتاب واحد يحلاف التوراة والأناجيل ، هذا أولاً ، وثانياً قد ثبت بالقطع صحة نسبة كل ما جاء فيه إلى محمد ﷺ . وثالثاً : لقد ثبت أيضاً بالقطع صديق محمد ﷺ بأن القرآن وحي الله ولم يتدخل هو في أي حرف فيه . واعتقاد النقطة الثالثة أن القرآن وحي الله نصاً هو عقيدة كل مسلم بلا استثناء ، إذن لم يبق شيء تطرح حوله الأسئلة من غير المسلمين سوى نقطتين وهما

1 - صديق نبوة محمد ﷺ . 2 - أن القرآن وحي الله نصاً .

وهذان الأمران لا يمكن إثباتهما بالدراسة النقدية التي ينادي بها « كونج » ، لأن هذين الأمرين يؤمن ويصدق ويشق في صحتها المطلقة كل مسلم ، أما غير المسلم فله طريقة أخرى ، لأنه لو آمن بها لكان مسلماً (فضلاً عن ذلك فإن صديق سوة محمد ﷺ قد أثبتت علمياً وتاريخياً لكل منصف من العلماء غير المسلمين ومبهم « كونج » نفسه كما سبق ذكره . وأما اعتقاد أن القرآن وحي الله فقد ثبت أيضاً عند المنصفين من العلماء في العصر الحاضر وأولاهم بالذكر هو المؤلف « كونج » نفسه ، كما ذكر ذلك مراراً في هذا الكتاب ، وأما الإيمان بأنه وحي مصي فهذا هو الذي يختلف فيه معنا المؤلف ومعه كل غير المسلمين تقريباً ، وحسم هذا الأمر لا يأتي أيضاً بالدراسة النقدية التاريخية التي ينادي بها « كونج » في هذا الكتاب .

أما ما يتعلق بالدراسة النقدية التاريخية الممكنة بالنسبة إلى القرآن من وجهة نظر إسلامية فهي لا تخلو من هذين :

1 - معرفة مناسبة كل آية لو سورة من القرآن الكريم ، ونقد مراحل ومصادر جمعه

2 - مدى الصلاحية الزمانية للأحكام المتضمنة في الآيات القرآنية .

والنقطة الأولى قد عولجت بالفعل منذ القرون الإسلامية الأولى ، وهي ما

يعرف في علوم القرآن « بأسباب النزول » ووثيق الصلة القرآن .
وقال عنه بدر الدين الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » (ص

22) : « له فوائد منها : » .

وجه الحكمة الباحث على تشريع الحكم . ومنها تخصيص الحكم . عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ، ومنها الوقوف على المعنى . قال الشيخ أبو الفتح القشيري : « بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز ، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تخص بالقضايا ، ومنها أن يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص ، ومن فوائد هذا العلم إزالة الإشكال (المصدر نفسه ص 27)

أما النقطة الثانية وهي مدى صلاحية الرمانية للأحكام القرآنية ، أي هل تقتصر صلاحية الحكم على الذي أنزل في مناسته ؟ أم أنها تمتد إلى كل ما صلح لقياس عليه ؟ فقد انتصح في لفظة السابقة أن الله عز وجل قد أنزل الآيات الكريمة في مناسبات مختلفة أي منجمة ، وضمها حكماً يخص بهذه المناسبة ، ويصلح في الوقت نفسه للتطبيق في كل المناسبات المشببة التي يمكن قياسها على ما أنزلت بسببها . إن فهم آيات الأحكام على أنها أنزلت في مناسبة موقف معين ومحاولة قصر صلاحية هذا الحكم على ذلك الوقت تؤدي إلى جعل القرآن الكريم كله مجرد كتاب يتضمن أحكاماً لمصر قد مضى منذ زمن بعيد ولم يعد لها صلاحية في عصرنا الحاضر الذي تغيرت فيه معظم مظاهر وأساليب الحياة الإنسانية ، وهذا منزلق خطير .

المبحث الثالث : صورة عيسى عليه السلام من القرآن

يتنقل فان إس ، بعد تحذيره مطالبة المسلمين بدراسة القرآن دراسة نقدية تلويحية إلى إضاح اختلاف وجهات نظر المسلمين مع المسيحيين في أهم ركائز العقيدة النصرانية ، وهي تصور الإسلام لعيسى عليه السلام ، وكذلك الروح القدس ، ثم يتحدث عن وجهة نظر الإسلام لتاريخ البوات ، ثم عن وضع اليهود والنصارى في القرآن والشرعية الإسلامية .

وقد جاء حديثه في النقطة الأولى عن صورة عيسى عليه السلام في القرآن حديثاً علمياً لا يوجد فيه أي تحيز أو خروج عن الحقيقة ، فقد ذكر أن القرآن يؤكد على صدق نبوة عيسى عليه السلام وعلمية مريم عليها السلام ، ويؤكد المعجزات التي أظهرها الله على يدي عيسى بصفته نبياً وليس كما يعتقد النصارى

بصفته ابن الله (تعالى الله عن ذلك) ويقرر أن تصور القرآن لعيسى يجعله مثيلاً لئبي يحيى . ويصحح « فان إس » المهم الخطأ المعنى « كلمة الله » بالنسبة إلى عيسى عليه السلام ، والذي يقع فيه المسيحيون عندما يعتقدون أن القرآن يعترف بأن عيسى هو كلمة الله كما يتصورونها هم ، أي بأن الكلمة أصبحت لحماً (حلولاً) يسى هي في الإسلام تعني قدوة الله عز وجل أن يخلق بشراً بغير أب .

أما الروح القدس فهو ، كما يقول « فان إس » ، حسب ما يعتقد المسلمون محمد ﷺ الذي ورد الإخبار عنه في إنجيل يوحنا .

وأورد هنا النص الذي يستند إليه « فان إس » في قوله هذا : (يوحنا 16 / 12 - 13) : « إن لي أموراً كثيرة لأقولها لكم ولكن لا أستطيعون أن نتحملوها الآن . وأما من جاء ذلك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ، ذلك بمجدي لأنه يأخذ مما لي ويخبركم ، كل ما للآب هو لي ، لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم » .

والمقصود هنا بالروح الحق هو الروح القدس ، ويرى المسلمون في هذه الفقرة من إنجيل يوحنا ما يؤكد إخبار عيسى (عليه السلام) بقدم نبي يرشد الناس جميعاً إلى الحق ويتلقى الوحي من الله ويمجد عيسى عليه السلام ، والخليفة أن كل هذه الأوصاف التي ذكرها عيسى (عليه السلام) في هذه الفقرة تنطبق تماماً على نبينا محمد ﷺ فهو سبي لا ينطق عن أهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، وهو يمجد عيسى عليه السلام بما لم يفعله دين آخر ، وهو يرشد الناس إلى جميع الحق ، أي الحقيقة الكاملة . وهي ما جاء في قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت وليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المائدة / 3) .

ولكن « فان إس » لا يريد أن يعترف بذلك ، وهذا شيء منطقي بالنسبة إلى كونه نصرانياً ، لأن في اعترافه بانطلاق هذه الأوصاف على محمد ﷺ يلزمه باتباعه ، ولكنه لا يرى أن هذه الأوصاف تنطبق على محمد ﷺ ويفسر فهم المسلمين لهذه الفقرة على أنه فهم حاصر وشخصي ، فقد ادعى قل محمد ﷺ « ماني » مؤسس المانوية (273 م) انطبق هذه الأوصاف عليه ، وبعض النظر عن مدى انطبق هذه الأوصاف على « ماني » أو مدى تأثر ماني بالمسيحية بوجه عام ، كان من المنتظر أن يقدم « فان إس » دراسة مقارنة مختصرة بين المانوية

• نهضة نظرية عن أساس علمي ، ولكن لم تقع له لعرق
 • المسحة الذي بشر به عيسى عليه السلام ، واكمله
 • حبيب من لإشراقة (Gnostik) وسيدوية يهودية
 • دول بعض إله السور وبه سلطان ، إله الخير وإله
 • تكون صفة بين شخصيتين ، دعى كل منهما إله الروح
 • ول كلاً لم يدع هذا ، إنما أخيراً الله على لسانه أنه متمم
 • مورو بكل الأنبياء ومنهم عيسى عليه السلام

• فان إس حيث يوضع اختلاف فهم النصارى للروح
 • ، فالنصارى يعتبرون الروح القدس أحد أقانيم
 • المسلم فيفهم معنى الروح مرة على أنها جبريل عليه
 • (من سورة مريم) ، ومرة أنها سر الحياة كما جاء في سورة
 • ، مرة أنها كلمة الله كما جاءت في سورة الإسراء (الآية
 • 10) ، في هذا الفهم المختلف حقبة أمام قيام حوار بين
 • ، وعلى العكس من ذلك يرى «كونج» أن هذا الفهم
 • حقبة في سبيل الحوار ، بل يمكن التغلب عليها عن طريق
 • من الخطأ للتثليث (أنظر الكتاب ص 176) .

أربع النبوات

• وجهه نظر الإسلام في تاريخ النبوات فيرى «فان إس» أن
 • الإسلام دين إبراهيم (عليه السلام) ودين كل الأنبياء الذين
 • ، أي المسيحيين في دينهم وطبيعتهم وترتيبه بأن المسيحية لم توجد
 • ، لأن قبلهم كانت اليهودية ، ووجود اليهودية أي التوراة
 • : طأ لوجود المسيحية أي العهد الجديد . هذا الاختلاف
 • ، بالإضافة إلى اعتقاد المسلمين بأن اليهود والنصارى قد
 • ، هم من أنهم لم يصححوا بذلك ، من وجهة نظر الإسلام ،
 • ، في سبيل الحوار بينهما «فان إس» بحق في ذلك .

• حديث «فان إس» عن وضع اليهود والنصارى في القرآن
 • من موضوعية عن الحقيقة ، فهو يؤكد أن الإسلام لم يحس
 • ، بل الدخول في الإسلام ، وأن من دخل منهم الإسلام قد

دخله لا رآه من معاملة طيبة من المسلمين أو بما عبر عنه «فان إس» . «تسامح
 • (ص 163 - 171) وكذلك صر «فان إس» الجهاد في الإسلام بأنه لا يعني
 • معط الحرب المقدسة ، ولكنه يعني «شيء كثيرة ، جنباً نشر الدين الإسلامي
 • بالعرق لسلمية والدفاع عن النفس عندما تعرض إنسان أو بلد إسلامي
 • للعدوان . ثم يقر «فان إس» أنه بالإسلام قد نجح في تحيين أوضاع المرأة
 • والعديد ، وإن لم يصل بذلك إلى درجة التسوية التامة لهم بالآخرين كما سبق
 • ذكره . ورغم الاختلاف مع «فان إس» في بعض التفاصيل إلا أن حديثه هنا
 • صحيح وموضوعي في مجمله

وبعد أن يؤكد «فان إس» عدم انتشار الإسلام بالقوة بل عن طريق
 • المعاملة الحسنة التي كان يلغاها أهل الكتاب من المسلمين ، وأن بعض المحاولات
 • القليلة لنشر الإسلام بالقوة مثل ما فعل محمود عزوي في سنة 1000 في الهند قد
 • باءت بالفشل ولم ينتشر الإسلام هناك سوى بعد إحلال السلام ، يقول : «إن
 • الإسلام ينتشر ببساطة ووضوح مبادئه وسيافته التي تعمل مباشرة إلى الإنسان أيّاً
 • كان مركزه الاجتماعي أو مستواه الثقافي . وفي ذلك يمتاز الإسلام على المسيحية»
 • (ص 171) .

ويخلص «فان إس» نقاط قوة الإسلام فيما يلي :

- 1 - أنه مؤسس على مبادئ عقلية في العقيدة .
- 2 - التسامح والمساواة في التطبيق ، أي أنه الطريق الوسط المعتدل
- 3 - التثليث يعتبره المسلم عبثاً مطلقاً ، بينما هو في المسيحية عقيدة مقدسة
- 4 - الرهبنة يعتبرها المسلم مبالغة خاطئة ، بينما يعتبرها المسيحي محرراً من قيود الحياة .

أما نقاط الضعف في الإسلام كما يراها «فان إس» فهي تكمن في نقاط
 • قوته ، وأهمها ثقة المسلم في صحة عقيدته التي جعلته يعتقد أنه يجب أن يتسيد
 • العالم ولا يستطيع أن يرى نفسه مغلوباً على أمره ، ويستثنى «فان إس» الشيعة
 • من المسلمين لأنهم عاشوا فترات طويلة مغلوبين عن أمرهم حتى نجحت الثورة
 • الإيرانية ، ويرى أن نجاح الإسلام أيام النبي ﷺ جعل المسلمين يتمتعون العودة
 • بالمجتمع الإسلامي المعاصر إلى ما كان عليه هذا المجتمع في عصر النبوة ، وبددت
 • عصر «فان إس» قوة التيار السلفي في الوقت الحاضر

وأحب أن أصحح مفهوم السيادة التي يقول به «فان إس» وينسبها إلى

المسلمين . ان السلم لا يسعى إلى أن يتسيد هو كئخص أو عدة أشخاص لعالم ، أي يتسيد غيره من أصحاب الديانات الأخرى ، بل يسعى إلى أن يصبح العالم كله مجتمعاً إسلامياً . فإذا افترضنا إمكان تحقيق هذا اهدف فإن العالم كله يصبح من المسلمين ولا يكون هناك مجال لأن يتسيد أحدهم الآخر ، الجميع مسلمون ومتساوون ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن السيادة في المجتمع الإسلامي لا تعني علو الحاكم على المحكومين ، بل تعني أنه مسؤول عن تطبيق شرع الله فيهم ، وهو خاضع للشرعة نفسها التي يحكم بها الآخرين ، أي أنه يتساوى معهم أمام الشرع الإلهي الذي يشرف هو على تنفيذه ويعينه في ذلك علماء الأمة . فالإمامة في الإسلام لا تعني الأفضلية . ومشكلة الإمامة ، وإمامة المفسرول في الإسلام معروفة لكل متخصص في العلوم الإسلامية من المسلمين وغيرهم . وللمزيد يمكن الرجوع إلى أقوال الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين في هذا الصدد . وأما بالنسبة إلى نقاط الضعف في المسيحية فقد تخلص « فان إس » من ذكرها بطريقة « دبلوماسية » فلقد أحال الحديث عنها إلى المستمعين وإلى الإسلام الذي يشكل من وجهة نظره بديلاً أصيلاً في هذا الشأن (ص 172) .

والإسلام بشكل بحق بديلاً أصيلاً ليس فقط في مجال إظهار نقاط الضعف في المسيحية كما يقصد « فان إس » ، فهذه لا تغطي على كل مهمته بهذا الأمر ، بل أيضاً بصفتها دياً أصيلاً حفظه الله من التحريف فون غيره من الديانات الأخرى . وأود أن أذكر القارئ الكريم هنا بما ذكرته في بداية تقديمي لهذا الكتاب موضوع المناقشة ، عندما حاولت التحريف بشخصية المشرق « جوزيف فان إس » فقد ذكرت أنه عادة ما يكون منصفاً في حديثه عن الإسلام إذا كان موضوع الحديث هو العلوم الإسلامية أو الناحية الإنسانية ، كالنظام الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي . أما إذا كان موضوع الحديث هو المسيحية ، أو القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، فإنه كثيراً ما يشتمل لأحكام وتصورات غير علمية ، لا تقوم على أساس ، ويردد ما كان يقال عن الإسلام في عصر النبوة وما بعدها حتى القرن الماضي مروراً بالمعصور الوسطى المسيحية التي شهدت هجوماً عنيفاً وعصبية عمياء على الدين الإسلامي وخاصة على شخصية نبيه الكريم ، ركت أنني لو تمسك « فان إس » بالمنهج العلمي والموضوعية والنزاهة في كل ما يتحدث عنه ، سواء كان في العقيدة الإسلامية أو التاريخ والعلوم الإسلامية الأخرى ، لأن المسح العلمي لا يفرق في شروطه بين موضوع وآخر .

الفصل السادس

صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والقربان الكريم ومناقشة الحرية الدينية

المبحث الأول : مفهوم الحرية الدينية عند كونج

يبدأ « كونج » هذا الفصل الأخير عن الإسلام بنداؤه إلى المسيحيين أن يبدوا النظر في موقفهم من الديانات الأخرى وخاصة بعد صدور قرار المؤتمر الكسي الثاني (Vatikanum II) الذي اعترفت فيه الكنيسة بأن هناك طرقاً أخرى للخلاص ، أو حقائق دينية أخرى خارج الدين المسيحي . ويخلص كونج الإسلام من الديانات الأخرى فينادي بالاعتراف بصدق نبوة محمد ﷺ وأن القرآن كلام الله . ثم يطالب كونج المسلمين بسماع عام ينص على حرية دينة عامة واعتراف كاملاً بحقوق الإنسان التي تسوي بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات (ص 174) .

ولتقف عند هذه المطالب التي عالب بها « كونج » المسلمين ، ولولها ما أساء بالتسامح العام والحرية الدينية العامة . بالنسبة للتسامح العام لا يحتاج كونج إلى المطالبة به ، لأنه موجود بالفعل في المجتمعات الإسلامية التي تعيش فيها أقلية غير مسلمة ، وهذا ما يؤكدته الواقع ، فعليه أن ينظر إلى المجتمعات ليعرف أن ما طُلب موجود . وبكفي لا أظن أن « كونج » يطالب بشيء يعلم أنه موجود ، وخاصة أنه قد رار كثيراً من البلدان الإسلامية التي يعيش فيها غير المسلمين وليس حد لحرية جديد على الإسلام . ومن مراً لسنة لسوة يجد كثيراً مما يحتاج للاقتناع بتسامح الإسلام مع غير المسلمين . وقد ذكر هذا « فان إس » في الصفحات القليلة السابقة (الكتاب ص 163 - 171) . يبقى احتيال واحد لم يطالب به « كونج » وهو السماح للمسلمين بأن يخرجوا من الإسلام ويدخلوا ديانات أخرى ، أي السماح بالردة ، أو الاعتراف بديانات جديدة شوهت تعاليم

الإسلام وتدعي أنها من الإسلام مثل : البهائية ، والمعلانية ، وغيرها ، وهذا أمر لا يحصى معزاه على أحد ، فهو مداء إلى توفير الحماية للتصير والتصيرين الذين ارتدوا عن الإسلام ودخلوا النصرانية متى وجدوا . ولعل السبب في توجيه هذا لمصعب هو تصوير فشل النصرين في امتناع بعض المسلمين بالدخول في النصرانية بأن المسلمين يخافون من عقوبة القتل إذا ارتدوا عن الإسلام ، ويكون حسب فهمهم هم السبب في أن المسلمين لم ينصروا . فإذا كان هذا الاحتمال هو المقصود فإن أنصح المنصرين ومن يساعدهم على البحث عن سبب آخر يبررون به فشلهم في عملهم .

وقد ذكر كونج أحد أكبر الأسباب التي تحول دون دخول غير النصارى في النصرانية ، بل أدت إلى دخول عدد من النصارى في الإسلام ، وهي تتركز حول عقيدة التثليث غير المفهومة ، التي لا يقوى أحد على تفسيرها تفسيراً مقنعاً ، ويزيد الأمر تعقيداً استخدام رجال الكنيسة لمصطلحات من أصل سوري ويوناني ولا تفي (178 ، 185) ، أما التسوية بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات فالواقع يشهد أنها متساويان في الحقوق والواجبات الدينية . أما الدينية فقد ترك الإسلام لأهل الكتاب حرية ممارسة شعائرهم الدينية كما يشاؤون ، ويكفي في ذلك أن ترجع إلى ما قاله « فان إس » في هذا الصدد ضمن عرضه لوجهة نظر الإسلام (انظر ص 166 - 171) .

البحث الثاني : صحة تصور القرآن لعيسى (عليه السلام)

ويقتل « كونج » إلى الحديث عن مدى صحة تصور القرآن لعيسى عليه السلام ، فيعرق كونج بين فهم الإسلام بكلمة التي هي دليل قلة الله المطلقة ، والمفهوم المسيحي لها على أنها أصبحت لها (الحلول) ويقرر أن القرآن لا يفهم إلا بالقرآن ، ولا ينبغي أن نحاول فهمه عن طريق الكتب المقدسة ولا علم لنفس ، أو أي طريق آخر . ثم يقول : كما أن يحيى كان مهبطاً لعيسى ، فإن عيسى (عليه السلام) يعتبر من وجهة نظر الإسلام مهبطاً لمحمد ﷺ . وإضافة عبارة من وجهة نظر الإسلام ضرورية جداً في هذا المقام ، لأنها لو تركت لكان ذلك إقراراً من « كونج » أن عيسى محمد لمحمد (عليهما الصلاة والسلام) ولاصح أقرب إلى الإسلام منه إلى النصرانية ، ولا أدري لماذا يصير « كونج » عن اعتبار الإسلام ديناً منفصلاً ومستقلاً تماماً عن الديانات التوحيدية الأخرى على

الرغم من أنه يعترف للإسلام بأصالته وللعيسى ﷺ بصديق نبوته ولقرآن بأنه كلام الله ، وذلك عن الرغم من أنه في الإسلام مكمل ومتنم ومصحح لما في الكتاب المقدس ورغم ما ذكره هو من أوجه شبه كثيرة بين محمد ﷺ وأبياء بني إسرائيل (ص 57 - 58) ، فكيف يصير هذا ارتباطاً واستشابه واتفاق في كثير من لقاط لتي ذكرها هو في بحثه مع إدهاء استقلالية الدين الإسلامي عن اليهودية والنصرانية ؟ إجابة هذا السؤال تتطلب من كونج أن يتخير صحة كل ما أورده في هذا البحث ، ويسأل نفسه عن مدى ثقته فيما يقول ويقرر . ومدى استعدادة لنسي ما يترتب على ذلك من نتائج

وثمة نقطة أخرى يختلف فيها تصور المسيحيين لعيسى (عليه السلام) عن تصور المسلمين لمحمد ﷺ ، فإن عيسى عليه السلام قد جاء ، كما يقول كونج ، معارضاً لكل القوانين ومنادياً بالحبة بدلاً من القانون حتى في مواجهة العدو . إن هذا التصير لنور عيسى عليه السلام ليس صحيحاً تمام ، لأن عيسى عليه السلام أباح أشياء كانت محرمة ، وحرم أشياء كانت محلة لليهود ، ولتعليل ولتحرير قوانين في صورة أولية ، ثم إن هذا الدور وعلم الرسالة التي جاء بها عيسى عليه السلام لم يضمها هو ، ولكنه تلقاها من الله وكلف بتليغها كما هي الحكمة لا يعمدهم ، لا الله . وعل الحكمة في ذلك هي أن لكل عصر ما يسسه من اشريع ، والله يعبر ما يشاء ويسح حكماً يحكم آخر صلحة عباده . وكان عصر الرسول محمد ﷺ بعد أن أساء الناس استخدام المحبة التي تلقها وعاشها عيسى عليه السلام ، وأحدوا يحرمون وسذلون ما أرادوا . جاءت نبوة محمد ﷺ لتعيد الأمور إلى نصابها ولا تترك فرصة لأصحاب الأهواء من البشر أن يعيشوا بشرع الله ، وتركهم على المحبة البيضاء ، وبين لهم الحلال من الحرام ، وهذا هو الشرع أي القانون ، في المحبة إذن من اختلاف رسائل اختلاف المصور وانتماءة ؟ وكيف يحصل بين شيئين أحدهم يكمل ويصحح الآخر ؟ والخير يكون هو الثاني الذي جاء ليكمل ويصحح ما حرم ويأتي بما يتفق وطبيعة المجتمع الإنساني ومستواه الثقافي ومتطلبات حياته .

وثمة خلاف آخر بين الإسلام والمسيحية كما يذكر « كونج » (ص 176) وهو أن الإسلام ينكر صلب عيسى عليه السلام عن الرغم من أن صلبه - كما يقول كونج - واقع في التاريخ . وأسأل « كونج » أي تاريخ تقصده ؟ التاريخ السياسي للعالم ليس فيه أي دليل على ذلك ، أما تاريخ الكنيسة فهو الذي يقرر

ذلك ، وثقتا في صحة تاريخ الكنيسة نقل عن ثقتا في صحة ما أخافه رجال الكنيسة إلى تعاليم الدين المسيحي عبر العصور . أضف إلى ذلك أن بعض المسيحيين يشككون في صحة صلب المسيح وموته على الصليب ، منهم : يواخيم هيلدت ، في كتابه « الله في ألمانيا Gott in Deutschland » ص 54 ، ويذكر (في ص 55) اسم مؤلف آخر هو : كورت برنا Karl Berna ، الذي قال إن المسيح لم يميت على الصليب ، وقد اضطرت الكنيسة إلى الرد عليه مراراً . فهذه شكوك تأتي أيضاً من صفوف النصارى حول عقيدة من أهم ركائز النصرانية ، ولم تنج عقيدة التثليث من التشكيك في أصالتها ، فلم يكن « كونج » هو أول من شك في نسبتها وأصالتها في الدين المسيحي ، فقد ذكر ذلك أيضاً « نيون جوتيه » في كتابه « المدخل إلى الفلسفة » (ص 70 - 94) حيث أرجع هذه العقيدة إلى أصول يونانية وهلمانية

ولكن ما يثير الاهتمام هو أن « شويج » يستشهد في ذلك بأحد العلماء المسلمين - على حد قوله - وهو محمود محمد أبووب في مقال نشر في مجلة العالم الإسلامي (The Moslem World) في عددها الصادر سنة 1980 م (ص 116) ، وإني ، وإن كنت لا أعرف هذا المؤلف معرفة تسمح لي بالحكم على فكره وعقيدته ، إلا أنني أتوقع أن يكون قاديانياً ، فالقاديانية تنكر الموت ولا تنكر الصليب ، فهم يقولون بأن عيسى عليه السلام وصع على الصليب لمدة ساعات ثم أنزل منه ولم يكن قد مات ، ولكنه كان في غيبوبة ، وظن أعداؤه أنه قد مات ودفنوه ، ثم بعد أن عاد إلى وحيه خرج وشوهه في الطريق إلى دمشق ، ويقولون إنه قد وصل إلى كشمير باعند ، وقد عاش هناك حتى بلغ من العمر (120) عاماً ثم دفن هناك ، وتوجد هناك فرقة دينية تتعبد في هذا القبر وتقول إنه قبر المسيح ، ويدعي القاديانيون أنهم وجدوا رأس الميت متجهاً إلى القدس ، فأكد لهم ذلك أن هذا الميت هو عيسى بن مريم (عليها السلام) وهذه القصة اخترعها القاديانيون بوحى من بعض القصص المسرحية التي تقول إن عيسى عليه السلام قد بعث بعد موته على الصليب ، وشوهه هو وأمه متجهين إلى دمشق ، وأبولس (شاول) صار وراءهما للحاق بهما والقضاء على عيسى ، وذلك قبل أن يتنصر بولس ، والذي أصبح بعد ذلك رسولاً ، وألف للنصارى أهم مبادئ عقيدتهم ، وهذه القصة ألغها القاديانيون ليشنوا إدعاء المرزا غلام أحمد - مؤسس القاديانية أو الاحدية أنه هو عيسى عليه السلام الذي أعبر الإسلام بعودته إلى

الدين في آخر الزمان ليحارب الظلم ويفرد البشر إلى الدين الصحيح . للمعيد أنظر : القاديانية - إحسان إلهي ظهير - ولا أريد أن أسترس في هذا المجال ، لأنه يخرج بنا عن موضوعنا الرئيسي .

ثم إن قصة الصليب هذه مشكوك فيها حسب ما ورد في الإنجيل ، وقد وجدت اختلافاً بين الترجمة العربية للكتاب المقدس المعمول به في مصر الصادرة عن الكنيسة الأرثوذكسية ، وبين الترجمة الألمانية الصادرة عن هيئة الكتاب المقدس الكاثوليكية - شتجارت 1984 م - حيث ورد في رسالة يولس الرسول إلى أهل علاطية (1 - 2) . « أب ملاصبرون لأعي ، من رفاكم حتي لا تدعونا للحق اسم الذين أمام أعينكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » ويهمني في هذه العبارة كلمة « رسم » ولسؤل . إذ كان المسيح قد صلب بالفعل ، ألم يكن لأصل استبدال كلمة « رسم » بكلمة أخرى مثل رؤي ، أو حذوها تماماً وتعديل هذه العبارة بحيث لا تترك مجالاً للشك الذي تركه كلمة « رسم » ؟ ولنتظر لأن في الترجمة الألمانية مجدداً بذلك بكلمة « وضع » (Gestellt) وإني أفضّل النسخة العربية لأنها مترجمة مباشرة عن العبرية واليونانية واللاتينية ، ولا أتق في أصل الترجمة الألمانية الذي لم يذكر بالتحديد في مقدمة هذه الترجمة .

وثمة اختلاف آخر اكتشفته بين الترجمتين وهو في إشعيا (21 / 13) : « وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب بيتين يا قوافل الدواب » هذا نص على أن هناك وحيًا من جهة بلاد العرب ، وهو دليل قاطع على صحة الأخبار ببعثة محمد ﷺ ، وإن كان المسيحيون قد جاءوا بتأويل لهذا النص كما هي العادة في مثل هذه الأحوال ، إلا أنني ردت في هذا المزمع أن أنه إلى اختلاف في الترجمة بين العربية والألمانية ، فوجدت هذه العبارة مترجمة في النسخة الألمانية بتبديل كلمة « وحي » بكلمة « حكم » أو حبر (Ausspruch) وهي كالتالي : (Ausspruch über Arabien) وترجمتها إلى العربية من الألمانية هي : « حكم على بلاد العرب » فهل يتشابه النصان ؟ أم هو صحيح ؟ الألماني أم العربي ؟ وكما قلت أيضاً فإن الترجمة العربية هي أقرب إلى الصحة من الترجمة الألمانية . وبسبب هذا الموضع إلى أن اختلاف الترجمات يؤدي إلى اختلاف المعنى كما هو واضح وجلي في هذا النص الأخير ، وهذا ما لا يستهان به في أمور العقيدة ، أما إذا كان الاختلاف اختلافاً في العبارة فقط ، أي أنه لا يؤثر على المعنى ، فإنه يمكن الأخذ به .

المبحث الثالث : صعوبات الحوار بين الإسلام والمسيحية

ويواصل « كويج » عرض أهم الصعوبات التي تقف في طريق إجراء الحوار بين المسلمين والنصارى، ويذكر أن أهمها عقيدة التثليث وعقيدة الحلول، وقد سبق الحديث عنها، ولكنه هنا يناولها من جانب آخر، وهو التركيز على نقد المسلمين هاتين العقيدتين. ويذكر أن النقاش احتدّ حول هاتين العقيدتين في القرن العاشر الميلادي، ولم تكن حجج النصارى كافية لإقناع أحد بصحتها، وقد نتج عن ذلك دخول بعض النصارى في الإسلام، مثل أحد النصارى الذي سمي نفسه بعد دخوله الإسلام حسن أيوب، وقد كتب هذا المسلم الجديد كتاباً شرح فيه أسباب دخوله الإسلام، وأهمها عدم اقتناعه بعقيدة التثليث والحلول. ثم يشير « كويج » في مناظرة دبية حدثت بين الراهب يولس وأحد المسلمين يدهي « القرافي » (ت 1385 م) وقد أصبح رد القرافي على يولس الراهب سلاحاً ماصياً في الرد على هذه العقيدة.

ويرى « كويج » أن التغلب على تلك العقيدة لا يكون إلا بالرجوع إلى انتصارات مشتركة الموجودة في الكتاب المقدس والقرآن، وهو من وجهة نظره كما يبين ذلك في العمرة التالية « الإيمان بالتوحيد الخالص » ورفض كل ما يشوب عقيدة التوحيد الخاص. وهذا التوحيد يمكن الأخذ به في المسيحية إذ فهم معنى البسوة، أي ما يدعيه النصارى من أن عيسى ابن الله (تعالى الله عن ذلك) بمعنى أن الله اصطلى عيسى عليه السلام وكلمه بالرسالة والنوة فهو نبي رسول، وقد فضله الله على من سبقه من الأنبياء بأن خلقه بغير أب جسدي من العذراء مريم عليها السلام. ويؤكد « كويج » أن عقيدة البسوة جاءت تقليداً لما جاء في التوراة، وليست بحال من الأحوال بنوة طبيعية، ويجب أن تفهم على أنها اختيار وتكليف من الله (ص 185).

ويصر « كويج » التثليث في النصرانية كما يلي :

- 1 - إيمان بالله الأب، معناه في الكتاب المقدس الإيمان بالله الواحد، ويشترك في ذلك اليهود والمسلمون مع النصارى.
- 2 - الإيمان بأن الله مع الله الإيمان بالوحي الذي أنزله الله الواحد على عيسى الإنسان.
- 3 - الإيمان بالروح القدس معناه الإيمان بتأثير قدرة الله وقوته في الإنسان وفي العالم أجمع.

وهذه هي العقيدة الصحيحة، بخلاف العقيدة خاطئة التي شأنت وتبلورت في الكنيسة في عصور متأخرة، ص 185. ويعبر « ويلفريد كانتويل » (Wilfred Cantwell) : إن الإسلام - كغيره من الأديان - (المصدر نفسه)

أما النقاط التي يمكن أن تكون دعسة سقاش أو الحوار بين المسلمين والنصارى فهي كما يرى كويج

- 1 - كل من مسيحي وأسلم يؤمن بوحدة الله، ويصدق بسوء آدم ونوح وإبراهيم وأسماء إسرائيل.
- 2 - لا يصح للمسيحي أن ينكر نبوة محمد ﷺ الذي يشهد بسوء المسيح.
- 3 - يعتبر المسلمون عيسى (عليه السلام) صاحب رسالة مهمة فيها خير باق للبشر.

وهذه النقاط تؤكد - كما يرى كويج - أن الإسلام والمسيحية لا يتنافسان، بل يتصلان، ويخلص « كويج » من هذا العرض إلى مطالبة المسلمين اتباع الطريق الذي اتبعه عيسى (عليه السلام) أي جعل القانون في خدمة الإنسان وليس العكس، أي الإنسان في خدمة القانون، وقد سبق الرد على هذه النقطة في القسم الرابع من هذا البحث، وأوجزه في أن اتباع شرع الله في الإسلام (القانون الإلهي) هو نفسه خدمة للإنسان وليس ضد خدمة الإنسان، لأن الله لا نصره ولا تمنعه معصية أو طاعة، وقد جاء هذا الشرع الإلهي بنظم حياة الإنسان بما يعود على الإنسان بخير. وحب أن أسأل « كويج » عما إذا كان يعرف مجتمعاً يسيّر أموره أي مصالح الإنسان فيه بدون قانون، بالتأكيد لا يوجد مثل هذا المجتمع على الأرض، إذ لا بد من قانون يضبط سلوك الإنسان في تعامله مع الآخرين، وهذا القانون لا بد أن يكون له مصدر، وهو إما مصدر بشري أو إلهي، فالحيار هو من هذا المصدر؟ فصل؟ نعم « كويج » يقصد من ذلك أن القانون الشرعي يمكن تمثيله وتصيره بما يتفق مع مصلحة الإنسان، بين القانون الإلهي لا يمكن مع الإنسان، وهذا التصير له وجه، ولكن عنه يصح بعض الخصص. فمن الذي يضمن للإنسان أن معه القانون يكون دني في مصالحة الناس؟ - نعم يشهد أن كثيراً من القوانين الشرعية لم تصل بعد إلى درجة عدل المصالح بين الناس ولكنها عادة ما تميل إلى جانب فئة على حساب الأخرى، وهي في أحسن الأحوال عدلها لا تميل إلى فئة

عن حساب أخرى فقد قبل إلى جيل على حساب أجيال أخرى ، كما يرى الآن في كثير من عالمين شواهد بني تبيع للإسلام في هذا الخبر أن يعيش ويسمع من سوف يصير ناجيا . حقيقة وقد يجعل حينها مسجده ، وأقصد هنا ما يدور في مجال الأحداث البيولوجية (الجينات) والصناعات النووية . وأعتقد أن كونج وغيره من العلماء لا يختلف معي في حقيقة ما يصنع هذا الجيل على الأجيال الدائمة ، وعلى الطبيعة بشكل عام . هذا هو حال الفنون الرصعي الذي يشكل ضرب الخيال الأخر مع الفنون الإلهي الذي لا يجد فيه أي ميل للفرد على حساب الآخر ، أو إلى فئة على حساب أخرى ، أو إلى جيل على حساب الأجيال التالية

وإذا كان كونج يتطرق من أن عيسى عليه السلام قد ألهم عبادة قانون كما رآها من اليهود الذين كانوا يغيرون ويبدلون ما شاءوا منه ويوقفونه ويعيدونه حسبما شاءوا . فعمم الظلم والفساد الذي ثار ضده عيسى عليه السلام ، فهل يعني ذلك أن الشرع الإلهي كله أيا كان يؤدي إلى الظلم والفساد الذي هو ضد الإيمان بالطبع ؟ ثورة عيسى عليه السلام لم تكن ضد الشرع الإلهي ، فهو لا يثور على شرع أوحاه الله الذي كلفه بتبليغ رسالة سماوية ، ولكنه كان ثائراً على طريقة استخدام هذا القانون . أما ما نادى عيسى عليه السلام بتغييره ، أي بتحليل بعض المحرمات وتحريم بعض المحلات فقد كان ذلك بروحي من الله ، الذي له الحق وحده في نسخ ما يرى من أحكام وإدخالها بأخرى أو تعطيلها كلية لأنه هو مصدرها وصانعها .

هذا هو اعتقاد المسلمين وفهمهم لشرعة الله التي هي رحمة لهم .

المبحث الرابع : نداء كونج للتصاري أن يؤمنوا بصلوة رسالة محمد ﷺ

وفي ختام هذا الفصل الذي يعني ختام الحديث عن الحوار الذي من أجله نظمت الندوات وجمعت محاضراتها ومناقشتها في هذا الكتاب موضوع العرض والحمد ، سيب « كونج » بالنصاري أن يؤمنوا برسالة محمد ﷺ بإيمانهم برسالة عيسى (عليهما الصلاة والسلام) لأن كلا منهما لم يكن سوى نبي ونذير لقومه . وكلاهما نادى بتوحيد الله ، وهو شخصياً يعمل ذلك ويؤمن ببوة عيسى وعهد (عليهما الصلاة والسلام) ويخلص « كونج » من هذا النداء إلى أن التصير والندوة من جانب النصاري أو المسلمين ليس لها أي داع . ويرى أنه من الأفضل أن يوجه الجهد إلى الإيمان الحقيقي بوحداية الله وبصدق أنبيائه واتباع ما جاؤوا به .

وفي هذه حجة يمكن أن يتعلم المسيحي من مسلم ، وكذلك المسلم من المسيحي ، بحيث يقوي كل منهما عقيدته بمساعدة الآخر وليس على حسابيه . ويجب أيضاً على المسلمين أن يعترفوا بالمسيحية الحقيقية التي توجد أيضاً في القرآن الكريم لترتبط كل ديانات التوحيد برمات الإيمان بالله في مواجهة عالم لا يعترف بالدين

هذه دعوة صريحة من كونج لإيقاظ كل أنشطة التصير المسيحي والدعوة الإسلامية . وهي تمثل في نظري طلياً للمستحيل وزن تترك الكنيسة نشاط التصير ، ولترترك مؤسسات الإسلامية أنشطة لدعوة لأن الدعوة واجب ديني مسعها حب الخير للآخرين إلا أنه يمكن لكونج أن يدعو إلى الإخلاص في عمل الخير وحب الآخرين ومساعدتهم في محنتهم قدر الامكان كل بحسب فهمه للخير ولو واجب .

لما إذا افترضنا جدلاً يمكن توقف نشاط التصير والدعوة لإحلال السلام بين المسيحية والإسلام فسيكون سلاماً سلبياً عقياً في أحسن الأحوال .

الخاتمة

إن أهم ما يسترعي الانتباه في هذه الدراسة ، مما جاء في هذا الفصل والفصول الأخرى التي كتبها « كونج » ويرى فيها موقفه من الإسلام ومهمته للمسيحية الحقة من وجهة نظره ، أن هذا الموقف الإيجابي إلى حد كبير كان ينتظر أن يأتي من علماء مختصين في العلوم الإسلامية من غير رجال الدين المسيحي ، أي من المشرقين الذين يذهبون أنهم علميون وموضوعيون ، ولكن كما نرى بعد المقارنة بين ما ذكره « فان إس » المشرق ، وما ذكره العالم الكندي المسيحي فإن نصيب دراسة كونج من المذهب العلمي والتكبير الموضوعي أكثر بكثير مما يتوفر في الدراسة الأولى للمشرق « فان إس » .

وتقول « كونج » على ما فيه من فائدة كبيرة ، يمكن أن يفهم على أنه محاولة لإيقاف نشاط الدعوة الإسلامية بين المسيحيين ، وكذلك من جانب المسيحيين إيقاف التنصير بين المسلمين ، وهذا يعني في أفضل الأحوال دعوة إلى توحيد ديانات التوحيد وهي اليهودية والنصرانية والإسلام في مواجهة تيار الإلحاد الذي ساد كثيراً من بقاع العالم ، ولم يعد يقتصر على المجتمعات الشيوعية ، بل إن أكثر المجتمعات النصرانية وبعض المجتمعات التي يعيش فيها غالبية مسلمة تزخر بالمكر الإلحادي المتمثل عما يسمى بالعصرانية (العلامية) أو الحداثة أو شيونة فهي كلها وإن لم تتطابق معانيها تفصيلاً فهي جملة تتحد في هدف الأخير

ولكنني أعرف أن كونج لا يدعو إلى توحيد الديانات بالمعنى المعروف هذه الكلمة ، أي أن تنصهر الديانات الثلاثة في دين واحد ، ولكنه يسعى إلى ما يشبه لاتحاد الفيدرالي بين ولايات متعددة تمثل في دولة واحدة على الرغم من احتياط

كل منها بقدر كبير من الاستقلالية ، كما هو الحال في الولايات المتحدة والماتية الغربية وغيرها

ومثاله في ذلك ما سبقت إليه الكنائس المحتملة لإيجاد أعلام علم تتحد تحته ، ويضعن لكل منها استقلالاً عن الأخرى في شؤونها الخاصة . ولا تزال الكنائس تسعى إلى هذا الهدف لمواجهة الديانات الأخرى غير المسيحية ، وهذا هو العمل الرئيسي للمعهد الذي يديره المؤلف « هانس كويج » التابع لجامعة توبنجن منذ أكثر من عشرين عاماً . وهو يرى أن الوقت قد حان لتطوير محاولة توحيد الكنائس لتصبح محاولة لتوحيد الديانات السابوية (Interreligiöse Ökumene) ويسمي هذه المرحلة « مرحلة ما بعد العصر الحديث » (Die Postmoderne Zeitalter) فهو لا يريد - بالتأكيد - تأسيس دين جديد تتوحد فيه الديانات السابوية كما هو الحال في البهائية مثلاً ، ولكنه يسعى إلى تقريب الديانات لسابوية بعضها من بعض عن طريق إبراز ما يجمعها والتركيز عليه وترك ما يفرقها من كل الأطراف المشتركة ، فهي أقرب إلى وحدة بين الديانات منها إلى توحيد الديانات . ولكن هذا التصور يعني بالنسبة لنا نحن المسلمين أن نعمل واجباً أساسياً من واجباتنا وفرضاً من فروض ديننا وهو الدعوة إلى الله ، وهذا أمر خطير لا يمكن لمسلم أن يقلبه ، فالأمر بالدعوة إلى الله واضح جلي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وترك الدعوة خروج على أمر من أهم أوامر الله لهذه الأمة الإسلامية . ولكن لعل ما يقصده كويج ليس إيقاف الدعوة تماماً ، بل توجيهها إلى غير أهل الكتاب وخاصة الملحدين .

يقول تعالى في كتابه الكريم : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (يوسف 108 / 12) ويقول تعالى في آية كريمة أخرى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (الحل 125) . علينا أن نستبشر خيراً بما ذكره كويج عن الإسلام ، ولكن علينا أيضاً أن نحذر ما قد يقع فيه إذا وافقنا على كل شيء ، ولكن الحذر لا ينبغي أن يجعلنا نرفض كل ما جاء في هذا الكتاب ، مهما كان الأمر ، فهذا الكتاب يعد من أهم ما كتب عن الإسلام في الغرب ، وخاصة أن كاتبه من العلماء المرموقين ذوي الشهرة الواسعة في الأوساط الدينية والأكاديمية . ولا ينبغي أن يشين ما ورد من نقد عن الاهتمام بأفكار هذا العالم الذي يستحق الاحترام ، ومحاولة كسبه إلى صف الإسلام

ملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة بحث بعنوان

أوجه الاتفاق والاختلاف بين المسيحية والإسلام

(ألقى هذا البحث في ندوة حوار نظمت في مدينة جومر ، مع بالمانيا في مايو 1979) .

قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ . جادهم بالتي هي أحسن ﴾ (سورة النحل / 125) ، وفي آية أخرى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ (المائدة / 48) . ه . دعوه صراحة للجدال أي الحوار مع الآخرين وخاصة مع أهل الكتاب ، تقصيد هاتان الآيتان الكريمتان وحددت الهدف والمهج ، فالهدف هو الدعوة إلى الحق . هو سبيل ربك عز وجل والمنهج هو أن تكون هذه الدعوة بالموعظة الحسنة ، ولا يكون الجدال « أي الحوار » بالتي هي أحسن أي بالأسلوب المهذب والحجة « مربية » ، والآية الكريمة الثانية تقطع بتحريم أي أسلوب يخالف « التي هي أحسن » . فالمسلم والكتاب يؤمنان بوجود إله واحد . قلاد يدينون ويتملقون به ويطلبون . وإن دخل التحريف على تصور وحدانية الله عند النصاري ، وهو ما يشفر بصحيحة عن طريق الجدال بالتي هي أحسن .

وقبل أن أواصل الحديث في هذا الموضوع أود أن أوضح به بعض النقاط حول الإسلام باختصار :

أحب أولاً أن أصحح خطأ يتكرر كثيراً وهو أن المسلم لا يوصف « محمدى » فهذا الوصف الذي نجده كثيراً في كتابات بعض المسيحيين لا يتفق مع طبيعة الدين الإسلامي ، لأن محمداً ﷺ لم يكن سوى إنسان بالنسبة إلينا مجرد رسول اختاره الله تعالى لتبليغ الدين إليه جميعاً ، هذا بالإضافة إلى نقطة هامة جداً وهي أنه « عبدنا » . مؤسس الإسلام الأول ولكنه متمم ، ولدته لا يمكن أن الإسلام ، ويسمى باسمه أي « المحمدي » .

كلمة «سلام» هي في الأصل صفة يكسبها كل من تنسب إلى الاسلام
بعض النظر عن جنسه أو وطنه أو دينه

من الساحة المعوية تعني كلمة «إسلام» عبودية وتسليم وطاعة لله تعالى ،
بالإسلام يعني الطاعة التامة لله عز وجل ، والتي عن طريقها يحصل الإنسان على
اسلام حقيقي لنفس وللجسد معاً .

والإلتزام بالطاعة التامة لله عز وجل يعني أن الإنسان قادر على العصيان ،
وعلى ذلك يستحق (العاصي) العقاب ، وفي هذا الصدد تنقسم حياة الإنسان
إلى قسمين من وجهة نظر الإسلام

القسم الأول : يبدأ منذ ولادته فهو مسلم بفطرته حتى يبلغ سن
التكليف ، ومع بلوغه يصبح قادراً على الاختيار بين أن يظل مسلماً أو أن يختار ديناً
آخر فيحاسب تبعاً لاختياره .

إذا أساء استخدام القدرة وحرية الاختيار التي أعطاها الله إياه وكفر بخالقه
فقد استحق بذلك صفة « الكافر » في اللغة العربية .

أما من آمن بالله ولكنه لم يصدق بنبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) من
اليهود والنصارى فهم في نظر الإسلام « أهل الكتاب » والإسلام ينظر إلى كل من
اليهود ، والنصارى نظرة مختلفة تعكس مدى قرب النصارى من المسلمين في
مقابل عداوة اليهود للمسلمين بقوله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا
نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ (المائدة / 82) .

ويختلف الإسلام عن اليهودية في الأساس ، أي في نظرة الاسلام إلى الله
على أنهم سواء وليس بينهم من يفضل الآخر على أساس جنسه بل على أساس
عقيدته فالرسول ﷺ يقول « لا فصل لعربي عن أعجمي إلا بالتقوى » أخرجه
الإمام أحمد في مسنده 5 / 417 . ويختلف لاسلام عن المسيحية في أن موحيده
الالهية في الاسلام قاطع لا تشوبه شائبة أو شبهة بينما التوحيد في المسيحية تنويه
عقيدة التثيثل التي لم يتفق جميع المسيحيين على تصور واضح وموحد لها حتى
اليوم ، فتفسيرها تارجح بين ما يشه التوحيد الاسلامي أو يقترب منه ريب

الشرك أي التعدد في الألوهية . والخلاف حول طبيعة المسيح (عليه السلام) هو
نتيجة للجدال حول هذا الاعتقاد ، هذا الخلاف قد أدى إلى إنقسامات عديدة
داخل الكنيسة ، وهذا امر معروف لجميع النصارى

لم يكن الاسلام منذ بدايته نظاماً حقيقياً وعقدياً فقط بل نظاماً كاملاً للحياة
الانسانية يقود البشر إلى أن يعيشوا في أمة واحدة تنعم بالأمن والسلام ويسودها
العدل . فهو يرشد سلوك الإنسان مع نفسه ومع غيره ومع ربه ، فالذي يعتدي
على نفسه بالتعذيب أو القتل (الانتحار) يرنكب بهذا العمل معصية كبرى وهو
من المحرمات القطعية ، وكذلك علاقة الفرد بربه تكون طاعة كاملة عن طريقها
يكون الاسلا حراً بمعنى الكلمة ، لأنه إذا أطاع الله فقد تحرر من عبوديته لأي
مخلوق ، فالرسول (عليه الصلاة والسلام) يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية
خالقه » ، وعلاقة الإنسان بباقي أفراد أسرته وعلاقاته المختلفة بكل فرد فيها
وكذلك علاقاته مع أقربائه وجيرانه الأقرباء وجيرانه غير الأقرباء وجميع أفراد
مجتمعه وأساس كل هذه العلاقات هو العدل والأخوة .

هذا التنظيم للعلاقات الفردية والاجتماعية والتي تتمثل في ثلاث عاير أي
علاقة الإنسان بنفسه ، وعلاقته بربه ، وعلاقته بمجتمعه بشكل البنية الأساسية
للالسلام ، فالاسلام إذن ليس عقيدة تحمض في القلب فقط ، بل هي إيمان وعمل
لا يفصلان بقوله تعالى : ﴿ والمصر إن الانسان لقي خسر إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » هنا دستور كامل للحياة
تضمنتها سورة واحدة من قصار السور في القرآن الكريم (سورة العصر رقم
103) .

وتقوم نظرية الإسلام لاصلاح المجتمع على أساس أن الإنسان يتكون من
جسد وروح ولا بد من توازن بينهما فلا يتم بجانب منها على حساب إحداهما
الجانب الآخر . فإذا أراد الإنسان أن يزكي روحه ويكمل جسده تماماً فهو بذلك
يحاول عتاً أن يصبح سلاكاً ، وكذلك من يتم فقط بحاجاته الجسدية (المادية)
فإنه يندك يشبه بالحيريات أو أقل من ذلك .

يقول الله تعالى في حقهم : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم
العاقلون ﴾ (لأعراف 179 / 7) ويقول تعالى أيضاً في هؤلاء في سورة
الفرقان / 44 : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ فلا معنى أو

هائلة في الحياة طالما فقد التوازن والانسجام بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد .

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يهتم منذ بدايته بكل احتياجات الإنسان المعنوية واقتصادية والاجتماعية ، فالعدالة الاجتماعية ، بمعنى عدالة توزيع موارد الدولة على الأفراد هي أساس التصور الاجتماعي في الإسلام . ولا يمكن أن تصور الإسلام لعدالة التوزيع بما هو موجود في النظام الاشتراكي الذي نعرفه اليوم ، لأن الإسلام يبيح بل يشجع على الاستثمار الخاص للأموال طالما أن هذا الاستثمار لا يؤدي إلى استغلال مجموعة من الأفراد لمجموعة أخرى أضعف من الأولى .

ويعوم الإسلام على ستة مبادئ وهي الإيمان بالله ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسوله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر ، وهذه المبادئ تمثل الجوانب النظرية من الإسلام . وأما تطبيق هذه المبادئ فيقوم على خمسة أركان : الشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت لمن استطاع .

والحكمة من تطبيق أركان الإسلام تتمثل في أن الشهادتين تعنيا تحرور الإنسان من كل أنواع العبودية سوى لله خالقه . وكذلك الإيمان بصلته وحبه لرسوله محمد ﷺ وأداء الصلاة وخاصة صلاة الجماعة في المسجد (الصلوات المكتوبة) تعني التطبيق الفعلي للمساواة بين البشر على اختلاف أجناسهم ومراكزهم الاجتماعية أمام الله (عز وجل) فصلاة الجماعة بها اتصال بالجماعة واتصال فردي بالله عز وجل من كل مصل .

والصيام والحج يعبران عن الطاعة التامة لما أمرنا الله به . هذا هو الجانب العقدي ، أما الجانب العملي فهذين الركبتين فيتمثل في المناغم الدينية التي تعود على الإنسان من أدائها ، وتنعكس على المجتمع ككل اجتماعياً واقتصادياً .

أما أداء الزكاة فله معنى عميق وأهمية خاصة في الإسلام لأنه إنفاق من المال الذي اكتسبه الإنسان من مصادر مشروعة بعد ذلك الجهد في تحصيله ويعطيه لأخيه المحتاج بغير رغبة . وهي رمز التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي وهي درة للأمراض الاجتماعية مثل الحسد والحقد والصراع بين الفقراء والأغنياء في

المجتمع الإسلامي ، ويقول الباحث الديني « أولريش شون » (U. Schön) : « إن ترابط الواقع الذي يعيشه المسلم من خلال تطبيقه لعقيدته في الحياة سببه يكمن في العلاقة بين العمل الفردي والعمل الجماعي أي بين الفرد والعمل . إن الإسلام لا يعرف التفرقة بين الحياة الروحية (الإيمان) ، والحياة المادية (العمل) أي بين العمل الديني والعمل الدنيوي (الإنسان والعالم والدولة في الإسلام ص : 120 - 121) .

ينبغي على الإنسان أن يصرف كل جهده لتحقيق إرادة الله التي عرفها عن طريق الوحي ، وهذا الجهد الذي يبذله المسلم لتحقيق إرادة الله هو الأصل مما يسمى بالجهاد في الإسلام .

قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً وإن الله مع المحسنين ﴾ العنكبوت / 69 .

ولكنه للأسف الشديد ، لا يعرف للجهاد معنى في العرب سوى القتال ولذلك ترجمت كلمة « جهاد » بـ « الحرب المكلفة » رغم أن الحرب ، أي القتال في سبيل الله ليس سوى جزءاً من الجهاد الذي يشمل إلى جانب ذلك جهاد النفس ضد الهوى ، والجهاد بالمال ، والجهاد بالكلمة ، والجهاد في طلب العلم وكل ما يتطلبه ذلك الجهد في سبيل ما يرضي الله ، وتحقيق إرادته .

وتمثل هذه النقطة موقع اختلاف بين المسيحية والإسلام . فالإسلام يدعو إلى الجهاد ضد كل أديان الظلم بكل الوسائل الممكنة بقول الرسول ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسانه فإن لم يستطع فليقلبه وهذا أضعف الإيمان » . فاستخدام القوة هو أحد الوسائل لازالة الظلم وهو وسيلة مشروعة في الإسلام بينما نجد المسيحية ترفض استخدام القوة أبداً كانت الأسباب فتداء ، ورد عن عيسى (عليه السلام) « إذا لطمت أحد على خدك لأمس فأدر له الأيسر ، أودع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . ولكن هل التزم الكنييسة والمسيحيون بهذا المبدأ طوال التاريخ ؟ وأترك الإجابة على هذا السؤال لكل مسيحي مصنف

ومن أجل تحقيق مجتمع إسلامي لم يقتصر اهتمام الإسلام على إصباح كريمة

اختيار الحاكم (الخليفة) بل أوضح كل ما من شأنه أنه يسر^١ على حرم يمكن ، وبكل تفصيل ، عهد التعاليم السبعة تشمل "مير حبة" العامة (السبية والاجتماعية) كما تشمل الأمور الخاصة بـعدد إلى أمور شخصية وعائلة وتحدد فيها واجبات وحقوق كل فرد في الأسرة تجاه الآخر بالإضافة إلى تنظيم الميراث الذي راعى المرأة وحقوقها لأول مرة (اقرأ في ذلك ما جاء في سورة النساء من الآية الرابعة الى الثانية عشر) .

وحرم الربا لأنه يؤدي إلى استغلال حاجة بعض الأفراد من جانب المدين (البقرة / 275 وما بعدها) وحرم السرقة وحرم الزنا (سورة لقطة / 38) ، (سورة التور / 2 وما بعدها) حيث الأحكام والحدود الشرعية مفصلة ومحددة وعادلة فلا يزيد قدر العقاب عن قدر الذنب .

وهنا ينبغي أن ننتبه إلى شيء هام لا يعرفه كثير من غير المسلمين الذين يظنون لاسلام ديناً لا يعرف العفو والرحمة فكما أن العقاب الذي لا يعنى حجم الجريمة مشروع (العون بالعون والسن بالن) إلا أن الاسلام يدعو الى العفو عند المقدرة وليس هذا فقط بل يدعو الى أن يتقبل الإنسان الاساءة بالاحسان اقرأ قوله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن اليه نحن اعلم بما يصفون ﴾ (المؤمنون / 96) . ويقول تعالى: ﴿ ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ (فصلت / 34) .

فتفصيل العفو على العقاب واضح في هذه الآيات الكريمة ولا يحتاج إلى تعليق ، وفي هذا الموقف يمكن أن تعرف على وجهين تطهما اتفاق بين المسيحية والاسلام والأحر اختلاف ، ولاتدق هو أن العميدتين تعموا أو دعوى ورد لسيئة بالخطئة . أما الوجه الآخر فهو أن الاسلام شرع الحق في العقاب ، الذي هو في المسيحية غير ذلك .

أما تعدد الزوجات في الإسلام الذي يعتبره غير المسلمين عملاً مناهياً سدياً ولحصر فيه من وجهة نظر الإسلام ذر، لاصر جماعة كثيرة وكذلك فهو يعد علاجاً لمشكلات اجتماعية تعرض في المجتمعات محله عبر التاريخ مثل نقص عدد الذكور عن عدد النساء خاصة بعد الحروب والكوارث التي تعرض لها

الرجال دون النساء بحكم مسؤوليتهم عن كسب اوراق والاماني على الأسرة فهم أكثر عرضة للاخطار أثناء ذلك وقد تنتج الحاجة إلى التعدد بسبب مرض الزوج أو عدم قدرتها على الإنجاب وربة الرجال في ذلك . فالاسلام يختار طريقاً منطقياً لعلاج هذه الحالات بدلاً من ترك هذه الأمور لكل فرد منتشر الرديلة والاضطاط الخلفي وتحتلظ الاسباب .

وقد يصعب فهم ذلك عند غير المسلمين ولكن من يعي ويلزم هذه الظاهرة في المجتمعات الحديثة سوف يتمكن من فهم وجهة نظر الإسلام وأقرارها . فعندما شرع الإسلام لتعدد قيده بشروط تحفظ لكل زوجة حقها وكرامتها وتصونها عن الملة أو الاعراف . فشرط العدل التام بين كل الزوجات في كل ما يملك الرجل ، وهو أول الشروط وأصعبها وهناك شرط آخر وهو أن يكون الرجل على ثقة تامة بينه وبين نفسه من قدرته على العدل بين زوجاته ، فإن ساوره الشك في ذلك فلا يجوز له التعدد لقوله تعالى: ﴿ وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أفن ألا تعلموا ﴾ (النساء / 3) .

أما الطلاق الذي تعتبره الكنيسة غير مشروع فهو في الإسلام مشروع ولكنه من أبغض الأشياء عند الله كما جاء في الحديث النبوي " إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق " والاسلام يحفظ للمطلقة حقها وكرامتها

والمرأة لا تعقد بالزواج حقها في الاحتفاظ بما تملك وهي ترث من زوجها ولا تعقد إسمها الحقيقي بمجرد رواجها كما هو الحال في معظم المجتمعات غير الاسلامية . ولا يحرم الاسلام امرأة الكتابة من حقها في الاحتفاظ بدينها بعد رواجها من مسلم

أما عن الأمليات غير السمة في المجتمع الإسلامي فالاسلام يتعهد بحمايتهم وحريتهم في ممارسة شعائر دينهم والاحتفاظ بالمدينة بطور عبادتهم وتنظيماتهم الاجتماعية والدينية والاحتفال بالمسبات الدينية على طريقتهم الخاصة ، فقد روي أنه في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب أنه كان يسمح للمسيحيين أن يسبوا في مواكب حاملين الصليب ويمرون في الشوارع

العامية ويذكر ذلك أيضاً أحد الباحثين النصارى وهو عادل تيودور خوري في بحثه بعنوان « المسلمون والنصارى ، أصدقاء ؟ » (ص 105) ، ولأن المسلمين هم الذين تعهدوا بحماية أهل الكتاب ومؤسستهم فقد شرعت الجبرية التي هي مقابل الدفاع عنهم وليست كما يدعي كثير من غير المسلمين صربية تحصل منهم مقابل حق الإقامة في البلاد التي يسيطر عليها المسلمون ، وهذا ادعاء لا يقوم على دليل . فكتب التاريخ تذكر لنا مواقف تدل على عكس ذلك ، ففي عهد عمر بن الخطاب أثناء فتح الشام قام أبو عبيدة بن الجراح برد الجزية إلى أهل حصن لأنه كان مضطراً إلى ترك المدينة وعدم القدرة على حماية أهلها ، لأنه أراد الاشتراك في الحرب ضد الروم .

أضف إلى ذلك أن الجزية كانت تسقط عن كثير من أهل الكتاب مثل غير القادرين منهم ، أو من أدوا خدمة للبلاد ، أو اشتروا في أعمال حربية مع المسلمين وكذلك النساء والأطفال على كثرة عددهم .

أضف إلى ذلك أن المسلم يدفع الزكاة ويجاهد عدا ذلك بماله ونفسه والمسيحي يدفع في مقابل ذلك الجزية فقط ولا يطلب منه الجهاد لا بماله ولا بنفسه ، ويقدر ما يشترك به الجهاد بالمال أو بالنفس ترفع عنه الجزية .

وهل كل حال فإن قيمة الجزية كانت مقدرة بعشرة دراهم في العام وهذا المبلغ مطابق ما تنفقه عائلة متوسطة في عشرة أيام أذاك (انظر : محمد حميد الله - الاسلام - صفحة 265 - الترجمة الألمانية) .

ولنفراً معاً ما جاء على لسان الرسول محمد ﷺ .

إلا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فإنا حصمه يوم القيامة » وفي حديث آخر يخص فيه الذميين « من أدى ديناً فإنا حصمه ومن كت حصمه حصمته يوم القيامة »

على الرغم من ذلك فإنه لا يمكن القول بأن الإسلام سوى بين غير المسلمين بسوى كاملة ، لأنه فرق بين الكفار وأهل الكتاب والمجوس ، فرفض الكفر تماماً وجعل لأهل الكتاب والمجوس موقفاً مختلفاً عن موقع الكفار ، ثم جعل لكل فريق من المجوس وأهل الكتاب موقفاً خاصاً ثم جعل لكل فريق من أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ، موقفاً خاصاً ثم جعل لكل فريق من النصارى موقفاً خاصاً كل حسب قربه من توحيد الخالق . فمن أشرك منهم جعله في مصاف

الكفار فقال تعالى ﴿ لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة ﴾ (المائدة / 73) ويشترك مع هذه الفئة اليهود والمشركين ، وهناك فئة أخرى من النصارى هي أقرب إلى المسلمين وهي فئة من القيسيين وأرهبا غير محددة .

قال تعالى ﴿ لتتحدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود واسبدين أشركوا ولتتحدن أنفهم مودة للذين آمنوا ﴾ يدعي قائلوا أنا نصارى ذلك بأن منهم قيسيين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴿ (المائدة / 82)

هذه الآية الكريمة يمكن أن تكون قاعدة لإقامة حياة سائلة بين المسلمين والنصارى في مجتمع واحد .

ومن أهم المعوقات التي تقف في سبيل انتفاهم المتبادل بين المسلمين والمسيحيين يرى جون كاندويل في بحثه حول الحوار بين الاسلام والمسيحية ضمن كتاب الاسلام والغرب (نشره هردار - ألديا - 1978) هو اعتقاد المسلمين بأن القرآن وحي من الله معنى ونصاً ، وأنه لا يجري عليه التفسير وهذا الاعتقاد يؤدي إلى اتهام المسيحيين بتحريف الانجيل الذي أنزل على عيسى (عليه السلام) ودليلهم على ذلك وجود أكثر من إنجيل وما بينها من اختلافات ، بالإضافة إلى اعتقاد المسلمين بأن الاناجيل ليست سوى مجموعة من أحاديث رواها تلاميذ عيسى عنه وليست هي نص ما قاله عيسى (عليه السلام) ولم يكن كل الرواة عن عيسى من تلاميذه الذين عرفوه أو عرفهم ، وأن لمسلم يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن عيسى عليه السلام لم يذبح يوماً ما أنه أكثر من سي رسول ، ولا يعتقد المسلمون بأن عيسى قد صلب أو مات على الصليب ، وكذلك يعتقدون بأن عيسى قد أُخبر ببعثه محمد (عليه الصلاة والسلام) ويعتبرون عدم وجود هذا الخبر في أي نسخة من النسخ الموجودة من الاناجيل دليلاً على تحريف المسلمين للانجيل . إن كاندويل عمن فيما ذكر عن الإسلام لأنه قد خُصِرَ اعتقاد المسلمين الصحيح في القرآن الكريم وتحريف الاناجيل وفيما ذكر كل عن عيسى عليه السلام .

وثمة نقاط ثلاثة هامة في هذا الشأن تمثل وجهة نظر الإسلام حول عيسى (عليه السلام ورسائله) :

- 1 - أن عيسى (عليه السلام) لم يكن له أب لا من طبيعة إلهية ولا من البشر .
- 2 - كان عيسى (عليه السلام) يفهم رسالته على أنها تصحيح لما حرفه اليهود في

نوراه وسليح تعاليم مساويه معيه يسعها بي إسرائيل (الانجيل)
3 . يدع عيسى (عليه السلام) مصداقاً لله أو س الله ولكنه كـ رسولاً ونبى
(المائدة / 75)

أما عن وفاة عيسى (عليه السلام) فإن الاسلام ينكر صلب وقتل عيسى
كما يعتقد اليهود والنصارى ، وقد جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى : (في
سورة الباء / 157-158) ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما
هم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً
حكيماً ﴾ (صدق الله العظيم) .

ونجد تعليقاً جيداً حول هذا الموقف ذكره جوستاف منشنج (أستاذ الأدب
المقارنة بجامعة بون سابقاً - ت 1978 م تقريباً) في كتابه « المبدأ المنفوخ »
لتصورات الدين الاسلامي . حيث يقول : « الإسلام دين العدالة ، لا يمكن أن
يقبل القول بأن الله العادل يعاقب انساناً بريئاً بالقتل وإن الله لا يمكن أن يترك
أحدًا يفعل ذلك ، ولهذا اعتبر المسلمون أن ذكر صلب وقتل عيسى على الصليب
هو من التحريفات التي أدخلت الى الكتاب المقدس عبر التاريخ ، ويرى الإسلام
أن الله قد رفع عيسى (عليه السلام) إليه » (صفحة 121)

أما بالنسبة للمسيحيين فإنهم يرون أن عيسى (عليه السلام) لا يمكنه أن
يتحمل ذنوب البشر دون أن يلعن (من اليهود) فقد جاء في الرسالة إلى أهل
غلاطيه (3 / 13) : « المسيح اقتدانا من لعنة التاموس إذ صار لعنة لاجلنا لأنه
مكتوب ملعون كل ما علق على خشبة »

وجدير بالذكر أن بداية هذا الاصحاح الثالث في الترجمة العربية تذكر ما
تزيد وجهة نظر الإسلام في صلب عيسى عليه السلام فقد جاء النص التالي :
« أما الغلاطيون الأعياء من دهاكم حتى لا تزعموا للحق أنتم الذين أمام أعينكم
« رسم » يسوع المسيح بكم مصلوب » ، فكلمة « رسم » هنا تدل على أن ما
وأود لم يكن حقيقة (3 / 1) بينما نجد في الترجمة الألمانية لهذه الفقرة في ترجمه
انكتاب المقدس المصادرة من جمعية الكتاب المقدس الكاثوليكية بمدينة شتتغرت
بألمانيا الغربية حديثاً (الطبعة الدراسية في صفحة 2394) بعض الاختلافات
اللغوية فقد جاء فيها إصاغة كلمة « يقبها » (deutlich) والتي لم ترد في الترجمة

العربية وقد وردت كلمة « وُصع » (gestellt) بدلاً من كلمة « وُسم » والفارق
كبير بين معنى الكلمتين .

وعلى كل حال فالتصور الاسلامي يزكي عيسى (عليه السلام) عن أن
يموت هذه لميته المشينة التي لا تليق بسي فصلاً عن بشر

وهنا يختلف التصور الاسلامي من جانب عن تصور اليهود لهذه الواقعة بأنه
رفع المسيح عن أن يكون في هذا الموقف المشين الذي لا يوضع فيه سوى كل
ملعون على حسب تصورهم . ومن جانب آخر ينكر الأساس الذي قامت عليه
سلفية عقربان الدتب الموروث وتعمل للمسيح لخطايا البشر التي يعتقدونها
النصارى

رثمة عقيدة نصرانية أخرى يرفضها الاسلام وهي عقيدة التثليث النصرانية
التي يعتبرها الاسلام سقوياً في الشرك بالله وتجعل معتقديها ضمن الكفار يقول الله
تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم
يتسوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (المائدة / 73) .

وفي هذه الآية الكريمة يتضح العارق بين موقف بعض فرق النصارى التي
تعتقد التثليث حقيقة وبدلت بكفرون وإن كان الاعتقاد فيها على أي وجه يشرسه
الشرك والكفر فإن الإسلام يعلن توحيداً خالصاً لا تشوبه أي شائبة من الشرك
ونقرأ ذلك واضحاً في قوله تعالى في سورة الاخلاص : ﴿ قل هو الله أحد ، الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (سورة الاخلاص رقم 112) .

ويذكر لنا القرآن الكريم محادثة دارت بين الله تعالى وعيسى عليه السلام
يقول تعالى ﴿ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين
من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » (المائدة
/ 166) . سأقت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم
عليهم شهوداً ما دمت فيهم فيما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل
شيء شهيد » (5 / 117) .

هاتان الايتان توضحان وجهة نظر الإسلام حول عقيدة التثليث النصرانية
وتؤكد أن عيسى (عليه السلام) لم يقل بها وإنما دخلت هذه لعقيدة النصرانية

بعد رفعه (عليه السلام) وهدهد ما تؤكده بعض مدرست - نبي قدمها بعض المتخصصين في البحوث اللاهوتية المسيحية من النصارى مثل « هايكي وايزن » في كتابه « صورة عيسى في القرآن » و« هانس كونج » في كتابه « التصدير »

ولا يتفق مع منطق المسلم أن يكون لله الحلي الذي لا يموت ولد يموت ، وحتى إذا افترض جدلاً إمكان ذلك فليترك الله اسمه يموت هذا الميتة المشينة المؤلمة بحجة تحمله للذنوب الشر وكان الله لا يستطيع أن يغفر الذنوب سوى بأن يترك ابنه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، يموت على هذه الطريقة الشبهة ، أضف إلى ذلك أن المسلم لا يستطيع أن يتصور أن يكون غفران ذنوب انسان عن طريق موت انسان آخر ، والأقرب أن يكون طريق طلب المغفرة هو التوبة النصوح وهذا هو التصور المنطقي الذي يقبله العقل السليم .

ولكن رغم كل ما ذكر من اختلاف في وجهات النظر بين المسيحية والاسلام إلا أن الإسلام كان حريصاً دائماً على أن يعم السلام بينه وبين أهل الكتاب الذين لا يشركون بالله فيقول تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ (النساء / 166) . ويخص الله تعالى أهل الكتاب بقوله : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا ان كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً آلياً من دون الله فان تولوا فقلوا اشهدوا بأننا مسلمون ﴾ (الاعراف / 64) .

وهذه الآيات الكريمة هي دعوة صريحة الى الاتفاق على أسس للحياة معاً في سلام وهي تؤكد ضرورة التوحيد الخالص لله تعالى .

أما من وجهة نظر المسيحية فتتلخص صعوبات الحوار مع المسلمين فيما يلي :

- 1 - اعتقاد المسلمين بأن عيسى (عليه السلام) نبي صادق ضمن سلسلة أنبياء وورسل وأنه كلف برسالة وهي تصحيح ما حرفة اليهود في التوراة وتطبيق شرع الله في بني إسرائيل (الانجيل) .
- 2 - اعتقاد المسلمين بأن المسيح قد أوحى إليه كتاب (الانجيل) وأنه لم يدع سوى أنه نبي بشر أوصل إلى بني إسرائيل .
- 3 - اعتقاد المسلمين بأن الله قد أوحى إلى أنبيائه بتعاليم متعقبة في الأصل وهي

متتابعة في سلسلة انتهت بالوحي الذي أوحى الى محمد (عليه الصلاة والسلام)

1 - اعتقاد المسلمين بأن رسالة عيسى (عليه السلام) كانت خاصة ببني اسرائيل فقط بينما رسالة محمد (عليه الصلاة والسلام) فهي للجميع كافة

2 - اعتقاد المسلمين بأن عيسى (عليه السلام) لم يصلب ولم يقتل وإنما رفعه الله إليه لأن ذلك يتطابق على التصور الاسلامي للعقل الالهي . إضافة إلى ذلك لأحد النصارى على التصور الاسلامي بعض النقاط التي تمس من وجهة نظرهم عيوباً في العقيدة الإسلامية وأهمها ما يلي -

1 - إن الإسلام يصور الله مجرداً وبعيداً عن الإنسان ، والرد على ذلك بالآية الكريمة : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ (البقرة / 186) . والقرب في الإسلام غير القرب عند المسيحيين الذين يقصدون بالقرب الملازمة والرؤية كما هو عندهم متجسداً في عيسى (عليه السلام) .

2 - الإيمان بالقضاء والقدر يؤدي إلى التواكل . والرد على ذلك في آيات كريمة منها : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (البقرة / 286) ، ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المعثر / 74 / 38) ، ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ (الشورى / 42 / 30) .

3 - أن الوحي يكون عن طريق وسيط (جبريل عليه السلام) ولا يكون باتصال مباشر بين الله والإنسان (أي جدول اللاهوت في الانسوت) .

4 - تصور الإسلام لعقيدة التثليث مبني على فهم خاطئ للتصور المسيحي لهذه العقيدة .

5 - إنكار الإسلام لإمكان أن يكون لله ولد أو أولاد للاختلاف الكلي بين طبيعة الذات الالهية وطبيعة البشر .

6 - إن معرفه وجود الله هي في الإسلام عن طريق التلقي المباشر (الوحي) وليست عن طريق جدول الأب في الابن والحديث المباشر مع الناس ،

لأن الإسلام لا يعرف إله إلا الله .

7 - أن الطريق التي يأتي بها الوحي (عن طريق جبريل) هي أقل درجة من الطريقة المعروفة في الكتاب المقدس ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الوحي هو مجرد وسيط ، أما في المسيحية فإن الله ، تعالى عن ذلك ، يتكلم مباشرة للناس أي هو المصدر والمبلغ في آن واحد .

8 - إن الإسلام لا يعرف الإيمان القلبي (أي بدون التعقل الذي لا يعتمد فقط على حجج عقلية) .

9 - إن الإسلام يعتبر أن الوحي إلى النبي محمد ﷺ هو آخر الوحي (حاتم النبوة : بينا المسيحية تدعي أيضاً لنفسها هذا الحق أي آخر الديانات السماوية .

10 - أن الإسلام يعتبر الذنوب وقتية وهي عبارة عن تخلفي لحدود الله ولا يعتبر أنها في طبيعة البشر يخلق بها أو هي مجرد ابتعاد الإنسان عن الله وليست دائماً تخلفي لحدود الله بالأفعال المنحرفة . وكذلك تصور الإسلام للنجاة هو تصور دينوي كل ما في الجنة هو لاشباع رغبات دنيوية

وبعد . . . فإن رسائل الأنبياء جميعاً كان لها هدف واحد وهو تخليص الإنسان من ظلمه لنفسه وإشاعة العدل بين الناس ، موسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) نادوا بالتوحيد الخالص لئلا يظلم العالم الخالق الذي يحب خلقه . وقد كانوا جميعاً مبلغين لرسالة الله إلى البشر لتخليصه من الخطايا ومن عبودية سائر المخلوقات . هذا هو تصور الإسلام الصحيح للأنبياء ، السابقين على محمد ﷺ وقد ترتب على ذلك الاعتراف بصدق نبوة هؤلاء الأنبياء وغيرهم ممن سبقهم وورد ذكرهم في القرآن الكريم أو وردت الإشارة إليهم .

كانوا جميعاً بشرًا ويبلغون الإيمان باليوم الآخر والبعث بعد الموت ويشيرون برحمة الله وحبه لعباده ، وكانت مهمتهم التي كلّفوا بها هي قيادة البشر إلى الصراط المستقيم . عيسى ومحمد عليهما السلام أخفيا محبة بين البشر مثلاً وتطبيقاً لمحبة الله لهم . والمحبة في الله دون ترقب فائدة دنيوية بخلقها عيسى وبلغها محمد ﷺ

بعد ذلك عيسى بعث معمره من بعده إلى الله وقد كان محمد ﷺ أيضاً يطلب المعمره من بعده . كلاهما من " أنبياء الله " الذين لا يعدمون " وقال - سيد - ﷺ - معمره " كل الأنبياء أخوة أمهاتهم مختلفة ولكن دينهم واحد

7 - لا إله إلا الله الواحد ، وصدق رسالاته ، وأنبيائه ، ورحمة الله لخلقهم ، وكذلك العمل على إشاعة العدل والمساواة بين البشر ، هي الأساس الذي يمكن أن يلتصق عليه الإسلام مع المسيحية

ولكن رغم كل نقاط الالتقاء والاتفاق بين المسيحية والإسلام إلا أننا نجد من حين لآخر على طريق الحوار بعض الثغرات المتحصنة من بعض رجال الدين الذي لم يتخلصوا بعد من نزعاتهم التبصيرية وحقدتهم على الإسلام المتوارث من العصور الوسطى وما قبلها ، فمثلاً ادعاء أن الذين يعرضون وجهة نظر الإسلام في قضايا الحوار يأولون النصوص ، ويملكون جانباً منها ، ولا يعرضون سوى جانب واحد وهو الذي يظهر الإسلام في مظهر الدين المتسامح والمسالمة لكل الديانات السماوية الأخرى ، وهذا ما نقرأه في كتاب " المعبد المفتوح " (بالألمانية) ، لحوستاف منشع ، سابق الذكر أثناء زده على بعض العلماء المسلمين مثل سيد وحيد الدين من الجامعة العثمانية في حيدر آباد بالهند وكذلك محمد حيد الله بجامعة السربون بفرنسا وغيرهم .

ولا يقل خطورة عن ذلك الإنذار الذي وجهه " كلارنس هوسورث " للمسيحيين بأن المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة عام 1974 م يخطط لهجوم على المسيحية وهذا ما ذكره في كتاب " الإسلام ضد المسيحية الآن واليوم " (الترجمة الألمانية - نشر هردار 1976 م) . هذا الأسلوب لا ينتظر منه أن يساعد على قيام الحوار المطلوب بين المسيحية والإسلام .

إن المشكلات التي يعيشها العالم اليوم منها مشكلات الفقر والجوع والمرض واجهل تحمل واجب التصدي لها يقع على عاتق كل أصحاب الديانات السماوية في الدرجة الأولى . " وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون " صدق الله لعظيم

7 - لله المومن والهادي إلى سواء السبيل
نشر مختصراً بمجلة الإسلام والغرب - التماس - يونيو 1984 العدد الثاني - المجلد الرابع

المراجع

أولاً: المراجع العربية (مرتبة حسب عنوان الكتاب)

- تفرآء الكرم وكب الحديث النبوي الشريف .
- إلفان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) - عالم الكتب - بيروت - بدون تاريخ
- إعجاز القرآن - للقاضي أبي بكر البقلائي (ت 403 هـ) - دراسة وتحقيق عبد الرؤوف مخلوف - بيروت - 1397 هـ / 1978 م
- أسباب النزول - حل بن أحد الواحدي (ت 468 هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - 1395 هـ / 1975 م .
- الإستشراق بين الموضوعية والإفتمالية - قاسم السمرائي - دار ثقيف - الرياض - 1403 هـ / 1983 م .
- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ) - بيروت - 1391 هـ / 1972 م ط 2 .
- تأويل مشكل القرآن - عبد الله بن مسلم بن قنينة (ت 276 هـ) - تحقيق لسيد أحمد صالح - بيروت 1401 هـ / 1981 م ط 3 .
- تاريخ توثيق نص القرآن الكريم - خالد عبد الرحمن الملك - دمشق - 1397 م / 1987 م .
- تثبيت دلائل النبوة - القاضي عبد الجبار الهمداني (ت 415 هـ) - تحقيق عبد الكريم عثمان - دار العربية للطباعة - بيروت 1386 هـ / 1966 م .
- نرث الإسلام - جوريف شاحت ويوردوت - (ترجمة العربية) - الكويت - عالم لمعرفة - 1978 م .
- تفسير القرآن العظيم - الحافظ حماد الدين اسماعيل بن كثير (ت 774 هـ) - دار لمعرفة - بيروت - 1403 هـ / 1983 م .

سعيد - القاضي أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ) - تحقيق الخضير - دار
 الفكر العربي - 1366 هـ / 1947 م .
 جامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - الخطيب البغدادي (ت 436 هـ) -
 تحقيق محمود الطحان .
 جامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - الخطيب البغدادي (ت 436 هـ) -
 تحقيق محمد رأفت سعيد - الرياض - 1405 هـ / 1985 م .
 حقوق المرأة في الإسلام - محمد عبد الله عرفة - القاهرة - 1401 هـ /
 1981 م .
 الميوان - عمر بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) - طبعة دار التقدم - القاهرة -
 1325 هـ / 1907 م .
 دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) - طبعة دار الشعب - القاهرة -
 1969 م وبمبها .
 دلائل الإعجاز (في علم المعاني) - الإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق الامام
 محمد عبده (ت 1302 هـ / 1905 م) - (دار المعرفة بيروت - 1402 هـ /
 1981 م .
 دلائل النبوة - للمحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430 هـ) - بيروت -
 دار المعرفة - 337 هـ / 1977 م .
 الرد على المنطقيين - شيخ الإسلام محمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 729 هـ)
 - طبعة بومباي - 1386 هـ / 147 م .
 اسم المصحف العثماني - عبد الفتاح سليم - جدة - 1403 هـ / 1983 م .
 سيرة ابن هشام - تحقيق بولس برذله - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون
 تاريخ .
 شرح الأصول الخمسة - القاضي عبد الجبار الحملائي (ت 425 هـ) - تحقيق
 عبد الكريم عثمان - القاهرة - 1385 هـ / 1965 م .
 ديوان المنطق والكلام - جلال الدين السيوطي - (ت 911 هـ) - القاهرة -
 1366 هـ / 1947 م .
 الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - ترجمة عبد الصبور شاهين - ميونيخ (ألمانيا) -
 1401 هـ / 1983 م .
 عالم الكتب (مجلة متخصصة تصدر عن دار نفيف بالرياض - الأعداد الصادرة

بين 1406 هـ و 1410 هـ .
 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية محمد طاهر التنير - الكويت - 1408 هـ /
 1988 م .
 علوم الحديث (الشهير بمقدمة ابن الصلاح) - أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن
 الشهرزوري - (ت 643 هـ) - تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) -
 دار الكتب والوثائق القومية - 1396 هـ / 1976 م .
 الغارة على العالم الإسلامي - شاتيليه - ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد البياتي
 - القاهرة 1398 هـ / 1978 م .
 الفكر المنهجي عند المحدثين - همام سعيد - كتاب الأمة - قطر - 1408 هـ /
 1988 م .
 القاديانية - إحسان إلهي ظهير - ترجمان السنة - لاهور - 1396 هـ / 1976 م .
 القاموس المحيط - محي الدين الفيروز ابادي (ت 817 هـ) - طبعة الحلبي -
 القاهرة - بدون تاريخ .
 القواعد المجموعة من الأحاديث الموضوعة - محمد بن علي الشوكاني (ت
 1250 هـ) .
 الكامل (كامل التواريخ) - عز الدين علي بن محمد الشهير بابن الأثير الجرجاني -
 دار صادر - بيروت 1387 هـ / 1967 م .
 كتاب المصاحف - لابي بكر السجستاني (ت 316 هـ) - بيروت - 1405 هـ /
 1985 م .
 الكتاب المقدس - الطبعة المصرية باللغة العربية - الكنائس المتحدة .
 كشاف إصطلاحات الفنون - محمد بن علي التهاوني (ت 1158 هـ) تحقيق
 لطفي عبد البديع - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1397 هـ /
 1977 م .
 السلاسل المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - جلال الدين السيوطي (ت
 911 هـ) - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - بدون تاريخ .
 المجموع في المحيط بالتكليف - القاضي عبد الجبار الحملائي (ت 415 هـ) -
 جمع الحسن بن متوية - تحقيق عمر السيد عزمي - القاهرة - المؤسسة المصرية
 العامة للتأليف والنشر - بدون تاريخ .
 مجموعة الوثائق السياسية - محمد حميدو الله - القاهرة - 1378 هـ / 1958 م .

- محاضرات في النصرانية - محمد أبوزهرة - الرياض - 1404 هـ / 1984 م .
- محيط المحيط - المعلم بطرس البستاني - مكتبة لبنان - بيروت 1397 هـ / 1977 م .
- المرأة في القرآن الكريم - عباس محمود العقاد - القاهرة 1401 هـ / 1981 م .
- المرأة والشرائع السماوية - مديحة خميس - القاهرة 1409 هـ / 1989 م .
- المستشرقون - نجيب العقيقي - بيروت - 1385 هـ / 1675 م .
- مشارق الأنوار - عياض بن موسى بن عياض (ت 544 هـ) - المكتبة العتيقة - تونس - 1350 هـ / 1930 م .
- مشكل إعراب القرآن - مكّي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ) - ياسين السواس - دمشق 1384 هـ / 1974 م .
- معالم الفكر الإسلامي في العصور الوسطى - عبده فراج - القاهرة - 1389 هـ / 1969 م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي - دار الفكر العربي - القاهرة - 1390 هـ / 1970 م .
- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف - فتسك وآخرون - دار الدعوة - اسطنبول - 1406 هـ / 1987 م .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة - 1388 هـ / 1968 م .
- المغني في أبواب التوحيد والعدل - القاضي عبد الجبار الحمذاني (ت 425 هـ) - تحقيق إبراهيم مذكور ومجموعة أخرى من الباحثين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة - القاهرة 1381 هـ / 1961 م . وبعدها .
- مفاتيح الأقران في مبهمات القرآن - جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) - تحقيق مصطفى حبيب السقا - دمشق وبيروت - 1403 هـ / 1983 م .
- منهج النقد عند المحدثين - محمد مصطفى الأعظمي - الرياض - 1402 هـ / 1982 م .
- هدى الساري - مقدمة فتح الباري - ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) - إدارة الطباعة النورية - القاهرة - 1347 هـ / 1928 م .
- يوحنا المعمدان (التي يحصى عليه السلام) - عبد الرازق نوفل - القاهرة - بدون تاريخ .

أانياً: مراجع أجنبية (مرتبة حسب اسم المؤلف)

- Die Bibel, Katholische Bibeianstalt, Stuttgart, 1984.
- Candweil, J.: In: Der Islam und der Westen, München, 1978.
- DTV Lexikon, München, 1975.
- ESS, J. Van: Die Gedankenwelt des Harith Al-Muhasibi, Bonn, 1961.
- Die Erkenntnislehre des 'Abudaddin AL-ICI, Wiesbaden, 1966.
- Alte mu'tazilitische Häresie, Wiesbaden, 1971.
- Kitab An-Nakt des Nazzam Göttingen, 1972.
- Zwischen Tradition und Theologie, Berlin, 1975.
- Frischler, K.: Das Abenteuer der Kreuzzüge, München, 1979.
- Gabrieli, F: Die Kreuzzüge aus arabischer Sicht, München, 1975.
- Gätje, H.: Koran und Koranexegese, Stuttgart, 1971.
- Goldziher, J.: Muhammedanische Studien, Halle, 1890.
- Hamidullah, M.: Der Islam (deutsche Übersetzung), Genf, 1968.
- Heinonen, R. et al: The rise of neo)religiosity, Helsinki, 1980.
- Held, J.: Gott in Deutschland, Hamburg, 1963.
- Hoppenworth, C.: Der Islam gegen das Christentum, München, 1976.

فهرس

الصفحة	الموضوع
5	مقدمة
11	تمهيد
	الباب الأول: التصوف المعربة
21	الفصل الأول: محمد ﷺ والقرآن: نبوة ووحى
21	جوزيف فان إس وجهات نظر إسلامية
27	الفصل الثاني: إجابة مسيحية (هانس كونج)
	الفصل الثالث: السنة والشيعة: الدولة، الشريعة، المعاملات، العبادات
37	جوزيف فان إس: وجهات نظر إسلامية
41	الفصل الرابع: إجابات مسيحية (هانس كونج)
	الفصل الخامس: الله والتصوف الإسلامي، الإنسان والتجمع جوزيف فان إس
47	(وجهات نظر إسلامية)
51	الفصل السادس: إجابات مسيحية (هانس كونج)
	الفصل السابع: الإسلام والديانات الأخرى: عيسى عليه السلام في القرآن
57	جوزيف فان إس: وجهات نظر إسلامية
63	الفصل الثامن: إجابة مسيحية (هانس كونج)

- Hornstein, W.: Jugend ohne Orientierung, Weinheim, 1983.
- Hourani, G. F.: Islamic Rationalism, Oxford, 1971.
- Hume, D.: Untersuchungen über den menschlichen Verstand (deutsche Übersetzung), Hamburg, 1964.
- Klosinski, G.: Warum Bhagwan? München, 1985.
- Krings, H. et al: Handbuch philosophischer Grundbegriffe, München, 1973.
- Küng, H. et al: Christentum und Weltreligionen, München, 1984.
- Küng, H.: Heute noch an Gott glauben? München, 1977.
- Existiert Gott? München, 1978.
- Christsein, München, 1980.
- 24 Thesen zur Gottesfrage, München, 1980.
- Mensching, G.: Der offene Tempel, München, 1975.
- The Moslem World: Connecticut/ USA, 1980.
- Neuwlirh, A.: Studien zur Komposition der mekk. Suren, 1981.
- Paret, R.: Der Koran (deutsche Übersetzung), Stuttgart, 1979.
- Schlischkoff, G.: Philosophisches Wörterbuch, Stuttgart, 1974.
- Schön, U.: Der Mensch, die Welt, der Staat im Islam. in: Der Islam und der Western, München, 1976.
- Fischer, A.: Jugend 81, Jugendwerk der deutschen Shell, Leverkusen 1982.
- Stieglecker, H.: Die Glaubenslehre des Islam, Paderborn, 1962.

الباب الثاني : تحليل ونقد

مدخل	77
الفصل الأول : مناقشة : وجهات نظر إسلامية (يوسف فان إس)	81
الفصل الثاني : الرد المسيحي (هانس كونج)	93
الفصل الثالث : أهل السنة والشيعة : الدولة ، الشريعة ، العرف ، مناقشة وجهات نظر إسلامية : جوزيف فان إس	107
الفصل الرابع : الله والتصوف الإسلامي والإنسان والمجتمع . مناقشة وجهات نظر إسلامية : جوزيف فان إس	143
الفصل الخامس : الإسلام والديانات الأخرى (عيسى عليه السلام) في القرآن . جوزيف فان إس	159
الخاتمة	179
ملحق : ترجمة بحث بعنوان : أوجه الاتفاق بين المسيحية والإسلام	181
المراجع	197